

بنو مرداس الكلابيون في حلب وشمال الشام

وسياستهم الخارجية مع دولتي الفواطس والروم

(٤١٥ - ٤٧٢ هـ / ١٠٢٥ - ١٠٨٠ م)

تأليف

الدكتور محمد محمد عبدالمولى

كلية الآداب - جامعة طنطا

الطبعة الأولى
هـ / ١٩٨٥ م



دار المعرفة الجامعية
٤٠ ش. سوتير الانوار بطرة - الإسكندرية

بنو مرءاس الكلابيون في حلب وشمال الشام

وسياستهم الخارجية مع دولتي القواطم والروم

(٤١٥ - ٤٧٢ هـ / ١٠٢٥ - ١٠٨٠ م)

تأليف
الدكتور / **يحيى محمد عيسى**
مدرس تاريخ الإسلام
بكلية الآداب - جامعة طنطا

١٩٨٥

دار المعرفة الجامعية
ط. شارع سويتي، طنطا
إسكندرية

إهداء

إلى أرواح الـ . . . أمى وأختى وأخى

محمد أحمد عبد الول

تاريخ الجزيرة العربية

مقدمة

كان شمال الشام في القرن الخامس الهجري (ق ١١ م) مجالا للصراع بين ثلاث قوى كبرى متباينة في الاتجاه المذهبي والسياسي . وهذه القوى تمثلها دولة الروم النصرانية المملوكية ، ودولتنا الإسلام الفاطمية الشيعية والسلاجقية السنية . وقد غدا الروم منذ النصف الثاني من القرن الرابع الهجري (ق ١٠ م) السيطرة على شمال الشام . ثم عارضهم في هذه السيطرة الفاطميون إلى أن ظهر الأتراك السلاجقة في أواخر النصف الأول من القرن الخامس الهجري (ق ١١ م) فتعرضوا للقوتين الآخرين وحطموا نفوذهما بالشام ، بل وكادوا أن يعصروا بها لولا انقضاءهم في أعقاب وفاة سلطانهم ملكشاه (٤٦٥ - ٤٨٥ هـ / ١٠٧٢ - ١٠٩٢ م) وانتفاخهم بعيسد ذلك بمواجهة الصليبيين الذين نزلوا بالشام في مستهل العقد الأخير من هذا القرن (٤٩١ هـ / ١٠٩٧ م) .

وفي بداية هذا الصراع نشأت الدولة المرداسية في حلب وشمال الشام على أكتاف قبيلة كلاب المضرية ، فكان عليها أن تعاني من هذه القوى المتشاحنة . وهذه الدولة مثل سبى الدويلات القزمية أو ما يمكن أن نطلق عليه دول القبائل والعشائر . ولا تعنى بالقزمية هنا صغر المساحة ، فهي على الضد كانت ضخمة المساحة بالمقياس الحالي . فقد كانت تضم أراض تشكل الآن دولتي سوريا ولبنان تقريبا . بل لقد كانت تضرب بخصرها في متن العراق على طوال الفرات حتى الرحبة ، وربما عانة من ديار مصر من أرض الجزيرة . وإنما تعنى بذلك

دورها الثالثة في التاريخ ومسيرته الحضارية . فهي لم تملأ الفراغ السياسي والحضاري الذي تركته الدولة الحمدانية بالشام رغم التسليم بتجاسرها أحياناً في مطاردة الروم والفاطميين . وكانت صفة الانانية والجشع هي الغالبة على أمرائها والقائمين عليها . وحتى الدولة الحمدانية ذاتها لم تكن دولة مجاهدة وفق مصطلح « الجهاد » في الإسلام ، إذ اقتصر دورها الصفه على عهد مقيمها الأمير سيف الدولة أبي الحسن علي بن عبد الله بن حمدان بن حمدون التغلبي الربعي (٣٣٣ - ٣٥٦هـ / ٩٤٤ - ٩٦٧ م) بمدح الشاعر الكبير أبي الطيب أحمد بن الحسين الكندي الكوفي المعروف بالمتنبي (٣٠٣ - ٣٥٤هـ / ٩١٤ - ٩٦٥ م) .

وخلاصة القول أن الدولة المرداسية كانت مثل غيرها من دول القبائل والعشائر التي انتشرت بكثرة في القرنين الرابع والخامس الهجريين (ق ١٠ - ١١م) في العراق والشام بما أضعف البناء السياسي لدولة الإسلام ، وأدى في النهاية - مع غيره من الأسباب - إلى هيمنة القوى الأجنبية الصليبية على ساحل الشام . وقد قسمت موضوع البحث إلى تمهيد وأربعة فصول وخاتمة . ويلاحظ من خلال البحث أن الإمارة المرداسية قامت تحت حماية الروم ، ولذا صارت بحماية لهم . ثم دانت بالتبعية للفاطميين . ثم لما تحقق لها الاستقلال عادت تتخضع للسلاجقة حتى سقوطها . واتساقاً مع ذلك غرضنا في التمهيد لقيام الإمارة المرداسية في ظل حماية الروم . وتناولنا في الفصول الأربعة التي اشتمل عليها البحث فترة حماية الروم ، فترة التبعية للفاطميين ، فهد الاستقلال ، فترة السيادة السلجوقية . وفي جميع هذه التقلبات السياسية لم تضعف علامات المرداسيين الخارجية بالروم والفاطميين إلا فيما ندر حيث كان العداء والصفاء يتعاقبان بينهم وبين هؤلاء وأولئك بحكم الجوار . وهذا شيء طبيعي في السياسة الدولية ، فلا عدو دائم ولا صديق دائم ، وإنما هناك مصلحة دائمة .

وقد جهدت قدر المستطاع الإلمام بمصادر البحث الأصيلة على اختلاف
مادتها سواء ما كان متعلقا منها بالجانب الإسلامى أو الجانب الرومى . وأرجو
أن يكون فيما سطرته القناء بعد العناء .

وختاماً ، فالعلم بحر عميق . وحسبى منه إبحار وإعذار من الإنصار .
وما توفيقى إلا بالله ، عليه توكلت ، وإليه أنيب .

٨ جمادى الأولى ١٤٠٤ هـ
رشدى — الإسكندرية فى مساء الجمعة
١٠ فبراير ١٩٨٤ م

د. محمد أحمد عبد الولى

تمهيد

قيام إمارة بني مرداس الكلاية في حلب تحت حماية الروم

- أولا : تعريف ببني مرداس وهجرتهم الى شمال الشام .
- ثانيا : القوى التنافسية في السيطرة على شمال الشام .
 - (١) دولة الروم .
 - (٢) الدولة المملوكية .
 - (٣ ، ٤) غلمان بني حيدان وبني كلاب .
- ثالثا : اختفاء غلمان الحمدانية وامتداد السيادة المملوكية الى شمال الشام .
- رابعا : حلف العرب وقيام الإمارة الرئاسية الكلاية بحلب .
- خامسا : استمرار حماية الروم لحلب .

تقديم

قيام اعادة بنى مرداس الكلابية في حلب

تحت حماية اليوم

اولا تعريف ببني مرداس وهجرتهم الى شمال الشام :

بنو مرداس أو المرداسيون عشيرة من عشائر كلاب بن ربيعة ، من بطون
ابن عامر بن صعصعة ، إحدى عشائر قبيل هوازن ، صاحبة يوم حنين (شوال
سنة ٨ / فبراير ٦٣٠ م) للذكور في القرآن (سورة التوبة رقم ٩ ، الآية ٢٥ ، ٢٦) (١) من قيس (عيلان) أعظم قبائل شعب مصر ، من عرب الشمال
الحجازية ، الذين يتحدرون من صلب نزار بن معد بن عدنان (٢) ، من الضعيف
ولد النبي اسماعيل (الذبيح) بن أبي الأنبياء إبراهيم (الحليل) ، على ما هو
مرفوع في كتب الأنساب (٣) .

وقد صارت كلاب ، مثل غيرها من بطون بني عامر الأخرى الشهيرة ، كهلان
(من أنحادها : الأبيج ، ورياح ، وزغبة ، وقره ، وعدى ، وربيعة ، ومن
فصائل الأبيج : مقدم ، والعاصم ، ودريد ، ومن رياح : مرداس ، ومن زغبة
عروة ، ومن عشائر مرداس : داود ، وحذير ، وطامر) ونعيم ، وكعب (من
أنحادها : جمدة ، وحريش ، وعقيل ، وقشير ، ومن فصائل عقيل : خفاجة ،
وعباد) في غضون القرون الثلاثة التالية للهجرة (ق ٧ - ٩ م) قبيلة كبيرة بعد
أن كانت عشيرة صغيرة (٤) . ويتكشف ذلك من وفرة عمارتها التي عد النسابون
منها : جعفر ، ورواس ، وضباب ، ووحيد (٥) ، وكعب (٦) .

وفي أثناء القرن الرابع الهجري (ق ١٠ م) هاجرت قبيلة كلاب القيسية
المضربية في حركة شبه جماعية من أكاد نجد إلى أطراف العراق والشام (٧) .
وفي ختام هذا القرن وأوائل ردفه (ق ١٠ / ١١ م) فصل بنو مرداس من
مرايعهم بالحلة والرحبة في جنوب العراق يقدمهم زعيمهم أبو علي صالح بن
مرداس بن إدريس الكلابي مؤسس الدولة المرداسية إلى نواحي حلب بشمال الشام
واستوطنوها (٨) .

وتشكل هجرة المرداسين الكلابيين ، وهم شيعة المذهب - اثنا عشرية في الغالب (٩) - جزءا من هجرة بدوية عامة للاستقرار على تخوم العراق والشام خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين (ق ١١٠، ١١٠ م) . وربما كان الاضطراب الذي أحدثته غارات قرامطة البحرين الشيعة الإسماعيلية (الباطنية) في سواد العراق هو الدافع لذلك (١٠) . وبمجيء هذه الهجرة بدأ التدخل السكلافي للمرداسي في حلب وشمال الشام إلى أن تمكن المرداسيون سنة ٤١٥هـ (١٠٢٥ م) من إقامة دولة لهم هنالك عمرت قدر نصف قرن ونيف .

ثانيا - القوى المتنافسة في السيطرة على شمال الشام :

في تلك الفترة من الزمن - أعنى في أخريات القرن الرابع الهجري (ق ١٠ م) وأرليات تاليه (ق ١١ م) - كانت تتنافس في السيطرة على شمال الشام أربع قوى متباينة ، الأولى مسيحية ملكانية ، والثلاث الاخريات إسلامية شيعية (إسماعيلية أو اثنا عشرية) وهذه القوى هي على التوالي :

١ - الدولة البيزنطية (١١) The Byzantine empire ، أو الدولة الرومانية الشرقية (ويقال المتأخرة) The Eastern or later Roman empire أو دولة الروم The State of Rum (٢٢٣-١٤٥٢ م / ٨٨٥٧) (١٢) كما كان يسميها العرب .

٢ - الدولة الفاطمية ، أو دولة الفواطم ، أو الدولة العلوية ، أو الدولة العبيدية ، أو دولة العبيديين ، أو دولة بنى عبيد (٢٩٦ - ٥٦٧ م / ٩٠٩ - ١١٧١ م) (١٣) .

٣ - غلبان بنى حمدان من الأمراء أو القادة العسكريين الأتراك (٢٩٢ - ٤٠٦ م / ١٠٠٢ - ١٠١٥ م) .

٤ - قبيلة كلاب العربية المضربة تحت لواء بنى مرادس .

(١) دولة الروم :

كانت تحكمها آنذاك الأسرة المقدونية^(١٤) The Macedonian dynasty, Eng , La dynastie de Macédoine, Fr. المعروفة بالأرجوانية (بور فوروجينيقي) ^(١٥) Porphyrog. niti (٢٥٢-٥٤٤٩ / ٨٦٧-١٠٥٧ م) التي تبنت سياسة أو استراتيجية Strategy عسكرية أعادت إلى الأذهان ذكرى أيام عاهلها العظيم جستنيان (جستيانوس) الأول Justinianus 1 (٥٢٧ - ٥٦٥ م) . وهدف هذه السياسة هو استرداد الأجزاء التي فقدتها الدولة بالفتح العربي الإسلامي في الشرق والغرب على السواء . ولقد احتسب متى الزهادى الأرمني (كان حيا سنة ٥٣٩ هـ / ١١٤٤ م) حروب كل من الدمستقي (دومستيكوس) ^(١٦) Domesticus نفغور الثاني فوقاس (يقيفوروس فوكاس) (٢٥٢ - ٢٥٩ هـ / ٨٦٢ - ٩٦٩ م) وخلفه الدمستقي Nicephorus II phocas (٢٥٢ - ٢٥٩ هـ / ٨٦٢ - ٩٦٩ م) وخلفه الدمستقي يحيى الأول الملقب بالشمشقي ^(١٧) (إيوانيس زيمسكينس) Ioannés 1 Tzimiscós (٣٥٩ - ٣٦٦ هـ / ٩٦٩ - ٩٧٦ م) سابع وثمان أباطرة تلك الأسرة منذ المسلمين في عداد الحروب الصليبية ^(١٨) .

ففى همد نفغور فوقاس استطاعت دولة الروم أن تكسر شوكة الحمدانيين أمراء حلب (٣٢٣ - ٣٩٢ هـ / ٩٤٤ - ١٠٠٢ م) فى قليقية (كيليكيا) Cilicia وشمال الشام فيما بين صيف سنة ٣٥٤ هـ (٩٦٤ م) و خريف سنة ٣٥٥ هـ (٩٦٩ م) . وتمكنت فى آخر سنى حكمه (٣٥٨ - ٣٥٩ هـ / ٩٦٩ م) - بعدما انخرقت حشمة الإمارة الحمدانية بوفاة مقيمها الأمير سيف الدولة أبى الحسن على بن عبد الله بن حمدان التغلبى (٣٢٣ - ٣٥٦ هـ / ٩٤٤ - ٩٦٧ م) - من انتزاع أنطاكية من أيدي الحمدانيين (١٤ ذى الحجة ٣٥٨ هـ / ٢٨ أكتوبر ٩٦٩ م) ^(١٩) ، وبسط

حمايتها على حلب (محرم ٣٥٩هـ / ديسمبر ٩٦٩م)، وإرغام أميرها قرغوية غلام سيف الدولة (٣٥٨ - ٣٦٠هـ / ٩٦٨ - ٩٧٠م) المتغلب على أمير البلاد الشرعى سعد الدولة أبي المعالي شريف بن سيف الدولة (٣٥٦ - ٣٨١هـ / ٩٦٧ - ٩٩١م) على مهادتها هدنة مؤبدة على قطعة أربعة وأربعين ألف (٤٤,٠٠٠) دينار ذهباً^(٢٠). وقد وافق سعد الدولة على دفع تلك الإثارة للروم حينما استرد سلطته من بكجور غلام قرغوية (٣٦٠ - ٣٦٦هـ / ٩٧٠ - ٩٧٦م) بتأثير من السكابين في سنة ٣٦٦هـ (٩٧٦م). وواظب سليله سعيد الدولة أبو الفضائل سعد (٣٨١ - ٣٩٢هـ / ٩٩١ - ١٠٠٢م) على دفعها إلى أن انصهرت أيامه^(٢١)، وقرره على دولته لؤلؤ الكبير مولى سيف الدولة (٣٩٢ - ٤٢٩هـ / ١٠٠٢ - ١٠٠٨م)، ثم ابنه أبو نصر منصور مولى سعد الدولة (٣٩٩ - ٤٠٦هـ / ١٠٠٨ - ١٠١٥م) لحافظ كلاهما أيضاً على ذلك^(٢٢).

وأن يحى الشمشقين فاقتم قبيل ذهاب ملكه في سنة ٣٦٥هـ (٩٧٤/٩٧٥م) الأراضي الشامية واجتاح حمص وبعلبك، واستكفاه القائد التركي أبو منصور آفتكين (ويقال الفتكين أو مقتكين) المعزى طريد بن بويه المستبد بدمشق (٣٦٢ - ٣٦٨هـ / ٩٧٣ - ٩٧٨م)^(٢٣) بالطاعة والجزية، فتركه وأوغل جنوباً في فلسطين ودخل طبرية والناصرية، وبيسان، ثم عرج إلى طريق الساحل عبر سهل إزدريالون Esdraelon وأخذ مدائن قيسارية، ويقال قيسرية (كايزاريّا Caesarea)، وصيدا، وبيروت، وجبلة (بالكسر) Jibla، ويقال لها نجيل (ببيلوس Byblus قديماً)، وبلنياس Bolunyas (بلينية Balanea) وجبلة (بالفتح) Gabala ثم ملك صهيون وبرزية، ويقال لها برزوية Barzuyah (بورزو Burzo القديمة)، بالداخل، ولم يغلت من قبضته سوى طرابلس بفضل حصانة أسوارها^(٢٤).

وهكذا غدت الولاية على شمال الشام الروم ، وأصبح الحمدانيون خولا لهم ،
فقاموا بذات الدور القديم الذي أداه بنو جلدتهم من آل جفنة الغساسنة الأزديين
أمراء بصرى (من أعمال دمشق في حوران) منذ أكثر من أربعة قرون . إبان
القرن السادس ليلادى (٥٢٩ - ٥٨٣ م) كأصحاب دولة حديثة حاجزة
Buffer State على حافة الصحراء (٢٥) .

(٢) الدولة الفاطمية :

حرصت الدولة الفاطمية منذ أن فتحت مصر (٩٦٩ / ٣٥٨ م) على عبد
المعز لدين الله أبى تميم معد (٣٤١ - ٣٦٥ / ٩٥٣ - ٩٧٥ م) على ضم الشام
إليها ابتغاء تأمين حدود مصر من ناحية الشمال الشرقى خوفا من أن يتطرقها
الروم والقرامطة (٣٦) . وأفلح الفاطميون في الهيمنة على جنوب الشام (٩٥٩ /
٩٧٠ م) (٣٧) دون شماله لمناوأة الروم ومواليهم الحمدانيين لهم .

ولذا تراخوا في سنة ٣٧٧ هـ (٩٨٧ م) من خلافة العزيز بالله أبى منصور
نزار (٣٦٥ - ٣٨٦ / ٩٧٥ - ٩٩٦ م) بمعاونة إمبراطور الروم بيسيل ويقال
بسيل (باسيلوس) الثانى Basilio II (٣٦٦ - ٤١٦ / ٩٧٦ - ١٠٢٥ م)
على هدنة مدتها سبع سنوات آخرها سنة ٣٨٤ هـ (٩٩٤ م) (٣٨) .

ولما حاول العزيز مرات ثلاث خلال سنتى ٣٨٢ هـ (يناير ٩٩٢ م) و ٣٨٤ هـ
(سبتمبر ٩٩٤ م) حرق هذه الهدنة بمد نفوذه شمالا إلى حلب عاصمة الحمدانيين
استعان عليه الحمدانيون بالروم ، فوققوا له بالمرصاد ، فأخفق في امتلاكها (٣٩) .
وفي المرة الثالثة (٣٨٤ / ٩٩٤ م) أضرب بحلب حصار القوات الفاطمية ،
فاستعاذ أميرها سعيد الدولة الحمداني ووجهه أولاف السيفى بالإمبراطور باسيل

الثاني ، فأخذها بحماية أنطاكية ، ولكن القائد الفاطمي بنجوتكين (منجوتكين) ، الذي آيداه السكلابيون ، قطع الطريق على الروم ، ونجح في دحر مقدمهم ميخائيل البرجمي (بورتزس) Michael Bartzes وإلى أنطاكية الملقب بالدوقس (دوكاتوريس) Ducatoris (٢٠) على ضفاف نهر العاصي ، وهو الأردن (أورنطس) Orontes ، ومطاردته حتى أبواب دوفيته (٢١) .

وشقت هذه الهزيمة على الامبراطور باسيل ، وأفلقت على أنطاكية ، كما أعجلته استغاثة حلب به ، فخرج بنفسه في شتاء العام التالي (٣٨٥ هـ / ٩٩٥ م) لقتال الفاطميين على حلب ، فاضطر بنجوتكين إلى رفع الحصار عنها (٢٢) ، والعودة إلى قاعدته بدمشق (٢٣) . وأدى انسحاب جيش الفاطميين من شمال الشام إلى اجتياح باسيل لممتلكاتهم هناك ، فدخل حلب ووجد معاهدة التحالف معها ، وتملك حمص وثلاثة أعمال من أعمالها هي : شيزر Chaizar ، ورفنية (٢٤) Raphanea ، وحسن إنطربوس ، ويقال طربوس Taratus (طورتوزا Tortosa) ، التي شحنت بحماية من الأرمن ، واستعصت عليه طرابلس لحصانتها ، فآب إلى أنطاكية (٢٥) .

ولكن الفاطميين ثأروا لأنفسهم في سنة ٣٨٨ هـ (٩٩٨ م) ، أيام وصاية برجوان الخادم (٣٨٦ - ٣٩٠ هـ / ٩٩٦ - ١٠٠٠ م) (٢٦) على الخليفة الحاكم بأمر الله أبي علي منصور (٣٧٦ - ٤١١ هـ / ٩٩٦ - ١٠٢٠ م) . لحداثته (١٥ سنة آنذاك) (٢٧) ، حيث هزم أسطولهم أسطول باسيل في مياه صور Sur (تيور Tyre قديما) ، وسبق نأثرها الملاح علاقة (٣٨٧ - ٣٨٨ هـ / ٩٩٧ - ٩٩٨ م) ، الذي استنجد بالروم ، إلى مصر أسيراً وفسلخ وصلب بها (٢٨) ، وصارعت قواتهم البرية بقيادة أبي الفتوح جيش بن محمد بن الصمصامة الكتامي

(٣٩٠ هـ / ٩٩٩ م) ، الذي دعمه الكلابيون بقوة قوامها ألف فارس دوقس
أطاكية الرومي دميانوس (داميانوس دلاسينوس) *Damianus Dalassenos*
(٣٨٥ - ٣٨٨ هـ / ٩٩٥ - ٩٩٨ م) قرب قامية *Famieh* أو أقامية *Afamieh*
(أبامية *Apamea, Apamia* قديما) ، من مضافات حمص ، فصرعته ،
وأفنت زهرة رجاله ، وعاد جيش إلى دمشق (٣٩٠) .

وإزاء هذه الكوارث المتلاحقة في البر والبحر بنح باسيل السلم ، حتى يتفرغ
لقتال البلغار الذين شكلوا خطورة بالغة على دولته (٤٠) ، وواصل الخليفة الحاكم
في الموادة (٤١) . غير أن الحاكم ما طله ، فأرغمه على ترك مناجزة البلغار برهة ،
والخروج إلى الشام مرة أخرى لرد اعتبار جيوشه (٤٢) . وفي سنة ٣٨٩ / ٢٩٠ هـ
(٩٩٩ م) قاد باسيل حملة تخريب وتدمير واسعة الطاق على الشام ، فأغار على
جملة من حصون حمص الأمامية القريبة من طرابلس وبعا رسمها إذ قبضها ، ومن
هذه حصون أبي قبيص ومصياف (مصياف) ، ورفنية ، وأعاد الأسبلاء على
شيزر التي استردتها القوات العاطمية في أعقاب حملته الأولى (٣٨٥ هـ / ٩٩٥ م) ،
وشكها بمقابلة الأرمين ، وأحرق بلدة عرفة في شرقي طرابلس وذلك قلعتها ،
وتماذى في إغاراته إلى بعلبك ، ثم ناوش طرابلس ، ولكنه صجر عن اقتحام
حصنها لمناعته ، فنادى بها إلى أطاكية (٤٣) ، حيث أخضع أرباضها ، علاوة على
أرتاح من أعمال حلب ، وكفر عزون قرب سروج من ديار مصر بأرض
الجزيرة (٤٤) .

وفي سنة ٣٩٠ هـ (١٠٠٠ م) تفاوض الخصمان ، بروجوان الخادم وصي
الحاكم وباسيل ، لعقد صلح بينهما لمدة عشر سنوات . وفي السنة التالية (٣٩١ هـ /
١٠٠٢ م) بعد تخلف الحاكم من بروجوان ، تم عقد هذا الصلح الذي حل
بموحبه السلام في أملاك البولتين بالشام (٤٥) .

و مصداقاً لذلك ، حينما استبد أوّلو السيفي بحكم حلب بعد وفاة سعيد الدولة الحمداني في سنة ٣٩٢ هـ (١٠٠٢ م) وغرب ولدى سيده ، وهما أبو الحسن على وأبو المعالي شريف ، إلى مصر في سنة ٣٩٤ هـ (١٠٠٣ / ١٠٠٤ م) ، وأعلن الخطبة للخليفة الحاكم على منابرّه ، لم يثر هذا الإجراء الصوري الروم عليه لإلزامه بدفع ما عليه من إتاوة لهم (٤٦) ، ولإتشاف بأسيل بحرب البلغار بنفسه زهاء أربع سنوات في الفترة من سنة ٣٩١ هـ (١٠٠١ م) إلى سنة ٣٩٥ هـ (١٠٠٥ م) . وعندما عكر الأصفر التغلبي الجزري صفو هذا السلم ودعا إلى مجاهدة الروم في سنة ٣٩٥ هـ (١٠٠٥ م) ، وظاهره وثاب بن جعفر النيري أمير سروج بمصبيته المضربة من نير وكلاب ، وهدد أملاك الروم بإقليم الجزيرة وشمال الشام ، لم يلتق تأييداً من قبل أمير حلب أوّلو وخليفة الفاطميين الحاكم ، واستفرد به دوقس أنطاكية نقفور (نيقفوروس) أورائوس N'cephorus Uranus (٣٩٠ - ٤٠١ هـ / ١٠٠٠ - ١٠١١ م) ، وضيق عليه المسالك ، فانفض عنه أكثر أصحابه وعلى رأسهم وثاب النيري ، فراح شأنه ، ووقع في أسر أوّلو في سنة ٣٩٧ هـ (١٠٠٧ م) ، فاعتقله بقلعة حلب (٤٨) .

٣ ، ٤) غلمان بنى همدان وبنو كلاب :

هؤلاء وأرلثك - أقصد غلمان الحمدانية من قادة الجيش الانراك ومغاوير السكلابية بزعماء المدراسية - كانوا من المنتقلين الطامعين في ملك حلب . وقد احتجج أوّلو الكبير غلام سيف الدولة الحمداني بحكم حلب في سنة ٣٩٢ هـ (١٠٠٢ م) . وحينما توفي في سنة ٣٩٩ هـ (١٠٠٨ م) تلاه على حكمها ابنه منصور ، فاضطربت عليه أحوال إمارته ، إذ كان ظلوما غشوما : تعنت أبا الهيجاء بن سعد الدولة ، ففر من حلب ، ولجأ إلى بأسيل بالقسطنطينية (٤٩) ، وتعمف أهل حلب ، فقتلوه ، وأدل بالكلابين ، فقتلوا عليه ، وغدوا ، والمنتدبين

بيلد حلب ، (٥٠) . ولما استحلوا ذلك ، ذنروا عليه ، واستحسنوا إعادة الإمارة للحمدايين ، ووافقهم على مرادهم جماعة للمعارضين من أهل حلب ، واستأثروا بأبا الهيجاء نزيل القسطنطينية ، فتأمر عليهم ، وزحفوا بمجموعهم نحو حلب سنة ٤٠٠ هـ (١٠٠٩ م) . وتحاليل المنصور في قل هذا الجمع المتحضر ، واستمال الكلايين إليه ، قالوا على أبي الهيجاء ، إذ مناهم بالإغطاعات والأعطيات ، وأقسم لهم أن يقاسمهم أعمال حلب البرانية ، (٥١) ، واستجاش بالفاطميين ، ووعدهم بقلمة حلب ، فجهشوا إليه جيشا كبيرا بقيادة القاضي أبي الحسن علي بن غبد الواحد بن حيدرة الكتامي وإلى طرابلس (٣٨٧ - ٤٠٠ هـ / ٩٩٧ - ١٠٠٩ م) . ولما شب القتال بين الفريقين على مقرية من حلب تقاعس الكلايون عن نصرة أبي الهيجاء ، فانهزم ، وولى مدبرا إلى القسطنطينية ، وأقام بها حتى مات (٥٢) .

ولكن منصور لم يف بأي من هذه الوعود والعهود لمساندته من الفاطميين والكلايين ، فسخطوا عليه . كما سخط عليه الروم حماة حلب لازوراره عنهم إلى الجانب الإسلامي على غير عادة الأمراء السابقين والفهم .

تلك كانت القوى المتنافسة المتفاحنة في شمال الشام في خواتيم القرن الرابع الهجري (ق ١٠ م) وبواكير لاحقه (ق ١١ م) . وقد آل الأمر إلى اختفاء غلبان بني حمدان من على مسرح السياسة وبقاء المراديين الكلايين في مواجهة الروم والفاطميين بعد أن أسسوا إمارة لهم محل الإمارة الحمدانية . ولهذا الحادث حديث .

ثالثا : اختفاء غلبان الحمدانية وامتداد السيادة الفاطمية إلى شمال الشام .

أدى تدخل الفاطميين إلى جانب منصور بن لؤلؤ في فتنة أبي الهيجاء (٤٠٠ هـ / ١٠٠٩ م) التي رافقت ابتداء هجرة السنواريين إلى مصر بين الفاطميين والروم

إلى إعلان تبعيته الشكيلة للحاكم حسبما فعل أبوه من قبل فتخطب له في أعماله في سنة ٤٠٢ هـ (١٠١١ م) . وأكتفى الحاكم مؤقتاً بهذه التبعية الإسمية ومنحه لقب « مرتضى الدولة » (٥٢) .

على أن ابن لؤلؤ سرعان ما نقض خضوعه للفاطميين بإيعاز من الروم في أنطاكية في السنة ذاتها وسعى إلى توسيع رقعة أملاكه على حساب أملاك الفاطميين في شمال الشام ، فانقض على حصن أقمية من عمل حمص يريد اقتناصه فاستصعب عليه . واتصل به تاجر الخليفة الحاكم لحربه فارتد إلى عمله (٥٣) خائفاً من قرقيا انتقاماً فاطمياً وشيكاً .

وتلفت منهذور حوالبه فلم يجد غير السكلايين ركناً شديداً يأوى إليه ، فاستفادت بصاحب الرحبة صالح بن مرداس (٥٥) المعروف بابن الروقبة (٥٦) ، أوجه أمراء قبيلة كلاب ، فلم يشته طماعية فيه ، وأدال الكلايين عليه ، فطالبوه بالإقطاعات والمخلع (٥٧) العاجلة ، ففضلا عن الآجلة إلى وعدمهم بها ودعاهم عليها . بيد أنه سرهم ودافعهم ، فلم يرعوا ، وشغبوا عليه ، وتسلموا على المدينة وأفسدوا فيها (٥٨) .

ولما أعياه ردعهم تظاهر بقبول مطالبهم ، ودعاهم إلى وليمة عامرة ليوقع لهم بالإقطاعات (٥٩) ، فاحتفل عنده منهم لليلتين خلتا من ذى القعدة سنة ٤٠٢ هـ (يونيو ١٠١٢ م) قرابة خمسمائة فارس . وهناك مد لهم السباط ليأكلوا ، ثم أمر بإغلاق أبواب المدينة ، وأحاط بهم ، فسقط في أيديهم فصعد كبار أمرائهم ، وعدتهم مائة وعشرون يتصدروهم صالح بن مرداس ، وزج بهم بقلعة المدينة ، وضرب رقاب مائتين ، وخلق سبيل الباقيين الذين لم يتخوفهم (٦٠) . وتجادى في انتقامه ، فأكره صلحاً على طلاق زوجته طرود أم ولده عليه ، وكانت بن

أجل نساء عصرها ، وتزوجها (٦٢) ، ولكل بالأمراء المحبوسين حتى مات أكثرهم بالقلمة (٦٣) .

وظل صالح بن مرداس في معتقله نحو سنتين وشهرين إلى أن نجح في الهرب منه مستهل المحرم سنة ٤٠٦ هـ (٢ يوليو ١٠١٤ م) (٦٤) ، ولحق بأهله وعشيرته بمرج ذابق (٦٥) والحلة من أعمال حلب (٦٦) .

وفي العاشر من صفر (أغسطس) السنة ، ولما يمر على مهربه سوى أربعين يوما ، جمع ألي قارس من بني كلاب ، ونزل تل حاصد بظاهر حلب . وواقع غريمه بعد يومين (١٢ صفر) ، وقهره ، ونكى في جيشه ، وأسره ، ولقده بقيذه الذي كان في رجله وعنقه (٦٧) .

ومع ذلك لم يقدر على حلب لدفاع أبي الجيش أخى منصور عنها . ومن ثم مال إلى للتفاوض ، ووافق على تخليع منصور شريطة أن يحمل إليه خمسين ألف (٥٠٠٠ صرة) وبتيسار وحائة وعشرين (١٢٠) رطل فضة وخمسة (٥٠٠) قطعة ثياب من أصناف مختلفة ، وأن يطلق سراح محبوسيه من بني كلاب ، وأن يقطعه نصف حلب ، وأن يزوج به ابنته ، فأجاب منصور إلى كل ذلك (٦٨) . ولكنه حين عاد إلى حلب نقض ميثاقه الذي واثقه به فتجددت بينهما المعادة (٦٩) .

وتعاطف باسيل مع صالح (٧٠) ، ربما لسياسة منصور الانتهازية القائمة على الاستفادة من تنازع القوى على السلطة في شمال الشام ، ولبي طلبه باستثناء حلب من قرار تحريم الإتجار مع الخلافة الفاطمية في مصر والشام الذي أصدره في السنة التالية (٤٠٦ هـ / ١٠١٥ م) وقت اضطرابات الخليفة الحاكم للبيحيين ،

وإن كان الفضل في هذا الاستثناء هو أهمية حلب التجارية لدولة الروم باعتبارها منفذا رئيسا لتجارتهما مع العالم العربي (٧١) .

ثم توارثت الحوادث عقب ذلك فعمقت بمنصور وسياسته . فقد وقع الحلف بينه وبين غلامه أبي نصر فتح المعروف بالقلقي متولى قلعة حلب في العاشر من رجب سنة ٤٠٦ هـ (ديسمبر ١٠١٥ م) ، فوطأ عليه أعداؤه من بين السكاليين والفاطميين وطأباه ، وردف أن يفتح له أبواب القلعة (٧٢) ، وأنفذ إليه يقول : « إما أن تخرج من حلب وإلا سلبت القلعة إلى صالح » (٧٣) . فأتى منصور إلى بفس من رعيته السلامة إذ يقن بالخطر المحقق به ، ولذا بالفرار إلى أنطاكية هو وأخواه وأولاده ومن تبعه من غلبانه وذلك لست بدين من رجب السنة (٦ يناير ١٠١٦ م) (٧٤) ، واحتفى بدوقسها ميخائيل كيتونيتوس (٧٥) Michael Kitonitos الملقب بالطريق . ولما نعى خبر منصور إلى باسيل أفسند فعلمانه إلى دوقس أنطاكية بإكرام وفادته ، كيما يتوصل به إلى إرهاب ولاية حلب الجدد والضغطة عليهم ، وأنعم عليه بلقب ماجستروس (ماجستروس) Magistros أى الفخيم ، وأعطاه أرضاً بأنطاكية وضيعة بجبل ليون ، ويقال ليول (جبل سمعان) ، المائل على حلب بينها وبين أنطاكية ، فأقام منصور بخصن الضيعة كي يتسنى له استطلاع أمور حلب عن كثب (٧٦) . وبهروب منصور زال سلطان الحمدانيين من الشام تماماً .

وبلغت هذه الأنباء الخليفة الحاكم بالقاهرة فألقى على القلقي ، ولقبه مبارك الدولة وسعيدهما ، وأستعاضه وإلى أقامية أبا الحسن على بن أحمد العفيف المعاضدة . ولقبه د سيد الدولة ، وأخرى صالح بن مرداس بالاتفاق معهما ولقبه (أسد الدولة) (٧٧) ، فنهض ابن الضيف إلى حلب ، واتفق مع القلقي على

الاعتراف بمطالب صالح في حلب (٧٨). ولكن ابن الضيف أخل بتعبده، ووضع يده على حلب وقلعتها، واسترضى الحاكم وأبى القامى بحكم صور وصيدا وبيروت (٧٩)، واستناب على حلب أبا شجاع قائدك الأرمنى بملوك بنجوتكين، ولقبه وأمير الأمراء: عزيز الدولة وتاج الملة، فدخلها في الثاني من رمضان سنة ٤٠٧ هـ (٣ فبراير ١٠١٧ م) (٨٠) وغدت حلب بذلك ولاية فاطمية.

ومن المثير للدهشة أنه لم يصدر رد فعل وقاى من جانب الروم ضد الفاطميين. وليس أماننا إلا أن نلتبس لهم الأعذار لانفماس إمبراطورهم باسيل بحرب البلغار لمدة آلاف على عقود ثلاثة (٣٧٦ - ٤٠٩ / ٩٨٦ - ١٠١٨ م) (٨١).

غير أن الحال تبدل بعد سنتين من ولاية عزيز الدولة. ففي سنة ٤٠٩ هـ (١٠١٨ م) انتهز هذا الوالى الأرمنى ما حدث بالشام ومصر من قن واضطرابات ونيز طاعة الحاكم، وسلك العملة باسمه، ودعا لنقمه على المنبر، وراسل باسيل ووالاه، واستخلف على توابع حلب خلساء وأصفياه. فأعد الحاكم الجيوش لتأديبه في سنة ٤١١ هـ (١٠٢٠) (٨٢). فوجل عزيز الدولة، واستعصر باسيل فأصرخه، لخلاصه من حرب البلغار (٤٠٩ / ١٠١٨ م) التي أكسبته لقباً مأساوياً هو سفاح البلغار، (٨٣) *Bulgaroctonos* ولما أدرك باسيل مرح الديباج وهو واد يخرق جبل الككم (طوروس) *Taurus* بقرب المصبغة من إقليم قليقية (٨٤). علم عزيز الدولة ب وفاة الحاكم (٢٧ شوال ٤١١ هـ / فبراير ١٠٢١ م)، فبعث إلى باسيل بصرفه، فلم يتصرف عنه، وواصل سيره نحو حلب، فهدده بأنه إن قدم سيكون هو وبنتو كلاب حرباً عليه، فامتنع من القدوم (٨٥). ولم يدم انتزاع عزيز الدولة بعد ذلك غير قرابة ثمانية عشر شهراً، ثم دبرت عليه ست الملك (٤١٥ / ١٠٢٤ م) عمه الخليفة الظاهر

لإعزاز دين الله أفي الجنس على (٤١١ - ٤٢٧ هـ / ١٠٢١ - ١٠٣٦ م) - وكان تحت كفالتها لصغره (١٦ سنة) - من اغتاله وهو نائم في ربيع الآخر سنة ٤١٣ هـ (١٣ يونيو ١٠٢٢ م) (٨٦) . وعادت حلب ثانية إلى أملاك الخلافة الفاطمية .

ولم يبد الروم مقاومة مباشرة لطرد الفاطميين من حلب ، وتركوا هذه المهنة لقبيلة كلاب التي خدعها الفاطميون ، ولم يسلبوا بطانيها في حلب غداة فرار منصور بن لؤلؤ إلى أنطاكية .

وأما - حلب العرب وقيام الامارة الرداسية الكلاية بحلب

في جمادى الأولى سنة ٤١٥ هـ (يولية ١٠٢٤ م) استعمل الظاهر على مدينة حلب سديد الملك أبا الحارث ثعبان بن محمد بن ثعبان الكتامي الجميلي (٨٧) ودخل قلعتها أبا الحارث موصوفا الخادم الصقلي (٨٨) ، ولسكنهما دهايا يتحالف كبير معاديين عرب الشام من القيسية واليمينية تمخض عنه ضياع ولايتهما ، وسقوط حلب في أيدي بني مرداس السكلابيين وأجزاء من فلسطين في أيدي بني الجراح الطائنين .

وأصاب هذا الحلف م : حسان بن المفرج بن دغفل بن الجراح أمير طيء . وسنان بن عليان أمير كلب ، وصالح بن مرداس أمير كلاب . وقد اتفق هؤلاء على اقتسام بلاد الشام فيما بينهم ، بعد أن لاحظوا احتلال أحوالها وضعف ولايتها (٨٩) ، فتمكنوا فلسطين وما برسما لحسان ، ودمشق وما ينسب إليها لسنان ، وحلب وما معها لصالح ، (٩٠) . واشتعانوا بباسيل فلم يعرهم الأتقانا (٩١) .

ومع ذلك شرعوا في تنفيذ حركتهم في رجب سنة ٤١٥هـ (سبتمبر ١٠٢٤م) واجتمعوا على حرب منتخب الدولة أبي منصور أوشتكين الذيرى (٤١٣هـ / ١٠٤٢م) الذي أنفذه الظاهر واليا على فلسطين فهووه إلى عسقلان ، وأخذ حسان الرملة (٩٣) ، وأحاط ستان بدمشق ولكنه لم يقو عليها (٩٤) .. وتقدم أبو منصور سليمان بن طوق كاتب صالح شمالا إلى حلب ، وانتزع معرة مصرين من أعمالها ، وبدأ حصار حلب . وفي رمضان (نوفمبر) السنة لحق به صالح . وصمدت المدينة الحصار ستة وخمسين يوما ، ولم تسلم إلا بعد وقوع الشقاق بين القائمين عليها فقد شاجن وصوف الخادم وإلى القلعة زعيم الحمدانية بالمدينة ، وهو سليمان بن المستفاد غلام سيف الدولة الحمداني (٤٢٣هـ / ١٠٣٣م) ، وانتهى بالحياة ، وأسر الفتك به ، فأفسد عليه ابن المستفاد تدبيره ، وفتح باب قيسرين من حلب لصالح ، واستسلم له ، فدخلها بالأمان في يوم السبت سابع عشر ذي القعدة سنة ٤١٥هـ (يناير ١٠٢٥م) (٩٥) .

وبقيت قلعة المدينة وقصبتها على المقاومة ، وكان سيد الملك ثمان قد اعتمى بها فاستمد صالح درقس أنطاكية قسطنطين دلاسينوس Constantine Da'assenos لقتال من بالقلعة ، فأمده بسرية مكونة من ثلاثمائة رجل ولكن بإساريل بادر بحجب هذه القوة ليفتساعد للتنازعين بالمحاولة فيسمل كبهم (٩٦) . وحينذاك تخرج موقف حسان أمام الذيرى ، فهرع صالح إلى فلسطين لمساندته ، وترك ابن طوق وابن المستفاد على حصار القلعة . وأبدي من بالقلعة استعدادهم للمصالحة والتسليم فلم يستجب لهم الفزاة (٩٧) . وإذ ذاك نصبوا الصليبان على أسوار القلعة ثلاثة أيام متتالية ، وهتفوا بالروم ، ودعوا للبأسيل ، ولعنوا الظاهر (٩٨) . وكانوا يرمون من الاستنائة بالروم إلى أحد أمرين . إما التخلص

من الحصار ، وإما الحصول على شروط معتدلة للتسليم (١١٩) . ولكن هذه المظاهرة لم تنطل على المهاجرين ، وكروا على القلعة (الجمعة ١٢ ربيع الآخر سنة ٤١٦ هـ / يونية ١٠٢٥ م) (١٢٠) . وأتاحت الفتنة التي نشبت داخل القلعة بين وإليها موصوف وقائد المصامدة (١٢١) أبي جمعة للمهاجرين إتهام القلعة والاستيلاء عليها في يوم الأربعاء مستهل جمادى الأولى سنة ٤١٦ هـ (٣٠ يونية ١٠٢٥ م) (١٢٢) ، إثر حصار دام نحو سبعة أشهر (١٢٣) .

وتم القبض على موصوف الخادم ، وعلى سديد الملك ثعبان ، وعلى قاضي حلب أبي أسامة عبد الله بن أحمد بن علي بن أبي أسامة ، وعلى غيرهم من وجوه رجال الدولة الفاطمية بحلب (١٢٤) . ورجع صالح من فاسطين إلى حلب ، وأحضّر أسراه الثلاثة الكبار : سديد الملك ، وموصوف ، وابن أبي أسامة . فأما سديد الملك فأطلقه نظير فدية مالية ألزمه بها ، وأما موصوف فضرب رقبة صبرا ، وأما ابن أبي أسامة فدفنه حياً بالعامة (١٢٥) .

وبذلك استقامت حلب لصالح وصارت لأول مرة دار إمارة كلاية بعد أن كانت دار نيابة فاطمية .

وفي نفس السنة التي أسس فيها صالح إمارته ضم إليه حمص ، وبعلبك ، وصيدا ، وحمص ، وحمص ابن عكار بناحية طرابلس ، إلى جانب ما كان بيده من مدن ديار مصر بإقليم الجزيرة كالرحبة ، وبالس ، ومنبج ، وما كان بحوزته من أعمال حمص مثل رقة (١٢٦) . بل إن نفوذه - في بعض الروايات - امتد إلى عانة بما يلي الرحبة جنوبا (١٢٧) .

وأصبحت إمارته بذلك أشبه بدائرة مركزها حلب يتغلغل فيها لسان من

بادية الشام (١٠٨) ، ويحيط بمناطق الثغور الشامية والجزيرية شمالا ،
وضفاف العرات شرقا ، وسواحل البحر المتوسط غربا ، وأطراف بادية الشام
جنوبا . وما من ريب أن هذه المساحة الواسعة ، والأراضي الشاسعة التي اختصت
العديد من المدن والقرى والحصون قد كفلت لهذه الإمارة البدوية الناشئة أسباب
بقائها وحياتها استقلالها في معظم الأحيان (١٠٩) .

٣- استعمار حماة وحماية الروم لحلب :

وضع الروم والفاطميون لهوض بني مرداس بحكم حلب ، ولكن إلى
حين . فقد كانت حلب محمية رومية ، ولا زال الروم يعتبرونها كذلك . كما أنها
غدت لفترة قصيرة ولاية فاطمية ، فكان الفاطميون يعدونها من ممتلكاتهم .
ولولا المجاعة التي حلت بمصر في سنة ٤١٤ هـ (١٠٢٣ - ١٠٢٤ م) واستطالت
إلى السنة التالية (٤١٥ هـ / ١٠٢٤ - ١٠٢٥ م) (١١٠) لكان الفاطميون مع المرداسيين
شأن آخر . على أن حماية الروم لحلب ظلت قائمة بفعالية مؤثرة حتى ٤٢٩ هـ
(١٠٣٨) (١١١) ورغم محاولات الفاطميين الدائبة لرفعها والحلول محل الروم
كحماة لحلب .

ولئن كان الفاطميون ينفون سيادة فعلية على حلب فإن الروم لم يحل الضد
منهم - لم يكن يهمهم سوى استمرار ولايتهم الإسمية على حلب وتتابع ورود
جزيتها السنوية التي قطعها الفاطميون وكانت تأتيهم منها منذ سنة ٣٥٩ هـ (٩٦٩ م)
أيام الحمدانيين وغلماهم .

حواشى التمهيد

(١) عن هذا اليوم وذكره فى القرآن أنظر : الطبرى : تفسير الطبرى المسمى جامع البين عن تأويل آى القرآن ، ج ١٤ ، تحقيق محمود وأحمد محمد شاكر ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٥٨ م ، ص ١٧٨ - ١٨٩ ، المحلى : تفسير الجلالين ، مطبعة عبد الرحمن أفندى بحوش قدم ، القاهرة ١٣٤٦ هـ ، ص ١٥٧ - ١٥٨ .

(٢) راجع ابن خلكان : وفیات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج ١ ، تصحيح محمد بن عبد الرحمن قطة البدوى ، دار الطباعة الميرية المصرية ، القاهرة ١٢٧٥ هـ ، ص ٣٢٣ ترجمة أسد الدولة أبى على صالح بن مرداس بن إدريس الكلانى . وجده الأول هو : إدريس بن نصير بن حميد بن مدرك بن شداد بن عبيد بن قيس بن ربيعة بن كعب بن عبد الله بن أبى بكر بن كلاب . المصدر نفسه ، ج ١ ص ٣٢٣ .

(٣) راجع البلاذرى : أنساب الأشراف ، ج ١ ، تحقيق الدكتور محمد حميد الله ، مجموعة ذخائر العرب (٢٧) ، نشر معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالاشتراك مع دار المعارف ، القاهرة ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٩ م ، ص ٨ ، ٢١ .

(٤) راجع الحازمى : حجالة المبتدى وفضاله المنتهى فى النسب ، تحقيق عبد الله كنون ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٥ م ، أنساب (جمدى ص ٤١ ، حرشبه ص ٤٧ ، خفاجى ص ٥٧ ، عامرى ص ٨٨ ، عبادى ص ٩٠ ، عقيل ص ٩٣ ، قشيري ص ١٠٤ ، قيسى ص ١٠٥ ، كعبى ص ١٠٦ ، كلابى ص ١٠٧ ، نميرى ص ١١٨ ، هلالى ص ١٢٣ ، هوازى ص ١٣٣) . وعن القبائل الهلالية : أنظر : تغريبة بنى هلال ورحيلهم إلى بلاد المغرب وحرورهم مع الزناتى خليفة ، ط ١ ، دار عمر أبى النصر ، بيروت ١٩٧١ م ، ص ٥٢ ، ٥٣ ومواضع أخرى

متفرقة، ابن الأثير: السكال في التاريخ، ج ٩، دار صادر - دار بيروت،
 بيروت ١٩٣٨٦/١٩٦٦، ص ٥٦٦ - ٥٦٧، ابن عذارى: البيان المغرب في
 أخبار المغرب، ج ١، نشر مكتبة صادر، مطبعة المناهل، بيروت ١٩٤٧ -
 ١٩٥٠م، ص ٤٢٥، ابن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام
 العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر، ج ٦، طبعة
 بولاق، القاهرة ١٢٨٤هـ/١٨٦٧م، ص ١٦ - ١٧، ٢٢، ٢١ - ٢٢، ٤٠،
 ٤١، ٤٩، ٥١، ٥٨. وللاستزادة والإلمام بها جميعا راجع: ابن خلدون،
 ج ٦ ص ١٢ - ٥٨ واعتبر النصحيح في ضنبر حيث يأتي مرة (ص ١٤) على شكل
 ضنبر، وأخرى (ص ١٤) على شكله صغير. ولا تدبر عين اليقين أى القراءات
 الثلاث هى الصحيحة وإن كنت أميل للرسم ضنبر. وجدد بالذكر أن مرداس
 هلال ومرداس سليم (نسبتا إلى مرداس بن عوف بن سليم أخى هوازن) هما
 اللذان دخلتا المغرب (راجع المصدر السابق، ج ٦ ص ١٦، ٢٢، ٧٢)
 ولا علاقة لمرداس كلاب به، وأن رئاسة رياح وقت دخولها المغرب كانت في
 عشيرة ضنبر المرادسية، وكان شيخها موسى بن يحيى الضنبرى (المصدر نفسه،
 ج ٦ ص ١٤، ١٦، ١٩، ٢١، ٢٢) الذى يورد ابن الأثير (ج ٩ ص ٥٦٧،
 ٥٦٨، ٥٦٩) وابن عذارى (ج ١ ص ٤١٧، ٤١٨) اسمه الأول برسم مؤنث،
 ويورده المقرئ (إعطاء الحنفيا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق الدكتور
 جمال الدين الشيال، نص منه ضميمة على مقال سياسة الفاطميين نحو المغرب
 والاندلس، الدكتور أحمد مختار العبدادى، صحيفة المعهد المصرى للدراسات
 الإسلامية في مدريد، م ٢، العدد ١ - ٢، مدريد ١٣٧٣هـ/ ٢٩٥٤م، ص ٢٤)
 مرة على هذا الرسم، وأخرى على رسم يونس. والراجح عندى قراءة ابن خلدون
 التى هى موسى.

(٥) الحازمي : عمالة المبتدئي ، أنساب (جعفرى ص ٤٠ ، روائى ص ٦٦ ، ضبابى ص ٨٣ ، وحيدى ص ١٢١) . والشباب لقب ببنى بنية ، وهم : مضب ، وضب ، وضباب ، وحمل ، وحسيل بنو عمرو بن معاوية بن كلاب : المصدر نفسه ، ص ٨٣ نسب الضبابى .

(٦) من نسل كعب هذا ، وهو ابن عبد الله بن أبى بكر بن كلاب ، يتسلسل نسب بنى مرداس . راجع : ابن خلكان ، ج ١ ص ٣٢٣ .

(٧) راجع الدكتور محمد مرسى الشيخ : الإمارات العربية فى الشام فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر الميلاديين ، ط ١ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الإسكندرية ١٩٨٠ م ، ص ٢١ - ٢٤ ، ٦٦ ، ٩١ ، ٩٣ .

(٨) أنظر : المرجع السابق ، ص ٩٢ - ٩٣ ملاحظ أن مؤلفه يحمل الرتبة فى شمال العراق ، ربما لأنها أدنى مدن ديار مصر بإقليم الجزيرة فى شمال العراق ، وكذا .

Islamic Surveys 5, The Islamic dynasties, G. E. Bosworth, Edinburgh, University press, 1967, p. 67, Lane-poole, Muhammadan dynasties, Paris, 1925, p. 114, M. Canard, Histoire de la dynastie des Hamdanides de Jazira et de Syrie, Paris, 1953, p. 712.

والحلة (بالكسر ثم التشديد) فى اللغة : القوم النزل وفيهم كثرة . بنى المعاجم الجغرافية : علم على عدة مواضع فى جنوب العراق ، أشهرها حلة بنى يزيد وبين الكوفة وبغداد وكانت تسمى الجامعين ، وحلة بنى قبيلة بين واسط والبصرة ، وحلة بنى ديبس قرب الحويزة من ميسان بين واسط والبصرة والأهواز . أنظر

ياقوت : معجم البلدان ، م ٢ / ج ١ ، طبعة فرديناند وستنفلد Ferdinand Wustenfeld ، ليزج Leipzig ١٨٦٧ م ، ص ٢٢٢ - ٢٢٣ .

(٩) كذا اعتبر مذهب الرداسيين بالتحديد فيها من نص لياقوت (معجم البلدان ، م ٢ / ج ١ ص ٣٠٧ مادة حلب) يقول : « والفقهاء (بحلب) يفتنون على مذهب الإمامية » .

Cf. Bosworth, The Islamic dynasties, p. 57. (١٠)

والقراطه م : أتباع الداعي حمدان بن الأشعث الملقب بقرمط (٢٩٣هـ/٨٩٥م) .
وقيل في تفسير هذا اللقب أن حمدان كان يقرمط في سيره إذا مشى ، أى يقارب بين خطواته . وقيل أنه كان أحمر البشرة فشبه بالقرمذ ، وهو الطوب الأحمر (الآجر) . والقرمط لفظ يوناني معرب من كيراميدى Keramidi يقرب في النطق من قرمط . وقيل في الاشتقاق اللغوى للفظ قرمط أنه من إقرمط (بكسر الالف وسكون القاف وفتح الراء وتشديد الميم مع فتحها) ، أى غضب وعبس .
وقيل أنه لفظة آرامية (نبطية) مأخوذة إما من قرمطونا (بضم القاف) ، بمعنى المدلس أو الخبيث أو المكر أو المحتال ، وإما من قرمطا ، وهو التدليس أو الخبث أو المكر أو الاحتيال ، لما اشتهر عنهم من هذه الأمور . ولا جرم أن هذه التسمية لم يتخذا القرامطة أنفسهم بل يرم بها خصومهم في المذهب .
حاشية الدكتور جمال الدين الشيال رقم ١ ص ٣٠ على المقرئى في اتعاظ الحنفا ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م وللاستزادة يمكن مراجعة :

De Goeje, Mémoire sur les Carmathes du Bahrain et les Fatimides, Leyden, 1886.

- أما السواد فهم اسم سميت به قرى العراق لكثرة خضرتها ، إذ العرب تقول لكل أخضر أسود . الرزى : غتبار الصحاح ، ترتيب محمود خاطر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٦ م ، ص ٢١٣ .

- (١٦) نسبة إلى بلدة بونطية (بيزانتيوم) Byzantium القديمة الواقعة بإقليم تراقيا Thracia الجبلى عند التقاء الضفة الأوربية لمضيق البوسفور (بوسفوروس) The strait of Bosphorus ببحر مرمرة The Marmara Sea (برونطس Propontis قديما) . وقد أنشأ الإمبراطور قسطنطين الأول أو الأكبر (قسطنطينوس ماجنوس) Constantinus I Magnus (٣٠٦ - ٣٣٧ م) مكانها فيما بين سنتي ٣٢٤ و ٣٣٠ م مدينة القسطنطينية (قسطنطينوبوليس) Constantinopolis أو رومية الجديدة Roma Nova ، كما كانت تسمى ، واستعصمها هو وخلفاؤه من بعده أحد عشر قرنا وزيادة إلى أن غشيتها جهافل الأتراك العثمانيين بقيادة السلطان محمد الثاني الفاتح (٨٥٦ - ٨٨٥ هـ / ١٤٥٢ - ١٤٨١ م) في سنة ٨٥٧ هـ (١٤٥٢ م) واستولت عليها ، وسقط آخر أباطرتها القسطنطين الحادى عشر بالايولوجوس Constantinus XI Palaeologus (٨٥٢ - ٨٥٧ هـ / ١٤٤٨ - ١٤٥٣ م) قتلا خلال المعركة . ومنذ ذلك الحين تغير اسمها إلى إلامبول (إسلامبول) Islampolis ، أى مدينة الإسلام ، ثم تحرف على السنة العامة إلى إستانبول (إستانبول) أو إسلامبول (إسطنبول) . من القسطنطينية وتأسيسها أنظر :

Bréhier, 'Constantin' et la fondation de Constantinople,
Rev. hist., t. CXIX, Paris, 1915.

وعن طوبوغرافيتها أنظر :

Mordtmann, *Esquisse topographique de Constantinople*, Paris, 1892, Oberhümmer, *Constantinopolis*, Paris, 1899, Ch. Diehl, *Constantinople*, Paris, 1924.

وعن فتحها أنظر :

الدكتور محمد مصطفى صفوت : السلطان محمد الفاتح قاطع القسطنطينية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٤٨ م .

وراجع باقوت : معجم البلدان ، م ٤ / ج ١ ، طبعة ويستفيلد ، ليدزج ١٨٦٩ م ، ص ٩٥ مادة قسطنطينية .

(٢٢) تجعل موسوعة كامبردج للتاريخ الوسيط بداية تاريخ بزنطية الحقيقي بتولي إليون (ليون) الثالث الأيزوري Leo III the Isaurian العرش في سنة ٧١٧ م (٥٩٩) .

Cf. *Cambridge Medieval History*, vol. IV : *The Eastern Roman empire (717 — 1453)*, Cambridge at the University Press 19١3.

(١٢) العبيدية أو العبيديون أو بنو عبيد جميعها تسميات أطلقها الكتاب المسلمون السنيون على الفاطميين الإسماعيلية المذهب لمعاداتهم إياهم . وهي نسبة إلى أول خلفائهم بالمغرب أبي محمد عبيد الله (ويقال عبد الله) المهدي (٢٩٦ - ٣٢٢ / ٩٠٩ - ٩٣٤ م) . ويصدقون بذلك نفهم من النسب الشريف إلى ذرية الإمام علي بن أبي طالب (٤٠ / ٦٦١ م) من السيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول (١١ / ٦٢٢ م) راجع الدكتور محمد أحمد عبد المولى : القوى السنية في المغرب من قيام الدولة الفاطمية إلى قيام الدولة الزيرية ، رسالة

دكتوراه ، كلية الآداب بجامعة الاسكندرية ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ، ص ١٦ - ١٧

وهامش ١ ، ص ٥٤ - ١٠٤ ، ١٤٩ - ١٥٠ ، ٢٠٩ وهامش ٤ .

(١٤) نسبة إلى إقليم مقدونيا Macedonia ، شمال اليونان .

(١٥) لقب في اليونانية معناه الملودون في الثياب الأرجوانية .

Cf Diehl, Histoire du moyen age, t. III : Le monde oriental de 395 à 1081, Mélanges G. Marcais, 1re Sect. par Diehl : Histoire byzantine, Paris, 1944, ch. 1X, p. 445
 كناية على بلب الأصل وعراة المنبت .

(١٦) لفظ لا تبنى معنائه : أليف ، لطيف ، غير أجنبى ، خادم البيت

أو الأسرة ، Cf. Charlton T. Lewis and Charles Short, A Latin dictionary, Clarendon press, Oxford 1945, p. 607.

استخدم كلقب لقادة الإسكندرولارية (إسكولاريوس) Scholarios
 أى الحرس الإمبراطورى .

Cf. Henry George Liddell and Robert Scott, A Greek — English Lexicon, Clarendon press, Oxford, 1973, p. 1747.

وكانت قوات الحرس - وتسمى تاجماتا Tagmata - ترابط بالعامية وضواحيها ، وتتشكل من أربع كتائب من الفرسان وفرقة ملحقة بها من المشاة . ومنذ النصف الثانى من القرن العاشر الميلادى (ق ١٠٤٠) صار هناك دمشق الشرق وآخر الغرب . على أن القيادة العامة للجيش كانت للإسكولاريخيس Scholarches ، وهو قائد كنيية الحرس المعروفة بالإسكولايه Scholai (جمع إسكولاستيريون Scolasterion في اليونانية ، وإسكولا scola في اللاتينية

grand (A.L. dict., p. 1748. الذي كان يلقب بالدمستق الكبير
domestique, Fr., grand domestic, Eng.

Cf. Diehl, Le monde Oriental, 1re Sect., Ch. X,
pp. 497, 498, 500, 501

وإذا قارنا رتبة دمستق الإسكوليه بما لدى المسلمين من رتب لوجدناها تعادل
رتبة أمير الأمراء التي استحدثها العباسيون أو رتبة أمير الجيوش التي استحدثها
الفاطيون . أما في أيامنا هذه فهي تساوى رتبة للشير (فيلد مارشال)
. Field — Marshal

(١٧) الاسم الأول وهو ديمى ، كما ورد في القرآن في سور : آل عمران
٢٩ / ٣ ، والانسام ٨٥ / ٦ ، ومريم ١٩ / ٧ ، ١٢ ، والانبيا ٢١ / ٩٠
(محمد فزاد عبد الباقي : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، مطبعة دار
الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٦٤ هـ ، ص ٢٢٥ مادة ح ي) تعريب للإسم
البري يوحنا Johanan ، ومعناه عطية الرب (يسوة) الطيبة
gracious gift of Jehovah . وربما كان تعريفا لصورته القبطية وهي
Joannas ، أو الآرامية (النبطية) وهي يوحنا Johanna ، أو السريانية
وهي سنا Hanna . وحنة الرجل : إمرأته (مختار الصحاح ، ص
١٦٠) . وهو في اليونانية : إيوانيس Ioannes ، وفي اللاتينية :
يوانيس Joannes or Joannis ، وفي الإيطالية : هانس (A.L. dict.,
(Joanes Oxford, 1969, p. 1013 ، وفي الإنجليزية : جون John ،
وفي الفرنسية : جان Jean وفي الألمانية جوهانس Johannes ، وفي
الاسبانية : خوان Juan . ويأسم هذا الامبراطور في رسمه اليوناني سميت
مدينة برسلاف prslav عاصمة بلاد البلغار في ذلك الحين إيوانوبوليس

Ioanounpolis ، أى مدينة إيوانيس أو الإيوانيسية ، وكان قد ملكها في سنة

٢٦١ م (٩٧١ م) . Cf. Can b, Med. Hist., Vol. 17 p. 240

أما القلب ، وهو الشمشقيق (بكسر أوله وثانيه وسكون ثالثه) فقد أخذناه من ابن الأثير (ج ٩ ص ٤٩٧) حوادث سنة ٤٢٣ م (١٠٤١ / ١٠٤٢ م) الذى سبق أن أشار إليه (ج ٨ ، دار صادر - بيروت ١٣٨٦ م / ١٩٦٦ م) فى حوادث سنة ٤٢٥ م (٩٦٢ م) قائلا : ووصار ابن شمشقيق دمستقا ، وهو الذى يقول له العامة إن الشمشكى ، وهو برده على هيئة شومو شقيق عند ابن العبري (تاريخ مختصر الدول ، ص ١٦٩) . والشمشقيق كلمة أرمنية معناها قصير القامة (هاش ١ ص ١٦٩ لناشر ابن العبري) لأن هذا الإمبراطور كان أرمنى الأرومة . وهى معرب تشميشكيك Tchemechkek أو تشميشا جويج Tchémeschaguig التى حرفها الروم إلى زيميسكيس Tzimisces (الدكتور عمر كمال توفيق : مقدمات العدوان الصليبي ، الإسكندرية ١٩٦٦ م ، ص ٢١ وما بعدها) .

Matthieu d'Edess, Extraits de la Chronique de Matthieu (١٨)

d'Edesse, ed. R. - H. G. — Doc. Arm., t I, paris, 1869
(pp. 1 — 160) pp. 13 — 20.

شايح متى الزهاوى فى رأيه عدد من المؤرخين المحدثين منهم : الدكتور حسن حبشى (الحرب الصليبية الأولى ، ط ١ ، القاهرة ١٩٤٧ م ، ص ١٩) ، والدكتور عمر كمال توفيق (الإمبراطور تقفور فوكاس واسترجاع الاراضى المقدسة : ٩٦٣ - ٩٦٩ م ، الإسكندرية ١٩٥٩ م ؛ ص ٦ - ٨ ، ٤٧ - ٤٨ ، مقدمات العدوان الصليبي ، ص ٧٨ تاريخ الدولة البيزنطية ، الإسكندرية ١٩٦٧ م ،

ص ١١٥) ، والدكتور سفيد عبد الفتاح عاشور (الحركة الصليبية ، ج ١ ،
القاهرة ١٩٦٢ م ، ص ٦٥ - ٦٦) .

(١٩) استمرت أنطاكية بأيدي الروم إلى أن استنفذها منهم بالإمان سليمان
بن شهاب الدولة قتلش (ويقال قتلش أو قتلوش أو قتلومش) بن أرسلان
بغو السلجوقي (٤٧٠ - ٤٧٩ هـ / ١٠٧٧ - ١٠٨٦ م) جد سلاطين سلاجقة
الروم The Seljuqs of Rum بآسيا الصغرى (٤٧٠ - ٥٧٠ هـ / ١٠٧٧ -
١٣٠٧ م) في شعبان سنة ٤٧٧ هـ (ديسمبر ١٠٨٤ م) ، وكان يحكمها من قبلهم
القائد الأرمني الفردوس ويقال الفيلاردوس (فيلاريوس) Philaretus . هذه
سنة ٤٧١ هـ (١٠٧٨ م) .

أنظر : ياقوت : معجم البلدان ، م ١ / ج ١ ، طبعة وستنفلد ليبزج ١٨٦٦ م ،
ص ٢٨٦ مادة أنطاكية ، ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ، دار صادر - دار بيروت ،
بيروت ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م ، ص ١٣٨ - ١٣٩ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، من
تاريخ حلب ، ج ٢ ، تحقيق الدكتور سامي الدهان ، بيروت ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م ،
ص ٨٧ - ٩١ ، أبا الفدا : المختصر في أخبار البشر ، دار الطباعة الشاهانية ،
قسنطينية ١٢٨٦ هـ ، م ١ / ج ٢ ص ٢٠٥ ، الذهبي : دول الإسلام ، ج ٢ ،
تحقيق فهد محمد شلتوت ومحمد مصطفى إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،
القاهرة ١٩٧٤ م ، ص ٧ ، وكذا R. Grousset, L'empire du Levant, Paris, 1946, p. 179 — 180, Can.b. Med. Hist., Vol. V, p. 263.
وبقيت أنطاكية في حوزة السلاجقة إلى أن ملكها الصليبيون من متواليها ياغي
(ياغي ؟) سيان بن محمد بن ألب التركاني (٤٧٩ - ٩١ هـ / ١٠٨٧ - ١٠٩٨ م) بحملة
تمت عليه في جمادى الأولى سنة ٤٩١ هـ / يونيو ١٠٩٨ م (ياقوت م ١ / ج ١

ص ٢٨٧ ، ابن الأثير ، ج ١٠ ، ص ٢٧٤ - ٢٧٥ ، الذهبي ، ج ٢ ص ١٩ -
(٢٠) ، ثم عادت وتأيدت للسليمن منذ أن استردها السلطان المملوكي الملك الظاهر
ركن الدين أبو الفتوح ليبرس البندقداري (٦٥٨ - ٦٧٦ هـ / ١٢٦٠ - ١٢٧٧ م)
في سنة ٦٦٦ هـ / ١٢٦٨ م (الذهبي ، ج ٢ ص ١٧٠) .

(٢٠) مسكوية : تجارب الأمم وعواقب المهمم ، ج ٢ (يحتوي على حوادث
أربعين سنة : ٣٢٩-٤٢٩) ، نسخ وتصحيح هـ . ف. أمدرود H. F. Amedroz ،
مطبعة القطن الصناعية ، القاهرة ١٣٣٣ هـ / ١٩١٥ م ، ص ٢١٠ - ٢١٢ ، ابن
الأثير ، ج ٨ ص ٥٦٠ - ٥٦١ حوادث سنة ٣٥٤ هـ (٩٦٥ م) ؛ ص ٦٠٣ - ٦٠٤
حوادث سنة ٣٥٩ هـ (٩٦٩ م) ، ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ١ ، تحقيق الدكتور
سامي الدهان ، بيروت ١٣٧٠ هـ / ١٩٥١ م ، ص ١٦٣ - ١٦٨ ، الدكتور السيد
الياز العريني : الدولة البيزنطية (٣٢٢ - ١٠٨١ م) ، دار النهضة العربية ، القاهرة
١٩٦٠ م ، ص ٤٢١ - ٤٢٦ ، ٤٩٢ ، الدكتور محمد جمال الدين سرور : سياسة
الفاطميين الخارجية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٧ م ، ص ٢٣٩ ،
أرشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط (٥٠٠ -
١١٠٠ م) ترجمة أحمد محمد عيسى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦٠ م ،
ص ٢٩٧ ، وكذا

Schlumberger, Un empereur byzantin au Xe Siècle :
Nicéphore phocas, paris 1870, p 695 — 732, Camb. Med. Hist.,
Vol IV, pp. 145 — 146 & Vol. V. : Cantest of empire and
Papacy, Cambridge at the university Press 1926, pp. 246 -247,
Vasiliev, Histoire de l'empire byzantin, t. 1, traduction fran-
çaise par P. Bordin et A. Bourguina, Paris 1932, P. 469, Diehl,

Op. Cit., ch. IX, p. 468 — 469, G. Marçais, Le monde Oriental de 395 a 1081, Mélanges ch. Diehl, 2e Sect : Le monde musulman, Paris 1944, ch. VIII, p. 394, Canard, op. cit , p 833.

ووقع إنفاق الصلح مع قرغوية (٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م) من جانب الروم الطربازى (إستراتويدارخ) Stratopedarch أى قائد قوات المشاة بطرس فوقاس (بتروس فوكاس) Petrus Phocas ، وتمهديه قرغوية بمساعدة الروم فى محاربتهم لغير المسلمين ، وأن ييسر لهم الحصول على الميرة إذا أرادوا الفزاة . كما تعهد بتجديد عمارة الكنائس التى خربت ، وحماية النصارى فى بلاده ، وتأمين قوافل الروم التجارية أثناء مرورها بدياره . واتفق أيضا على أن يلى قرغوية وغلامه بسكجور حلب فى حياتها ، وبعد ذلك يحق للإمبراطور الروم أن يعين أمير حلب من بين ساداتها . وتم إعداد ترتيبات خاصة لتسليم العبيد الآبقين . وقد فصح الترافطة سر هذا الاتفاق المشين عندما وقعت وثيقته فى أيديهم عقب إغتيال الإمبراطور نقفور فى ٢٧ محرم (١١ ديسمبر ٩٦٩ م) .

٨ ج ١٤٦. Cf. Can.b. Med. Hist., Vol IV, p. 146. وراجع ابن الأثير ، ج ٨

ص ٦٠٤ .

(٢١) أنظر : الروخراورى (ذيل كتاب محارب الأمم ، ج ٣ ، يحتوى على حوادث ٢٥ سنة من ٣٩٣ هـ إلى ٣٩٢ هـ ، طبعة هـ . ف أمدرود ، مطبعة التقدم الصناعية ، القاهرة ١٣٣٤ هـ / ١٩١٦ م ، ص ٢١٧) ؛ وابن الفلاحى (ذيل تاريخ دمشق ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ١٩٠٨ م ، ص ٤١) . حيث الإشارة إلى ما بين إمبراطور الروم باسيل الثانى Basil II (٣٦٦ -

٤١٩ هـ / ٩٧٦ - ١٠٢٥ م) وبين سعد الدولة وإبنه سعيد الدولة من المعاهدة والمأفدة ، وكذا :

Marcais, op. cit., pp. 394-396, Camb. Med. Hist., Vol. V, p. 350, وعن تغلب قرغوية وغلामه بكجور على سعد الدولة راجع : ابن القلانسي (ص ٢٧ - ٣٠) حيث قلد سعد الدولة مولاه بكجور حصص قاعدته الثانية لانيادته إلى الطاعة ، فظل بها بكجور إلى أن استوحش منه في سنة ٣٧٢ هـ (٩٨٢ م) وولى للخليفة الفاطمي العزيز بالله أبي منصور نزار (٣٦٥ - ٣٨٦ هـ / ٩٧٥ - ٩٩٦ م) دمشق إلى سنة ٣٧٧ هـ (٩٨٧ م) . وراجع ابن العديم (ج ١ ص ١٧٠ - ١٧١) حيث منح سعد الدولة الكلابيين الذين آزره إقطاعا بمحصر ففرغ لذلك بالإقطاع ، الجصى . . وقد عاد بكجور إلى حكم حصص بإسم سعد الدولة في سنة ٣٧٩ هـ (٩٨٩ م) ، ولكنه لم يلبث أن خرج على طاعته في سنة ٣٨١ هـ (٩٩١ م) ، فأوقع به سعد الدولة عند بلدة الناعورة على نهري قوين المار بحلب ، وقتله ، وصلبه . الروذراوى ، ص ٢١١ - ٢١٣ ، ابن القلانسي ، ص ٣١ - ٣٨ ، ابن العديم ، ج ١ ص ١٧٩ .

(٢٢) سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ، مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٩٢٧٦ ح ، ج ٨ ورقة ٧٧ . وكذا Camb Med. Hist , Vol. V, p. 254. وإسم لؤلؤ أخذناه عن ابن الأثير (ج ٩ ص ٨٦) حوادث سنة ٣٨١ هـ (٩٩١ / ٩٩٢ م) . وهو عند الروذراوى : مرة (ص ٢١٠) لؤلؤ الجراحى الكبير ، وأخرى (ص ٢١٦) لؤلؤ الجراحى ، وزاد ابن القلانسي (ص ٢٤ ، ٢٦ ، ٢٧) على ما جاء به الروذراوى النص على كنية لؤلؤ وهى أبو محمد . أنظر كذلك إسماعيل عند ياقوت (م ٤/ج ١ ص ٢٨٠ مادة كفر روما) وهى : لؤلؤ السيفي

المعروف بالجرأحي : دوقه مدبولسني . نسبته إلى مسيده الامير هيفه الدولة الحمداني .

(٢٣) نسبته إلى مولاه معز الدولة أبي الحسين أحمد بن بويه الديلمي (٢٣٤-٢٥٦ هـ / ٩٤٥-٩٦٦ م) . أسألفه الخليفة العزيز بالله الفاطمي واصطنعه بعد أن غلبه في سنة ٣٦٨ هـ (٩٧٨ م) . غير أن وزيره أبا الفرج يعقوب بن يوسف بن كلس اليهودي الأصل (٣٦٨-٤٢٨ هـ / ٩٧٩-٩٩٠ م) دأبه لمناقصته إياه ، وحرض عليه من فلك به في سنة ٣٧٢ هـ (٩٨٢ م) . أنظر عنه ابن القلانسي ، ص ١١ - ٢١ ، الدكتور محمد جمال الدين سرور : النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق في القرنين الرابع والخامس بعد الهجرة ، ط ٢ ، القاهرة ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٩ م ، ص ٤٢ ، الدكتور حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب ، ط ٣ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦٤ م ، ص ١٥٧ - ١٦٣ ، ٢٩٩ - ٤٠٠ ، الدكتور السيد عبد العزيز سالم : طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي ، دار المعارف ، الإسكندرية ١٩٦٧ م ، ص ٥٤ هامش ٥٧ .

(٢٤) أنظر : ابن القلانسي ، ص ١٢ - ١٤ . حوادث سنة ٤٦٢ هـ (٩٧٣ / ٩٧٤ م) وما بعدها مع اعتياز رسم أفتكين عزمه هو المفتكين ، بطرابلس الشام ، ص ٥٢ - ٥٦ ، وكذا

Cf. Schlumberger, L'épopée byzantine à la fin du Xe Siècle, t. 1 : Jean Tzimiscès, les Jeunes années de Basil II (969-989), Paris 1876, p. 282 sqq., Camb. Med. Hist., Vol. IV, p. 148 & Vol V, p. 249; Diehl, op. cit., ch. IX, p. 473.

وأنظر أيضا : القوي البحرية ، ص ٣٠١ .

ذكر ياقوت (م ٢/ج ١، ص ٢٥ - ٢٦) في مادة جبلة (بالفتح) تاريخاً مختصراً لما جاء فيه أن الروم ملكوها في سنة ٢٥٧ م (٩٦٨ م)، أى في عهد نفقور فوقاس لا في عهد الشمشقيق، وأنها بقيت معهم إلى سنة ٤٧٣ م (١٠٨٠ م)، ثم وثب عليها قاضيا أبو محمد عبد الله بن منصور بن الحسين التنوخى المعروف بابن صليحة (صليحة ٤)، واستعان بجلال الملك (الدين ٤) أبى الحسن على بن محمد بن عمار صاحب طرابلس (٤٦٤ - ٤٩٢ م / ١٠٧٢ - ١٠٩٩ م)، ففتقوا به على من بها من الروم، وأخرجهم منها إلى طرابلس، وحكمها بإسم جلال الملك بن عمار. ثم اغتصبها طنكرى (تنكريد) Tancred النورمانى أمير أنطاكية الصليبي (٤٩٨ - ٥٠٦ م / ١١٠٤ - ١١١٢ م) من فخر الملك أبى على الحسن أخى جلال الملك بن محمد بن عمار (٤٩٢ - ٥٠٢ م / ١٠٩٩ - ١١٠٩ م) فى الثانى والعشرين من ذى الحجة سنة ٥٠٢ م (يوليه ١١٠٩ م). وأخيرا (استودعها الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب سلطان مصر والشام ٥٦٧ - ٥٨٩ م / ١١٧١ - ١١٩٣ م) بالأمان فى تاسع عشر جمادى الآخرة سنة ٥٨٤ م (١١٨٨ م).

(٢٥) عن أخبار أمراء بنى جفنة الغساسنة راجع أبا الفدا : المختصر فى أخبار البشر، م ١/ج ١، دار الطباعة الشاهانية، القسطنطينية ١٢٨٦ م، ص ٧٦ - ٧٧، ابن خلدون : العبر، ج ٢، طبعة بولاق، القاهرة ١٢٨٤ م / ١٨٦٧ م، ص ٢٧٨ - ٢٨٢، الدكتور حسن إبراهيم حسن : التاريخ الإسلامى العام (الجاهلية - الدولة العربية - الدولة العباسية)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٧١ م، ص ٨٨ - ٩٤، وكذا

G. Marcais, Histoire du moyen age, t. III : Le monde oriental de 395 a 1081, Mélanges ch Diehl, 2e Sect. par Marcais : Le monde musulman, pp: 163 - 164.

وللاستزادة يمكن مراجعة:

Th Noldeke. Die Ghassâniden Fürsten am dem Hause Gafnâ's, dans Abhandlungen der preussischen Akad. der wiss., 1887, R. Dussaud, Les Arables en Syrie avant l'Islam, Paris 1907.

(٢٦) النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق، ص ١٧ .

(٢٧) إتمام الحنفا، ص ١٦٨ ، ١٧٢ - ١٧٨ .

(٢٨) الأنطاكي : صلة كتاب أوتينا المسمى التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ، بيروت ١٩٠٩م ، ص ١٧٤ ، ابن تفرى بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج ٤ ، ط ١ ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٢٢ / ٥ ، ١٩٢٣م ، ص ١٥١ - ١٥٢ ، وكذا

Schlumberger. E'popée byzantine à la fin du Xe Siècle, t II : Basile II le tueur de Bulgars, Paris 1900, pp. 74 — 75, Lane — Poole, History of Egypt in the middle ages, London 1901, pp. 147 — 148,

(٢٩) راجع : الأنطاكي ص ١٧٤ - ١٧٦ ، الروذراوى ، ص ٢١٧ - ٢٢٠ . حوادث سنة ٢٨١هـ (٩٩١ / ٩٩٢م) ، ابن الفلانى ، ص ٤١ - ٤٤ .
حوادث السنة نفسها ، وكذا

Schlumberger, op. cit., II, pp. 73 — 86, Vasiliev, op. cit., t. I, p. 412, Grousset, op. cit., p. 124, Camb. Med. Hist., Vol. V, p. 261.

(٣٠) كلمة لا تينية الأصل معناها قائد أو أمير. أورئيس على دوقية (دوكانوس) Ducatus ، أى منطقة عسكرية (A L. dict., p. 615) .

وهي في العربية دوقس (الروذروري ، ص ٢٢٨ حوادث ٣٨١ / ٩٩١ - ٩٩٢ م ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٢٠ حوادث ٣٨٦ / ٩٩٦ م) ، وفي الإنجليزية ديوك *duke* ، وفي الفرنسية دوك *duc* ، وتعرب الأخير إلى دوق . وقد أصبحت لقباً لحاكم الروم العسكى على أنطاكية . وكانت هذه المدينة تدخل ضمن نظام الثغور (ثيمات) *themes* عند الروم . وقد اعتبروها بمثابة دوقية . وكانت قوات الأقاليم أو الثغور وتسمى ثيماتا *themata* تتشكل من فياتى تعداد الواحد منها ما بين أربعة آلاف وعشرة آلاف ، ويتولاهما قادة يحمل كل منهم رتبة إستراتيجوس *Strategus* العسكرية ، وتساوى رتبة الألواء *major general* (*A Gr. Eng. lexicon, p. 1652*) ، ولقب بطريق (باتريكيوس) *Patricius* الفخرى ، ومعناه نبيل أو شريف (*A L. dict., p. 1315*) . وإلى جانب هذا اللقب ظهرت ألقاب أخرى فخرية ، فالتخذ قائد ثغر الألبى (أو بى كيون) *Opsikion* وحاضرتة بيقية (نيكانيا) *Nicaea* على ساحل بحر مرمرة لقب قومصر (قصص) *Comes* (كومت) في الإنجليزية وكونت *Comte* في الفرنسية ، وقت عزب النطق الفرنسى إلى كد وكند وقند) ، أى رفيق أو صديق أو زميل أو شريك (*Op. cit, p. 373*) ، وقائد ثغر الأنطاكيات أو الافتياق (أو بتيانون) *Optimaton* وحاضرتة نيقوميديا *Necomedia* على الشاطئ الآسيوى للبوسفور لقب اللبستق شأنه شأن قادة للتاجماتا . أما المنطقة التى لا ترقى إلى مستوى الثغر فكانت لتأخذها الإمبراطورية - على سبيل المثال - لقب دوق فى كل من أنطاكية إسماعيل الشام وبأريستريون *Patriarion* ، وهى بلاد البلمار (البلغر) الدانوبية (نسبة إلى نهر الدانوب *Danube* المسمى دانيوبوس *Danubius* - أو إستير *Ister* قديماً) ، ولقب قطبان (كتيبايون) *Katabainon* (كتيبان *Catapan*

بالإنجليزية ، وكاتيبان بالفرنسية) : أى مقدم الجيش أو العسكر
(A Gr. Eng lexicon, p. 884) فى إيطاليا ، ولقب بروثوليس
Pronotes بمعنى كاشف (op., cit. p. 1490) فى غرب بلاد البلغار .

Cf. Diehl, Le monde oriental, 1 re. Sect, ch. x; pp: 460,
497-501, et L'origine du régime des themes dans l'empire
byzantin, Etudes byzantines, Paris 1905, p. 464

(٢١) أرخ مؤرخو البيزنطيات من كتاب الغرب هزئة البرجى بالسنة الثمينة

Cf. Camb. Med. Hist., Vol IV, p. 149 & vol V, p. 251,
Schlumberger, op cit., II, p 86, Ostrogorsk, History of the
byzantine state, eng. trans. by Joan Hussey, Oxford 1866,
p. 213, Grousset, op. cit., p 124.

وأرضها مؤرخو الإسلاميات فى حوادث سنة ٣٨١ هـ (٩٩٢/٩٩١ م) . أنظر :
الأنطاكي ص ١٧٤ - ١٧٦ ، الروذراوى ، ٣١٧ - ٢١٩ ، ابن القلانسى ،
ص ٤١ - ٤٢ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ٨٩ ، ابن تفرى بردى ، ج ٤ ص ١١٩ -
١٢٠ . وقد أخذ الدكتور محمد الشيخ (الإمارات العربية ، ٨١ - ٨٢) براوية
كاتبى البيزنطيات مع أنه اعتمد رواية ابن القلانسى ، فى حين أخذ الدكتور محمد
جمال الدين سرور (سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ٢٤٠) براوية ابن تفرى
بردى العربية .

(٣٢) تسجل الرواية العربية حملة باميل هذه فى حوادث سنة ٣٨١ هـ / ٩٩١
- ٩٩٢ م (راجع : الأنطاكي ، ص ١٧٦ ، الروذراوى ، ص ٢٢٠ - ٢٢١ ،
ابن القلانسى ، ص ٤٢ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ٨٩) ، فى حين تسجلها الرواية
الفرنسية فى السنة المدونة بالمثنى : أنظر :

Schlumberger, op. cit., II, pp. 87 — 89, Diehl. Le monde Oriental, 1re sect., ch. IX, p. 481, Camb. Med. Hist., Vol. IV, p. 149 & Vol. V, p. 251.

(٢٣) ابن القلاسي، ٤٣، ابن الأثير، ج ٩ ص ٩٠، وكذا :

Schlumberger, op. cit., II, p. 91, Camb. Med. Hist., Vol. V, p. 251.

(٢٤) ذكر ياقوت في مادة رغبة (٢م / ج ٢ ص ٧٩٦) أنها كورة ومدينة من أعمال حمص يقال لها رغبة تدمر، ثم أشار إلى رأى آخر يقول بأنها بلدة عند طرابلس من سواحل الشام. والمرجح أن رغبة طرابلس لا رغبة تدمر هي المقصودة هنا.

(٢٥) الروذراوى، ص ٢٢١، ابن القلاسي، ص ٤٣ - ٤٤، ابن الأثير،

ج ٩ ص ٩٠، وكذا Schlumberger, op. cit., II, pp. 95-96, Camb. Med. Hist., Vol. IV, p. 149 & Vol. V, pp. 251 - 252. راجع الدكتور حسن إبراهيم حسن (تاريخ الدولة الفاطمية، ص ٢٢٦) الذى نص على استيلاء باسيل في حملته هذه على طرابلس، وهو شئ لم يحدث.

(٢٦) تولى برجوان هذا وكان مؤدبا للحاكم منصب الوساطة (الوزارة) في

٢٧ شعبان سنة ٣٨٧ هـ (سبتمبر ٩٩٧ م). وبعد قرابة سنتين وسبعة أشهر شعر الحاكم بقتل وطأته عليه، فأمر بقتله في ٢٦ ربيع الآخر سنة ٣٩٠ هـ (أبريل ١٠٠٠ م). ابن منجب : الإشارة إلى من نال الوزارة، القاهرة ١٩٢٤ م ص ٢٧. أنظر الروذراوى (ص ٢٣٠ - ٢٣٢ حوادث سنة ٢٨١ / ١٩٩١ - ١٩٩٢ م) الذى سرد الاسباب التى حدثت بالحاكم إلى التخلص من أستاذه برجوان (ويكتبه أرجوان) وختما (ص ٢٣٢) بتحديد مقتله في سنة ٣٨٩ هـ (١٩٩٨/١٩٩٩ م).

وقد وافقه ابن القلانسي (ص ٥٥ - ٥٦) ، وابن الأثير (ج ٩ ص ١٢٢ حوادث سنة ٣٨٦ هـ / ٩٩٦ م) في تحديده ، بل ووافقه ابن الأثير في رسم إمم برجوان على صورة أرجوان . والقريب أن الدكتور حسن إبراهيم حسن في كتابه : تاريخ الدولة الفاطمية (هـاشم ٦ ص ٢٠٤ ، ص ٥١٤) ينقل عن الروذراوى ذكره لقتل برجوان في سنة ٣٨١ هـ (٩٩٢/٩٩١ م) وعد ذلك من أغلظه . ويبدو أن سبب هذا اللبس هو إدراج الروذراوى لتاريخ مصرع برجوان في خلال السنة التي أُرِخ بها وسجل فيها جملة حوادث تالية .

(٢٧) ذكر الروذراوى (ص ٢٢٢) أنه استخلف وهو ابن خمس عشرة سنة ، وذكر ابن القلانسي (ص ٤٤) أنه تقلد الأمر وعمره عشر سنين وستة أشهر ، وذكر ابن الأثير (ج ٩ ص ١١٦ ، ١١٨) أنه قام في منصبه وعمره إحدى عشر سنة وستة أشهر . وللعول عندى على رواية الروذراوى لأنها - إذا اعتمدنا موت العزيز في ٢٨ رمضان سنة ٣٨٦ هـ (١٣ أكتوبر ٩٩٦ م) - تعطينا الفهم بأن عمر الحاكم ، يوم قتل برجوان في ربيع الآخر سنة ٣٩٠ هـ (أبريل ١٠٠٠ م) كان يقترب من ١٨ سنة ، وعمره في هذا التاريخ ، حسب رواية ابن القلانسي وابن الأثير ، كان يتراوح بين ١٣ و ١٤ سنة تقريبا . فعلى رواية الروذراوى ، التي تتميز بقدمها أيضا ، نجد الحاكم فى سراحا فى سن الجوع والإندفاع والتهور ، وفي روايتى ابن القلانسي وابن الأثير نجد الحاكم غلاما أمردا لم يبلغ الحلم بعد ، ولا يتأتى له عقلا أن يفنك بمربيه وحاضنه .

(٢٨) الانطاكى ، ص ١٨١ - ١٨٢ ، لروذراوى ، ص ٢٢٦ حوادث سنة ٣٨١ هـ (٩٩٢/٩٩١ م) ، ابن القلانسي ، ص ٥٠ - ٥١ ، القوى البحرية ، ص ٣٠٥ ، وكذا

G. Wiet, *Histoire de la nation égyptienne*, t. IV : L'Égypte.
 Arabes, Paris, 1937, pp. 158 — 199. (ج ٩ ص
 ١٢٠ - ١٢١) الذى ذكر ذلك فى حوادث سنة ٢٨٦ هـ (٩٩٦ م) .

(٢٩) الأنطاكي ، من ١٨٢ ، الروذراورى ، ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ - ٢٢٨
 حوادث سنة ٢٨١ هـ (٩٩٢/٩٩٣ م) ، ابن القلانسي ، ص ٥١ - ٥٢ ، ابن
 الأثير ، ج ٩ ص ١٢٠ - ١٢١ حوادث سنة ٢٨٦ هـ (٩٩٦ م) ، ابن خلدون ،
 ج ٤ ، طبعة بولاق ، القاهرة ١٢٨٤ هـ ، ١٨٦٧ م ، ص ٥٧ . وأنظر ياقوت (١م)
 ج ١ ص ٢٢٢ - ٢٢٣) مادة قامية ، وكذا :

Schlumberger, op. cit., II, p. 110, *Camb. Med. Hist.*, Vol.
 IV, p. 149.

CF Diehl, op. cit., Ire Sect, ch. IX, p. 478. (٤٠)

(٤١) Schlumberger, op. cit., II, pp. 112 - 113. وراجع

الأنطاكي ، ص ١٨٤ .

Ibid., p. 114. (٤٢)

(٤٣) الأنطاكي ص ١٨٣ - ١٨٤ ؛ طرابلس الشام ، ص ٥٩ - ٦٠ ،

الحركة الصليبية ، ج ١ ص ٦٨ - ٦٩ ، وكذا

Schlumberger, op. cit., II, pp. 151 - 152, 155 - 156, *Camb.
 Med. Hist.*, vol. VI, p. 149 & vol V, p. 262. مادة

أبي قيس (م ١ / ج ١ ص ١٠٣) ، مادة مصياب (م ٤ / ج ٢ ص ٥٥٦) ،

مادة عرفة (م ٢ / ج ٢ ، طبعة وبنغلاد ، ليدزج ١٨٦٨ ، ص ٦٥٣) .

(٤٤) الأنطاكي ، ص ١٨٦ - ١٨٧ . وأنظر : ياقوت : مادة أبرتاح (١م)

ج ١ ص ١٩٠) ، مادة كفر عرون (م ١ / ج ١ ص ٢٩٠) ، والدكنور

السيد الباز العريني (الدولة البيزنطية ، ص ٥٩٢) ، والدكتور محمد مرسى الشيخ (الإمارات العربية ، ص ٨٤ ، ٨٥) اللذين يصحفان عزون إلى عوز .

والجزيرة هي جزيرة أقور في شمال العراق ، وسميت الجزيرة لأنها بين دجلة والفرات . وتشتمل على ثلاث كور : أولها من قبل العراق ديار ربيعة ، ثم ديار مضر ، ثم ديار بكر . وأما ديار ربيعة ، وتقع على جوانب دجلة ، فقصبها الموصل ، ومن مدنها : الحديثة ، وأربل ، وسنجار ، وبرقعيد ، ونصيبين ، والعمادية والحسنية ، ورأس العين ، ودارا ، وماردين ، وكفر ثونا (رأس ثونا) ، ونديسر ، وبلد ، وتل أعفر (تلعفر) وأخرمة ، ونواحي جزيرة ابن عمر ومدنها : فيشابور ، وباعينانا ، والمغيشة ، والوزان . وأما ديار مضر ، وتقع في السهل على ضفتي الفرات ، فقصبها الرقة ، وقيل حران ، ومن مدنها : عانة ، والرجبة ، وقرقيسيا (.) ، والخابوقة ، والمحترقة ، والحريش ، وتل محرق ، وباجروان ، وحصن مسلمة ، وعوز ، والرافقة ، والرافقة ، وصفين ، وبالس ، وسروج ، وكفر زاب ، وكفر سيرين ، ونبج ، والرها (.) ، وسميساط ، وتل موزن ، ومدن الخابور الكبير ومنها : عرابان (القصب) ، والمجدل ، والحسين ، والشمسية (الشمسانية) ، وميكين (ماكسين) ، وسكير ، والعباس ، والمغيشة ، والسكينية والتنانير . وأما ديار بكر ، وحدها ما غرب من دجلة وبلاد الجبل (عراق العجم) المائل على نصيبين ، فقصبها آمد ، ومن مدنها : حسن كيفا ، وميفارقين ، وأرزن ، وتل قافان ، والفار ، وسعرت (أسعرد أو سعرد) ، وساذية (حيزان ؟) ، وحني ، وخربتوت (حصن زياد) ، وقلة كركر ، وغيرهن . وربما جمع بين ديار بكر وديار ربيعة وسميت كلها ديار ربيعة لأن قبيلة بكر مندرجة في شعب ربيعة .

أنظر عن ذلك للقدسى ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ط ٢ ، مطبعة بريل ،
 ليدن Leiden ، ١٩٠٦ م ص ١٢٦ - ١٢٨ ، ياقوت : م ١ / ج ١ ص ٢٤٠
 مادة آفور ، م ٢ / ج ١ ص ٧٢ مادة جزيرة آفور ، م ٢ / ج ٢ ص ٦٣٦ - ٦٣٧
 فواد : ديار ربيعة ، وديار بكر ، وديار مصر .

(٤٥) ابن القلاسى ، ص ٥٤ - ٥٥ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٢٢ حوادث
 سنة ٢٨٦ هـ (٩٩٦ م) ، ابن تفرى بردى ، ج ٤ ص ١٩٢ ، القوى البحرية ،
 ص ٣٠٥ . وكذا

Cf. Schlumberger, L'épopée byz., II, p 201 et sqq., Vasiliev,
 Hist. de l'empire byz., I, pp 412-413, Diehl, Le monde
 Oriental, Ire Sect., ch. IX. p. 481, Camb. Med. Hist., Vol. IV,
 p. 149 & vol. V, p. 267, Lane - Poole, Hist. of Egy. t, p. 136,
 Grousset, L'empire du Levant, p. 125 et sq.

(٤٦) سبط بن الجوزى ، ج ٨ ورقة ٧٧ ، ابن العديم ، ج ١ ص ١٩٢ ،
 Schlumberger, op. cit., II, p. 434 . وكذا . ١٩٦ ، ١٩٥

Diehl. op. cit., p. 479. (٤٧)

(٤٨) الأنطاكي ، ص ١٨٦ - ١٨٧ ، ابن العديم ، ج ١ ص ١٩٦ ، وكذا
 Schlumberger, op. cit., II, pp. 436 438 etsq.
 نجيب قلعة حلب إلى أن أطلقه الفاطميون عندما أستولوا على حلب في سنة ٤٠٦-٤٠٤ هـ
 (١٠١٦ م) من حكم الخليفة الحاكم . راجع : الأنطاكي ، ص ١٨٧ . وكذا
 Schlumberger, op. cit., II, p. 438 . وفي حوادث سنة ٤٣٩ هـ (١٠٤٧ /
 ١٠٤٨ م) من الكلل (ج ٩ ص ٥٤٠ - ٥٤١) لابن الأثير نسمع من جديد

عن الأصغر التغلبي حيث ظهر في رأس العين من ديار ربيعة بإقليم الجزيرة ،
وعاد سيطرته في الروم فطلب إمبراطور الروم قسطنطين التاسع مونوماخوس
Constantinus IX Monomachus (٤٣٣ - ٤٤٦ / ١٠٤٢ - ١٠٥٤ م)
من نصر الدولة أبي نصر أحمد بن مروان بن لسكك الحارثي السكري أمير
ميفارقين وديار بكر (٤٠٢ - ٤٥٣ / ١٠١١ - ١٠٦١ م) أن يكفه لما بينهما
من المهادنة ، فسلط عليه هذا قوما من بني نمير فقبضوا عليه ، وحملوه إليه ،
فاحتقله وتلافى غضب الروم .

(٤٩) الأنطاكي ، ص ٢١٠ ، ابن العديم ، ج ١ ص ١٩٩ .

(٥٠) ابن العديم ، ج ١ ص ١٩٩ .

(٥١) المصدر السابق ، ج ١ ص ١٩٩ .

(٥٢) الأنطاكي ، ص ٢١٠ - ٢١١ ، ابن العديم ، ج ١ ص ١٩٩ ، وكذا

Cf. Schlumberger, op cit., II, p. 442, Canard, Hist. de
la dynastie des Hamdanides, p. 711.

(٥٣) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٢٧ - ٢٢٨ ، أبو الفدا ، ج ١ ص ٢٤٧ .

(٥٤) سبط بن الجوزي ، ج ٨ ورقة ٧٨ ، ابن العديم ، ج ١ ص ٢٠١ .

(٥٥) ملكها في سنة ٣٩٩ هـ (١٠٠٨ م) ، وأقام الدعوة بها الخليفة الفاطمي

الحاكم ، بعد أن وضع على صاحبها السابق ، وهو حمويه ، ابن محكان من قتله

غيلة . ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢١٠ - ٢١١ . وراجع ابن خلدون (ج ٤ ص ٢٧١)

حيث رسم ابن محكان ابن محلكان .

(٥٦) نص علي هذه الكنية أبو الحسن هـليل بن المحسن بن أبي اسحاق

إبراهيم بن هلال بن إبراهيم بن زمر بن جيون الحراني الصافي (٤٤٨ هـ / ١٥٥٦ م) في كتابه "تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء" (طبعة هـ. ف. أمدروز).
أنظر هامش ١ ص ٧٤ على ابن العਲانى .

(٥٧) سبط بن الجوزى ؛ ج ٨ ورقة ٧٨ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٢٨
جوادث سنة ٤٠٢ هـ (١٠١١ / ١٠١٢ م) .

(٥٨) الأنطاكي ، ص ٢١١ .

(٥٩) المصدر السابق ، ص ٢١١ .

(٦٠) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٠١ .

(٦١) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٢٨ حوادث سنة ٤٠٢ هـ (١٠١١ / ١٠١٢ م) .
راجع ابن العديم (ج ٢ ص ٢٠١) حيث القتل أكثر من ألف رجل .

(٦٢) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٠٢ . راجع ابن الأثير (ج ٩ ص ٢٢٨)
حيث طرود هي ابنة جابر (بن إحدريس بن نصير الكلابي) عم صالح .

(٦٣) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٠٢ .

(٦٤) الأنطاكي ، ص ٢١١ ابن العديم ، ج ١ ص ٢٠٢ - ٢٠٣ . عند
الدكتور محمد الشيخ (الإمارات العربية في بلاد الشام ، ص ٩٥) مدة سجن
صالح في قلعة حلب نحو ثلاث سنين ١١١

(٦٥) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٢٨ .

(٦٦) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٠٣ .

(٦٧) المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٠٣ - ٢٠٥ . راجع رواية ابن الأثير
(ج ٩ ص ٢٢٨) التي تجعل المعركة على حلب ، فتقول أن صالح قصد حلب
وحاصرها لثنتين وثلاثين يوما .

(٦٨) الأنطاكي ، ص ٢١٢ - ٢١٣ . أنظر كذلك رواية ابن الأثير
(ج ٩ ص ٢٢٨ - ٢٢٩) وسيط بن الجوزي (ج ٨ ورقة ٨٠ - ٨١) ، وابن
الديم (ج ١ ص ٢٠٥ - ٢٠٧) وقارن فيها بينهما .

(٦٩) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٠٧ .

(٧٠) راجع الأنطاكي ، ٢١٣ .

(٧١) القوى البحرية ، ص ٣٣٤ . وأنظر : الأنطاكي ص ٢١٤ ، وكذا

Wiet, *L'Egypt Arabs*, pp. 230—234, Schlumberger, *op cit.*,
II, p. 454.

(٧٢) الأنطاكي ، ص ٢١٣ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٢٩ ، ابن العديم ،
ج ١ ص ٢٠٨ ، أبو الفدا ، م ١ / ج ٢ ص ١٤٧ ، ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ،
طبعة بولاق ، القاهرة ١٢٨٤ هـ / ١٨٦٧ م ، ص ٢٧١ .

(٧٣) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٠٩ .

(٧٤) الأنطاكي ، ص ٢١٤ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٣٠ ، ابن العديم ،
ج ١ ص ٢٠٩ ، أبو الفدا ، م ١ / ج ٢ ص ١٤٧ - ١٤٨ .

(٧٥) وظيفته السابقة كأمين (سكرتير) *Secretary, Eng. Secrétaire, fr.*

بالبلاد الإمبراطورية .

Cf. Bury, *The imperial administrative System in the ninth*

century, Londres, 1911, p. 124 et seq., Diehl, Le monde Oriental, Ire Sect., ch. X, P. 496.

(٧٦) الأنطاكي ، ص ٢١٤ - ٢١٥ ، ابن العديم ، ج ١ ص ٢١٠ ، ابن خلدون ، ج ١ ص ٢٧١ ، وكذا Schlumberger, op. cit., II, pp. 451-452, Canard, op. cit., p. 712, Camb. Med. Hist., Vol. V, p. 265. أنظر يافوت ، م ٤ / ج ١ ص ٣٧٤ مادة ليلون

(٧٧) الأنطاكي ، ص ٢١١ ، ابن العديم ، ج ١ ص ٢١٢ .

(٧٨) الأنطاكي ، ص ٢١٤ ، ابن العديم ، ج ١ ص ٢١٤ .

(٧٩) الأنطاكي ، ص ٢١٥ - ٢١٦ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٣٠ ، ابن العديم ، ج ١ ص ٢١٥ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٧١ .

(٨٠) الأنطاكي ، ص ٢١٦ ، ابن العديم ، ج ١ ص ٢١٥ - ٢١٦ .

(٨١) cf Diehl, op. cit., ch. IX, p. 478.

(٨٢) الأنطاكي ، ص ٢١٦ ، ابن العديم ، ج ١ ص ٢١٨ وكذا

Schlumberger, op. cit., II, p. 466.

(٨٣) عن خلع هذا القف على ياسيل أنظر :

Diehl, op. cit., ch. IX, p. 478, Camb. Med. Hist., vol. IV, p. 426.

(٨٤) هكذا حدد يافوت في معجمه (م ٤ / ج ١ ص ٤٨٨) موضع هذا

الوادي . أنظر الدكتور السيد الجاز العريفي (الدولة البيزنطية ، ص ٦٠٠) الذي جعله يقرب حلب .

(٨٥) الأنطاكي ص ٢٢٩ ، ابن العديم ، ج ١ ص ٢١٨ - ٢١٩ ، وهكذا

Schlumberger, op. cit., II, p. 606.

(٨٦) الانطاكي ، ص ٢٣٩ ، ابن القلائسي ، ص ٧٢ ، ابن الأثير ، ج ٩
ص ٢٣٠ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٧١ - ٢٧٢ . وكذا

Can b. Med. Hist., Vol. V, p. 255. راجع ابن العديم (ج ١ ص ٢١٩ -

٢٢١) الذي نص على أن عزير الدولة اختيل بيد خادمه الهندي فيزون بتحريض
من ملوكه أبي النجم بدر التركي وإلى القلعة ، الذي استفسدته ست الملك على
مولاه ، وأن الجاني قتل وتولى المحرض إمرة المدينة والقلعة لمدة أربعين سنة على ثلاثة
أشهر ولقب وفي الدولة وأمينها . أنظر هامش ١ ص ٧٢ على ابن القلائسي نقلاً
عن هلال الصابي حيث سبق ابن العديم إلى تقرير هذه الرواية .

(٨٧) نسبته إلى جيملة (ويقال جيملة) من بطون قبيلة كنانة من بربر
البرانس بالمغرب . وتمتد أرضها من حدود جبل أوراس في الجنوب إلى سيف
البحر ما بين بجاية وبونة شمالاً . ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٤٨ . وراجع نفس
المؤلف (ج ٤ ص ٢٧٢) حيث يخلط بينه وبين صفى الدولة أبي عبد الله محمد
بن علي بن جعفر الكتامي الذي تسلم حلب من ابن الضيف في رجب سنة ٤١٣ هـ
(أكتوبر ١٠٢٣ م) وظل على ولايتها إلى عزم سنة ٥١٤ هـ (مارس ١٢٠٢) ،
بل إنه يصحف اسم صفى الدولة إلى : عبد الله بن علي بن جعفر الكتامي المعروف
بأبن شعبان (٤١) الكتامي . راجع : ابن العديم ، ج ١ ص ٢٢١ .

(٨٨) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٢٢ - ٢٢٣ .

(٨٩) ابن القلائسي ، ص ٧٢ .

(٩٠) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٢٣ . وأنظر : الانطاكي ، ص ٢٤٤ ، ابن
الأثير ، ج ٩ ص ٢٣٠ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٧٢ .

Wiet, L'Egypte Arabe, p. 216.

(٩١)

(٩٢) تركى من ختل من بلاد ما وراء النهر . بيع بدمشق سنة ٤٠٠ هـ (١٠٠٩ م) ، فاشتره دزبر بن رويم (ويقال أونيم) الديلمي أحد قادة الدولة الفاطمية بالشام ؛ ثم أهده إلى الخليفة الحاكم في سنة ٤٠٣ هـ (١٠١٢ م) ، فترقى في خدمته حتى صار أميراً للجيش في سنة ٤١٤ هـ (١٠٢٣ م) من خلافة إبنه الظاهر ، وفاتوا بالشام في سنة ٤٢٩ هـ (١٠٣٨ م) من خلافة حفيده المستنصر ، ثم أصيب بشلل نصفي في الجهة اليمنى من جسمه ، وتوفي بحلب في منتصف جمادى الأولى سنة ٤٣٣ هـ (يناير ١٠٤٢ م) بعد انتزاعه على الخلافة الفاطمية بشهر تقريباً . وفي سنة ٤٤٨ هـ (١٠٥٦ م) نقل جثمان الذيرى إلى بيت المقدس ، وأعيد دفنه هناك مع أولاده .

راجع ترجمته في ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي (ص ٧١ - ٧٩) الذى سجل مولى الذيرى مسرة (ص ٧١) بإسم دزبر بن أونيم الديلمي ، وأخرى (ص ٧٦) بإسم دزبر بن أونيم الحاكم . وأنظر ترجمة أخرى له في كتاب الطباخ الحلبي: أغلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ، المطبعة العلية ، حلب ١٣٤٢ هـ / ١٩٢٣ م ، ص ٢٣٠ - ٣٣١ (نقلا عن الذهبي) . وهناك تصحيقات كبيرة في نسبه ، فهو عند ابن العديم (ج ١ ص ٢٢٢) كما هو مثبت ، وعند ابن القلانسي (ص ٧٣) الذيرى ، وعند ابن الأثير (ج ٩ ، ص ٢٣٠ ، ٢٣١) مرة البريرى ، وثانية (ص ٢٣١ ، ٣٦٩ ، ٤٢٠ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٥٠٠ ، ٥٠١) الذيرى ، وثالثة (ص ٣٩٢) البريدى ، وعند ابن خلدون (ج ٤ ص ٢٧٢) تارة الدريدى ؛ وأخرى الوزيرى .

(٩٣) الانطاكي ، ص ٢٤٥ ، ابن العديم ، ج ١ ص ٢٢٣ - ٢٢٤ . راجع:

ابن الأثير (ج ٩ ص ٢٢٠) الذي يحدد أحض حسان الرملة بسنة ٥٤١٤ (١٠٢٢) ،
وابن تغرى بردى (ج ٤ ص ٢٤٨) الذي أحمل الإشارة إلى ذلك .

(٩٤) الانطاكي ، ص ٢٤٨ .

(٩٥) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٢٧ - ٢٢٨ . وأنظر : ابن القلانسي (ص ٧٢) ،
وابن الأثير (ج ٩ ص ٢٢٠) وأبا الفدا (م ١ / ج ٢ ص ١٤٨) وابن خلدون
(ج ٤ ص ٢٧٢) الذين أرخوا استسلام حلب لصالح سنة ٥٤١٤ (١٠٢٢ م) ،
ولاحظ التصحيف في رواية ابن خلدون . وراجع ابن خلكان (ج ١ ص ٣٢٣)
الذي أثبت تملك صالح لحلب في ١٢ ذى الحجة سنة ٥٤١٧ (فبراير ١٠٢٧ م) .
وقد أيد الذهبي (دول الإسلام ، ج ١ ص ٢٥٠) هذه الرواية ، بينما لم يحدد
ابن تفسرى بردى (ج ٤ ص ٢٤٨) تاريخاً بعينه . وأنظر الفلقسندى (صبح
الاعشى في صناعة الإنشاء ، ج ٤ ، القاهرة ١٣٨٢ / ١٩٦٣ م ، ص ١٢٩) حيث
جعل تغلب صالح على حلب في سنة ٥٤٢٤ (١٠٣٢ م) .

(٩٦) الانطاكي ، ص ٢٤٧ ، وكذا

Schlumberger, op. cit , II, p 608.

(٩٧) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٢٨ .

(٩٨) الانطاكي ، ص ٢٤٧ .

(٩٩) Schlumberger, op. cit , II, p. 610.

(١٠٠) الانطاكي ، ص ٢٤٧ ، ابن العديم ، ج ١ ص ٢٢٩ .

(١٠١) إلتنازم إلى قبيلة مصمودة من بربر البرانس ببلاد المغرب .

مطبوقة : غنارة في منطقة الريف ، وبرغواطية في منطقة تامننا (تامني) ،
ودكالة جنوبى وادى أم الربيع ، وزجرانجة على وادى تنسيفت ، وأهل جبل درن
(من جبال أطلس) أصحاب الموحدين ، وم : متساة ، وتينمل ، وهرقة ،
وكنفيسة (جنفيسة) ، وكدميوه (جدميوه) ، وهزيمة ، ووريكة ، وأيلان -
ويقال لها أيضا هيلانة - وهزيمة ، وغيرها . راجع : عبد الواحد المراكشى :
المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد المريان ، القاهرة ١٢٨٣ هـ /
١٩٦٣ م ، ص ٤٢٣ - ٤٢٥ ، ابن خلدون : المعبر ، ج ٦ ص ٢٠٦ - ٢٠٧ ،
٢٢٤ ، ٢٧٥ .

(١٠٢) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٢٩ - ٢٣٠ . راجع : ابن الأثير (ج ٩ ،
ص ٢٣١) ، وأبا الفدا (١٢ / ج ٢ ص ١٤٨) ، وابن خلدون (ج ٤ ص ٢٧٢)
حيث يلمت حلب لصالح سنة ٤١٤ هـ (١٠٢٣ م) مع ملاحظة التصحيف في
تاريخ ابن خلدون .

(١٠٣) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٢٨ .

(١٠٤) الأنطاكي ، ص ٢٤٨ . ابن العديم ، ج ١ ص ٢٢٩ - ٢٣٠ .

(١٠٥) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٣٠ .

(١٠٦) الأنطاكي ، ص ٢٤٨ ، ابن العديم ، ج ١ ص ٢٣٠ م . (سوبرنبايم
Mr. Sobrenheim : مادة حلب بدائرة المعارف الإسلامية ، ترجمة إبراهيم
زكي خورشيد ، م ٨ ص ٢٨ ، القاهرة ، بدون تاريخ .

(١٠٧) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٣١ ، أبو الفدا (١٢ / ج ٢ ص ١٤٨ ،
ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٧٢ .

(١٠٨) الدكتور محمد الشيخ : الإمارات العربية ، ص ١٠١ .

(١٠٩) أنظر المرجع السابق ، ص ١٠٢ .

(١١٠) عن هذه المجاعة راجع المقرئى : المواظ والاعتبار بذكر الخلل

والآثار ، ج ٢ ، مطبعة النيل ، القاهرة ١٣٢٤ هـ ، ص ١٦٨ - ١٦٩ .

(١١١) راجع ابن العديم ، ج ١ ص ٢٥٠ .

الفصل الأول

الإمارة الروداسية في ظل حماية الروم

(١٤١٥-١٤٢٩ م / ٦٤٢٥-٦٤٣٨ م) .

أولا - الانتقام الفاطمي من الروداسيين . .

١ - مهاجمة الروم، واستغلال آله ورفقته الطين

٣٠ - مقاومة الروداسيين والتمويه عليهم . .

٢ - موقعة الأقنونة (جمادى الأولى ٤٢٠ هـ / مايو ١٠٢٩ م) .

ثانيا - موقف الروم من الفاطميين في شمال الشام .

١ - مهاجمة حلب :

(أ) حملة دوقس أنطاكية ميناثيل سبونديل على حصن قنبار (شوال ٤٢٠ هـ /

أكتوبر ١٠٢٩ م) .

(ب) حملة الإمبراطور أرمانوس الثالث على تيل (شعبان ٤٢١ هـ / أغسطس

١٠٣٠ م) .

٢ - التصدي للنفوذ الفاطمي في شمال الشام .

ثالثا - اعتراف الروداسيين بحماية الروم :

١ - اتفاقية التبعية بين أمير حلب نصر وإمبراطور الروم أرمانوس الثالث

(٤٢٢ هـ / ١٠٣١ م) .

٢ - سفارة نصر برئاسة ابن الأيسر إلى الخليفة الظاهر لشرح أبعاد اتفاقية

التبعية (٤٢٢ هـ / ١٠٣١ م) .

٣ - التعاون العسكري المشترك بين الروم والفراسيين .

٤ - معارضة الخليفة الفارسي لتجديد طلب الروم .

وأما - فتلخص الفراسيين من حماية الروم :

١ - قيام الفراسيين بكتابة الرزم بطلب (٢٦٦) هـ / ٨٠٢٥ م .

٢ - استحسان الفاطميين لخلاص طلب الروم من قبيلة الروم والإفراج عن

سفارة ابن الأيسر . .

٣ - نخل الروم عن حياضهم لطلب (٢٦٢) هـ / ٨٠٢٧ م .

٤ - مولفة تل فاس واحتلال الفاطميين لطلب (٢٦٩) هـ / ٨٠٢٩ م

(٨٠٢٨ م) .

الفصل الأول

الإمارة المرداسية في ظل حماية الروم

(٤١٥ - ٤٢٩ / ١٠٢٥ - ١٠٢٨ م)

أولاً - النظام الفاطمي من المرداسيين :

لم يكن متوقفاً أن يسكت الفاطميون على اغتصاب المرداسيين للثrone . ولذا كان جدهم في استرداد أملاكهم بالشام لا يني ولا يقتر . ولشكهم في يضمنوا بلوغ مرامهم علواً على مهادة الروم ، واصطناع آل رافع الكلبيين ، بل لم يروا بأساً في مهادة المرداسيين والتوكل عليهم قبل عاربهم

١ - مهادة الروم واصطناع آل رافع الكلبيين :

تولى الخليفة الظاهر كبير ذلك بتوجيه من وزيره الأريب نجيب السوءة أبي القاسم علي بن أحمد الجرجاني (٤١٨ - ٤٣٦ / ١٠٢٧ - ١٠٤٥ م) (١) . في سنة ٤١٨ هـ (١٠٢٧ م) أوفد الظاهر وفداً إلى إمبراطور الروم قسطنطين الثامن Constantinus VIII (٤١٦ - ٤١٩ / ١٠٢٥ - ١٠٢٨ م) . أمر معه صلحاً كان من أهم بنوده إقصار الفاطميين عن حلب حتى يدفع بهائمها للروم في مقابل انتهاء الروم عن وزارة حسان الطائي الخارج على الخليفة بمجنوبيه الشام (٢) .

كذلك اصطنع الظاهر رافع بن أبي الليل بن عليان الكلبي بعد وفاة عمه سنان بن عليان في جمادى الآخرة سنة ٤١٩ هـ بولية (١٠٢٨ م) ، وجعله الإمارة على قومه (٣) .

وإذ هادن الظاهر الروم ، واصطنع الكليين ، تفرغ لمدارة بقية الحلف العربي الذي اقتصر على الكلابيين في شمال الشام برعاية صالح بن مرداس والطائين في جنوبه برعاية حسان بن المفرج .

٢- مداهنة المرداسيين والقويه عليهم :

أحسن صالح - فيما يبدو - بمحاولة الخليفة الظاهر لضربه في سنة ٤٢٠ هـ (١٠٢٩ م) ، فبعث إليه بطاعته مع كاتبه سليمان بن طوق ، فأحسن الظاهر استقباله ، وأعادته إليه محملاً بالخلع والهدايا له ولأولاده^(١) . وهنا يمكن أن نفهم كيف سادح الظاهر صالحاً وموه عليه ، وهو أمر مسنون في فن القتال (التكتيك) Tactics لمباغنة العدو وسحقه قبل أن يأخذ أميته . والحرب شدة ، كما يقولون ، بدليل أنه تلو ذلك بادأه بالمحاربة في شخص حليفه حسان حتى لا يهيج الروم عليه .

(٣) موقعة الأقحوانة (جمادى الأولى ٤٢٠ هـ / مايو ١٠١٩ م) :

ففي هذه السنة سار الظاهر فائده أنوشتكين الدزيرى لقتال صالح وحسان^(٢) ، ثم ضم إليه صنيعته رافع بن أبي الليل أمير العرب الكليين^(٣) . ولما علم حسان يقرب وصول الدزيرى استنجد بحليفه صالح فتحف إليه . والتقى الجلمان في جمادى الأولى (مايو) بالأقحوانة على نهر الأردن جنوب بحيرة طبرية ، فدارت الدائرة على العرب ، ومنا بهمزيمة هائلة ، فلقى صالح وولده الأصغر مصرعهما ، وفر ولده الأكبر نصر إلى حلب ، ونجا حسان بنفسه ولجأ إلى بلاد الروم . وحلت رأسا صالح ولبته إلى مصر فطيف بهما . ورفعت جثة صالح إلى صيدا فصليت على بابها . ومزق الدزيرى أوصال الإمارة المرداسية فاقتطع منها بميليك

وحصن وصيدا ورفنية وحصن ابن عكار ، فلم يتجاوز سلطانها مدينة حلب وأعمالها ومارالاهما من بلدان ديار مصر (٧) .

واكتفى الفاطميون بهذه النتيجة ، ولم يطوروا معكنتهم مع اللرداسيين إلى هجوم شامل على حلب انقاء اغضب الروم ، فأعطى ذلك بعض الوقت للرداسيين لالقاط أنفاسهم وتنظيم أنفسهم . وخلف صالحا على إمارة حلب ابنه : شبل الدولة أبو كامل نصر في المدينة ، ومع الدولة أبو علوان شمال في القلعة (٨) .

ثانيا - موقف الروم من الفاطميين في شمال الشام :

١ - مهاجمة حلب :

أثارت معركة الأنصوانة وما أدت إليه من اقتضاب أعمال حلب مخاوف الروم ، فقد تدنى الفاطميون بذلك من منطقة نفوذهم في شام الشام . ولذا تدافعوا لتأمين دوقية أنطاكية على حساب عييتهم حاب ، التي لم يبد أميرها السابق شيئا من الولاء ، وجعل يضايق دوقية أنطاكية بالإغارة (٩) . ولتحقيق هذا الهدف خرجت من عندهم حملتان : الأولى بقيادة دوقس أنطاكية والثانية بقيادة الإمبراطور نفسه .

(أ) حملة دوقس أنطاكية ميخائيل سيونديل على حصن قيبار (شوال ٥٤٢٠ /

أكتوبر ١٠٢٩ م) :

إقترعى دوقس أنطاكية ميخائيل سيونديل (سيونديروس) Michael Spondylos (٤١٥ - ٤٢١ / ١٠٢٥ - ١٠٣٠ م) فرصة الثبات أحوال أميرى حلب نصر وشمال ، وتضيق الدزيري عليها ، ودهم بقواته حصن قيبار ،

من أعمال حلب بين أنطاكية والثغور الشامية ، غير أنه تضعف حاسراً أمام
جند الأرمين المرداسيين ، وتكس على عقبه ، وأذن للدساحلة في شوال سنة
٤٣٠هـ (أكتوبر ١٠٣٩ م) (١٠).

(ب) حملة الإمبراطور أرمانوس الثالث على تيل (شعبان ٤٣١ هـ /
أغسطس ١٠٣٠ م) :

كدت تسكة سيونديل إمبراطور الروم أرمانوس (رومانوس) الثالث
أرجيوس Romanus III Argyrus (٤١٩ - ٤٢٥ هـ / ١٠٢٨ - ١٠٣٤ م) ،
أول أزواج الإمبراطورة المروجة زوى Zoe (٤١٩ - ٤٤٢ هـ / ١٠٢٨ -
١٠٥٠ م) إنة قسطنطين الثامن ، ودفعته إلى إعداد العدة لغزو شمال الشام ،
ومعاقبة إمارة حلب . وهناك أسباب غير مباشرة لذلك في حوادث سنة ٤٢٠ هـ
(١٠٢٩ م) : منها تعرض أملاك الروم بديار بكر من إقليم الجزيرة لمهاجم
المسلمين من أتراك العراق الغزية (١١) ، ومنها استيلاء الذري بمعاونة أمير
طرابلس مختار الدولة بن زبال الكتامي على قلعة المنيفة على الطريق الواصل بين
أنطاكية وحلب (١٢) ، ومنها ما جاء في حوادث سنة ٤٢١ هـ (١٠٣٠ م) خاصا
بتنازع أميرى حلب نصر وثمان على السلطة واستنجد نصر بالروم ضد أخيه (١٣) ،
ومنها رغبة أرمانوس الثالث في محاكاة أسلافه العظام تغفور والشمشيتق وباسيل
في حملاتهم بالشام ليذبح صيته مثلهم (١٤) .

وسواء كانت حملة أرمانوس الثالث راجعة إلى أحد هذه الأسباب أو بعضها
أو كلها فالثابت أن أرمانوس الثالث قاد حملة قوية إلى حلب قوامها ثلاثمائة
الف (٣٠٠.٠٠٠) مقاتل (١٥) ، كان فيهم الروس والبلغار والأرمن والكرج
والحرر والبيجانك ، وقود على ثلاثه زوج أخته البطريق قسطنطين كاراشينوس

Constantinus Karanthenos الذي أسلمه محل سبيونديل في دوقية أطلاكية (٤٢١ هـ / ١٠٣٠ م) (١٦). ورغم ضخامة الحملة وقوتها اختلف الرأي حولها بين قادة الروم ، فعارضها فريق وأيدها آخر ، وأمضى الإمبراطور الرأي للتأييد ولما وافقته لمواه (١٧) .

وتوالت أخبار الحملة على حلب . وحيال هذه الغمة تناسى نصر وثمال أميرا حلب خلافهما ، واستعددا احد الروم . ولكنهما مع ذلك تمهما منهج الراغب في المسألة ، فأرسل نصر ابن عمه سيف الدولة ، قائد بن كامل بن مرداس على رأس سفارة إلى الإمبراطور أرمانوس الثالث تنص اليه إلزامه بشرائط الهدنة ومعاودته لموائد التبعية ، وتعرض عليه من القطيعة ما كان يحمله أولاد سيف الدولة إلى باسيل (١٨) . ولم يعبأ أرمانوس الثالث بسفارة نصر ، واعتقل سفيره (١٩) .

وسار من أطلاكية نحو حلب ، ونزل بحيشه الجرار على قرية تبل من ناحية عزاز في شمال غرب حلب في موضع دنى من جبل الزاوية (٢٠) وبخندق حوته (٢١) . ودفع من لدنه سرية بقيادة إليون (ليو) خير وسفنا كتيبن Leo Chirophaktes لاستطلاع مواقع الكلايين بهزاز ، ولكن هؤلاء كوا لها في الطريق ، وأبادوا معظمها ، وأسروا قائدها (٢٢) .

وشحذ هذا النصر مهم بني كلاب ، فأقبلوا من كل صوب وحشد يعاقون للمعسكر الإمبراطورى ، ويدقون أبوابه ، ويمنعون عنه المياه وللؤن . فبهت الإمبراطور ، واضطرب جيشه ، وانهارت مقاومته (٢٣) . وفي يوم الإثنين لسبع ليال خلت من شعبان سنة ٤٢١ هـ (٢٤ أغسطس ١٠٣٠ م) اجتاز الكلايين الخندق ، ونهبوا سوق المعسكر ، وتخاذل الروم عن دفعهم استنصارا

بقلة الماء ، فقرر الإمبراطور الارتداد حثيثا إلى أنطاكية . وطارد بنو كلاب
شراكم الروم المرتدة ، وشردوا بهم ، فانقلب انسحابهم إلى هزيمة طامة (٢٣).

وهام الإمبراطور على وجهه ، وقد استبدل مخفه الأحمر المعروف به خفا
أسود ليعمى على مطارديه . وبقي على ساحله من الهيام والتشريد إلى أن استدل
عليه نفر من فل رجاله فقتلوا به إلى حدود بلادهم (٢٤) . وغنم الكلابيون هنائم
طائلة أربزها تاج الإمبراطور وفسطاطه المنروج من الديباج اللذين حصل عليهما
الأمير نصر (٢٥) .

وبهذا النصر اللعين علت مكانة نصر في قومه ، فسيا إلى تملك قلعة حلب ،
واتهمز نهزة خروج أخيه شمال صاحب القلعة إلى حلة حلب لاستحضار حرمه
من البرية وكان قد أبدهم إليها أثناء قتال الروم ، وسيطر على القلعة وتفريد
بالأمر . وحقق شمال على أخيه واستنفر لحربه أخواله عرب بني خضاعة (٢٦)
وعغيرهم ، إلا أن شيوخ العرب تداركوا الموقف ، وصالحوا الإخوين على أن
تكون لصر حلب وقلعتها ، ولثمال مدائن بني مرداس الثلاث بديار مصر ،
وبني منبج ، وبالس ، والرجة (٢٧) .

٢ - التصدي للنفوذ الفاطمي في شمال الشام :

اكتشف الروم عقب موقعة تبل من عزاز مدي تدمرهم في معارضة إمارة
حلب إلى التلج الفاطميون جل أجهالها ، وتبينوا أن الفاطميين هم اللذين
دفعوهم إلى هذه الحرب حين تعرضوا لحلب ضارين عرض الحائط بإتفاقية
سنة ٤١٨ هـ (١٠٢٧ م) .

ولذا أصدرت أوامر الإمبراطور أرمانوس الثالث إلى دوقس أنطاكية يقيطا

(نيكيتاس) Nicetas (٤٢١ - ٤٢٥ م / ١٠٢٠ - ١٠٢٤ م) بالحد من إمتداد
الغزو الفاطمي في شمال الشام ، فجرد حملة لاستنقاذ قلعة المنقة في خريف سنة
٤٢١ م (١٠٢٠ م) ولكنه قصر عن ذلك . كما أغار في السنة نفسها على رمنية
وسبي عشرة آلاف من أهلها . (٢٨) وفي السنة التالية (٤٢٢ م / ١٠٣١ م) كبس أقمية
بضخمة حسان الطاق شريد الفاطميين ، وانتهبها ، وملك قلعتها ، ورزأها
بالأسر والسبي (٢٩) . وتوج ذلك بالاستيلاء على قلعتي المنقة وأرجيدوس
Argyros بين حلب وأنطاكية (٣٠) .

وقام الإمبراطور من جهته بتحريرى ولاية الخليفة الظاهر بالشام على
المصيان فخرج عليه والى طرابلس (٣١) غنار الديلة بن نزال الكتامي في سنة ٤٢١ م
(١٠٣٠ م) (٣٢) . ولما بطش الدزبرى نائب الفاطميين بالشام بمجموع العرب
الكليبيين والهاثيين عند بصرى في تلك السنة ، واحتوى على ما كان لحسان الطاقى
من الإنقطاع والأعمال وجعلها لعرب آخرين تقوى بهم على حربه ، عرقت
الإمبراطور على أميرى طىء وكتب الاعتصام بعدل أنطاكية (٣٣) ، وهو ما يعرف
الآن بحق اللجوء السياسى .

ثالثا : اعتراف الراداسيين بحماية الروم :

١ - إتفاقية التبعية بين أمير حلب نصر وإمبراطور الروم أرمانوس الثالث

(٤٢٢ م / ١٠٣١ م) :

بعد أن استعاد نيقطا للثيقة ، واشتد ضغطه على حلب في سنتى ٤٢١ م
(١٠٣٠ م) و ٤٢٢ م (١٠٣١ م) (٣٤) رأى نصر أن يوقع الهدنة مع الروم
حسب قاعدة التبعية . (٣٥) وأبدى رغبته هذه لسوقس أنطاكية نيقطا فقبلها إلى

الإمبراطور أرمانيوس الثالث وكان والى طرابلس للمتمردين هو الرسول بين الطرفين . وفي سنة ٤٢٢هـ (١٠٣١ م) تم عقد الهدنة على أن يحمل نصر إلى الروم في خمسين من السنة وخمسة ألف (٥٠٠,٠٠٠) درهم ، صرف ستين درهما بمقتال ذهب (دينار) صرف الوقت بحلب ، (= ٨٢٢٣,٢٣ دينار) وأطلق نصر قائد الروم نخبوسفاكتيس أمير عزاز ، وأطلق أرمانيوس الثالث بالمثل مقلدين كامل رسول نصر ، وأعداه صليبا من ذهب مرصعا بالجواهر ومزا للأمان ووفاء بالبعد . (٢٦) وفي نصر بشرط الهدنة ، وحمل إلى أرمانيوس الثالث الجزية المطلوبة وشذرات من الطرف والتحف ، من بينها شعر النبي يحيى (يوحنا المعمدان) ، فطابت نفسه . (٢٧)

٢ - سفارة نصر برئاسة ابن الأيسر إلى الخليفة الظاهر لشرح أبعاد اتفاقية

التبعية الروم (٤٢٢ / ١٠٣١ م) :

كانت موالاته نصر للروم مدعاة لزيادة حنق الفاطميين على حلب . ولكن يخفف نصر من وقعها السيء في نفوسهم ، ويشرح وجهة نظره من هذه الموالاته بحث في نفس السنة التي وقع فيها اتفاقية التبعية مع الروم ، شيخ الدولة أبا الحسن (علي بن أحمد) بن الأيسر إلى الظاهر ، وحمل إليه هدية من جملة ماغتنه من الروم من الثياب ، والعصيان ، والآواني ، والآلأاف الكثيرة . وقاد في صحبته نحو مائة وخمسين رأسا من الدواب ، خيلا وبغالاً . (٢٨) فأعجب ذلك الوزير الجرجاني (٢٩) ، وعمل على تمديد أمره لدى الخليفة . (٣٠) ولكن الخليفة أهمله ، وربما اعتقله ، فبقى بمصر أكثر من خمس سنوات . حتى توفي الخليفة في منتصف شعبان سنة ٤٢٧هـ (يونيو ١٠٣٦ م) دون أن يلقاه . (٣١) وفي هذا برهان ساطع على سخط الخليفة على اعتراف حلب بالتبعية للروم . وما ذلك إلا تصور عقلاني

لهدف هذه السفارة وإلّا جائها لأن النصوص تصمت ولا تفصح .

٣ - التعاون العسكري المشترك بين الروم والمرداسيين

بالرغم من أن سيطرة الروم قد اطردت في ديار مصر بإقليم الجزيرة وفي شمال الشام في أواخر سنة ٤٢٢ هـ (١٠٣١ م) وأوائل سنة ٤٢٣ هـ (١٠٣١ - ١٠٣٢ م)^(٤٢) إلا أن ذلك لم يؤثر على علاقة نصر بالروم ، واشترك بقواته معهم في حملاتهم بالشام ، وهدد الفاطميين بهم . ففي بداية سنة ٤٢٣ هـ (ديسمبر ١٠٢١ م) لوح للذيرى بالاستمانة بالروم إذا حاجه ، فكف عنه ، وتراجع إلى دمشق .^(٤٣) وفي ربيع أول السنة (فبراير ١٠٣٢ م) نجح نصر بالتعاون مع دوقس أنطاكية نيقيطا في إخماد ثورة النمرزية في جبل السجاق من أعمال حلب الغربية بعد أن أرعجتها .^(٤٤) وعندما شغب عليه في السنة عينها إن الاستفادة زعيم الجندانية بحلب ومقدم جماعة الاحداث ، الحلبية لم يتدخل الروم ، فانهى نصر له ، وقطع دابره ، وقتله خنقا .^(٤٥)

٤ - معارضة الخليفة الظاهر لتبعية حلب للروم :

هكذا بلغ نفوذ الروم أشده في إقليم الجزيرة وشمال الشام أيام أرمانوس الثالث . وارتأى الظاهر مفارضة أرمانوس الثالث في الصلح في سنة ٤٢٣ هـ (١٠٣٢ م) . وجرت الاتصالات بين الذيرى نائب الفاطميين بالشام المقيم بدمشق وبين نيقيطا دوقس أنطاكية من أجل ذلك . ولما استحاب أرمانوس الثالث للدسالة أرسل إليه الظاهر رسولين من قبله للاتفاق على شروط الهدنة^(٤٦) . وتمسك الإمبراطور أرمانوس الثالث بالشرط المتعلق بحلب الذي نهت عليه اتفاقية سنة ٤١٨ هـ (١٠٢٧ م) ويقضى بعدم تعرض الفاطميين لحلب وتركها

تؤدي ما عليها من فدية سنوية للروم. (٤٧) ولكن الظاهر رفض تبعية حاب للروم لأنها من ثغور السلبين. (٤٨)

وتوقفت المفاوضات بين الطرفين بقية أيام أرمانوس الثالث ، وتجددت الأعمال العدائية بينهما . ففي سنة ٤٢٤ هـ (١٠٣٣ م) أنهى الظاهر تمرد طرابلس وأعادها إلى حظيرة الخلافة ، وركن وإلهم إلى الطاعة (٤٩) . وأخفقت الحملة البحرية التي قادها الحاجب (بروتوسباتاريوس) Protospatharius تكنياس Tekneas المهاجمة الإسكندرية . (٥٠) وأخذ الظاهر فيما بين سنتي ٤٢٤ هـ (١٠٣٣ م) و ٤٢٥ هـ (١٠٣٤ م) في تسوير مدينة بيت المقدس بسور ضخمة استخدم في عمارته المواد التي جلبها من الكنائس في دولته . (٥١)

ثم انقضى عهد أرمانوس الثالث وأعقبه الإمبراطور ميخائيل الرابع البافلاجوني Michael IV the Paphlagonian (٤٢٥ - ٤٢٢ هـ / ١٠٣٤ - ١٠٤١ م) ثاني أزواج الإمبراطورة زوى ، فاستؤنفت المفاوضات بين الروم والفاطميين في مستهل حكمه في سنة ٤٢٥ هـ (١٠٣٤ م) .

وإعادة تغلص الرُومانيين من حماية الروم

١ - قيام نصر بطريرك الروم بحلب (٤٢٦ هـ / ١٠٣٥ م) :

أخذت دولة الروم بعد موت باسيل الثاني (شوال ٤١٦ هـ / ١٥ ديسمبر ١٠٢٥ م) تنحدر نحو الضعف والاضلال . (٥٢) وقد ظهر ذلك جلياً في أعقاب وفاة أرمانوس الثالث (جمادى الأولى ٤٢٥ هـ / ١٢ أبريل ١٠٣٤ م) . ووجد أمير حلب نصر في ضعف الروم إبان حكم خليفة أرمانوس الثالث وهو ميخائيل الرابع ثغرة للخلاص من التبعية لهم . فقام بطريرك نائبهم بحلب في سنة ٤٢٦ هـ (١٠٣٥ م) . وعند ما طرقة دوقس أنطاكية قسطنطين لإخضاعه تصدى له قرب

حلب ، وكسره ، وطأه إلى عزاز . (٥٦) وبهذا النصر تحقق لحلب الاستقلال التام في ظل الحكم المرداسي .

٢ - استحسان الفاطميين لخلاص حلب من تبعية الروم والإفراج عن صفارة
ابن الأيسر :

لقد تخلص نصر من ربيعة التبعية للروم استحساناً من الخلافة الفاطمية في مصر ، إذ حين توفي الظاهر في منتصف شعبان سنة ٤٢٧ هـ (يولية ١٠٣٦ م) وتولى ابنه الطفل (سبع سنوات) أبو تميم بعد الملقب بالمستنصر بالله (٤٢٧ هـ - ٤٨٧ هـ / ١٠٣٦ - ١٠٩٥ م) ، غدت السلطة كلها في يد الوزير الجرجاني . (٥٥) فعمل على اصطناع أمير حلب نصر . وإرشاده استقبال الخليفة المستنصر رسوله ابن الأيسر المحتجز في مصر منذ خمس سنوات ونيف ، وخلع عليه ، وسير معه خلعاً وتوقيعاً لا يبره بخمسة ألقاب هي : دغثص الأمرء ، خاصة الإمامة ، شمس الدولة ومجدها ، ذو العزمين . (٥٥) وكان الفاطميون ينفون بذلك احتواء حلب ، وملء الفراغ الذي تركه الروم سياسياً وعسكرياً .

٣ - تحلى الروم عن حمايتهم لحلب (٤٢٩ هـ / ١٠٣٨ م) :

لما وجد الروم أن حلب لم تعند تحت حمايتهم مالوا إلى مهادنة الفاطميين . وتوصل كل من الإمبراطور ميخائيل الرابع والخليفة المستنصر الذي كان الجرجاني يصرف أمره إلى عقد الهدنة بينهما في سنة ٤٢٩ هـ (١٠٣٨ م) . (٥٦) وبغلب على الظن أن الروم هذه المرة لم يتشبها بالشرط الخاص بحلب بدليل أن التزبرى عندما فكر في مهاجمة حلب ، كاتب إمبراطور الروم يستأذنه في حرب نصر ، واستفاد حلب منه ، على أن يؤدي ما عليه من رسوم التبعية ، فأذن له في ذلك . (٥٧)

٤ - موقعة تل فاس واحتلال الفاطميين لحلب (شعبان ٤٢٩ هـ / مايو ١٠٣٨ م):

بتخل الروم عن حلب تهبأت الأسباب للذيرى لامتلاكها . وكان الذيرى يتوق إلى ذلك ، وأذكى وإلى حمص شجاع الدولة جعفر بن كليلد السكتامى هذه الرغبة في نفسه ، وسعى في الوقعة بينه وبين نصر أمير حلب (٥٨) . وشرح الغريمان يستعدان للوزال . فكانت الذيرى إمبراطور الروم يستأذنه في حرب نصر بعد أن تقرر الصلح بينه وبين المستنصر فأذن له . كما استمال كثيرا من بطون طى . وكلب وبعض عشائر كلاب الساخطة حل بنى مرداس . وانضاف إلى هذا الجمع رافع بن أبي الليل زعيم كلب وعلان بن حسان بن الجراح زعيم طى (٥٩) . والتقى الذيرى بنصر غرب سلمية من أعمال حمص وصدمه بمشوده المائله وشتت شمليه ، فتقهقر نصر شمالا بغرب في اتجاه حماه ليعيد تجميع قواته ، واستغاث بأمير حران وسروج والرفقة شبيب بن وثاب النخري أخى زوجته حلوية المعروفة بالسيدة «أغا» ، ولكن الذيرى لم يمهله وعاجله بالمطاردة ، واستوى على حماه ، وغالبه على مقرية منها عند تل فاس غربى بلدة لطمين في يوم الإثنين منتصف شعبان سنة ٤٢٩ هـ (مايو ١٠٣٨ م) فغلبه ، وأصيب نصر في الحركة بسهم حائر في كتفه ، فسقط عن صهوة جواده ، وأجبر عليه هفتسكين التركى المعروف بالسرورى ، واحتز رأسه ، وسلمه إلى رافع بن أبي الليل ، فحمله إلى الذيرى الذى أمر بجثة نصر فصلبت على حصن حماة (٦٠) .

جواشي الفصل الاول

(١) نسبتہ إلى جرجاريا (بفتح الجيم الأولى والثانية وسكون الراء)، بلد من أعمال النهر وارت الأسفل بين واسط بحداد من الجانب الشرقى . أنظر في وزارته ابن منجب : الإشارة إلى من نال الوزارة ، القاهرة ١٩٢٤ م ، ص ٢٥-٣٧ .

(٢) الأنطاكي ، ص ٢٧٠-٢٧١ ، المقرئى : الخطاط ، ج ٢ ، ص ١٦٩ ، القوى البحرية ، ص ٣٠٩ ، وكذا

cf. wiet, op. cit, pp. 222-223, Schlumberger, L'épopée byz. t. III : Les Porphyrogénètes Zoe et Theodora, Paris 1905 p. 23, Camb. Med. Hist. vol V, p. 256.

(٣) الأنطاكي ، ص ٢٥٣ ، وكذا Camb. Med. Hist , vol. V, P.255.

(٤) المصدر السابق ، ص ٢٤٨ .

(٥) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٣١ .

(٦) الأنطاكي ، ص ٢٥٣ .

(٧) المصدر السابق ، ص ٢٥٣ ، ابن القلاسى ، ص ٧٣-٧٤ ، ابن الأثير ،

ج ٩ ص ٢٣١ حوادث سنة ٤٠٢ هـ (١٠١١ / ١٠١٢ م) ، ص ٣٩٢ حوادث

سنة ٤٢٠ هـ (١٠٢٩ م) ، ابن العديم ، ج ١ ص ٢٢١ ، ابن خلدون ، ج ١

ص ٢٢٣ ، أبو الفدا ، م ١ / ج ٢ ص ١٤٨ ، الذهبي ، ج ١ ص ٢٥ ، ابن

خلدون ، ج ٤ ص ٢٧٢ ، ابن تقي بردى ، ج ٤ ص ٢٥٢-٢٥٣ ، وكذا

Wiet op. cit., P. 217, Schlumberger, op. cit., II, P. 607 et t. III, P, 71, Camb. Med. Hist., Vol. V, P. 265.

خلال المعركة لحق رجل من عرب فزارة يعسرف بطريف صالحا فضربه
بالنسيف على رأسه فوقع عن فرسه ، وأجهز عليه رجل بدوي آخر ، وقطع رأسه
ودجأ به إلى زافع بن أبي الليل لخلطه إلى الدزبري ابن القلانسي ، ص ٧٣ .

أنظر رواية ابن العديم (ج ١ ص ١) التي تنص على أن رافعا هو الذي
الجزر رأس صالح .

(٨) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٣٧ .

(٩) Schlumberger, op. cit., t. III, p 71.

(١٠) الانطاكي ، ص ٢٥٣ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٣١ ، سبط بن الجوزي
ج ٤ ص ٢٦٧ ، ابن العديم ، ج ١ ص ٢٣٧ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٧٢ ،
ابن قنرى بردى ، ج ٤ ص ٢٥٣ - ٢٥٤ ، وكذا Schlumberger, op. cit.,
II, p. 71, Grousset, op. cit., p. 127.

وأنظر : ياقوت ، م ٤ / ج ١ ص ٢١١ مادة قبيار .

(١١) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٣٩١ . أصل الخبر من مفازة بخاري قاعدة إفليم
ما وراء النهر . وهم أصحاب أرسلان بن ملجوق التركي ، وهو السلطان ألب
أرسلان (٤٥٥ - ٤٦٥ م / ١٠٦٣ - ١٠٧٢ م) فيما بعد . المصدر نفسه ، ج ٩
ص ٢٧٧ حوادث سنة ٤٢٠ هـ (١٠٢٩ م) .

(١٢) الانطاكي ، ص ٣٥٤ ، ابن العديم ، ج ٩ ص ٢٣٧ ، وكذا
Schlumberger, op. cit., t. III, p 71. ذكر الدكتوران السيد عبدالعزيز

سالم (طرابلس الشام ، ص ٥٣) ، ومحمد الشيخ (الإمارات العربية ، ص ٢٩٦)
أن مختار الدولة بن بوزال الكتامي والى طرابلس الفاطمي تولى إمرة طرابلس من
سنة ٤٠٧ هـ (١٠١٦ م) حتى وفاته في سنة ٤٦٢ هـ (١٠٧٠ م) أى أنه حكم
طرابلس ٥٥ سنة ، وهى مدة مديدة لم تيسر لوزال من قبله . ولذا نشكك كثيرا
في صحتها .

(١٣) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٢٨ - ٢٣٩ .

Schlumberger, op. cit., III, p. 73-74. (١٤)

(١٥) رغم صعوبة تصديق هذا الرقم الذى أورده ابن الأثير (ج ٩ ص ٤٠٤)
إلا أننا نجد ضعفه في رواية ابن العديم (ج ١ ص ٢٤٠) . وقد أثبت الدكتوران
السيد الباز المرقى (الدولة البيزنطية ، ص ٦٨١) ، ومحمد الشيخ (الإمارات
العربية ، ص ١٥٦) ثلاثين ألفا مع أن كليهما يعتمد برواية ابن الأثير .

Schlumberger, op. cit., III, p. 73-74. (١٦)

والكرج عناصر تركية تدين بالنصرانية تسكن في جبال القيق (القيج) - وهى
جبال سمراتيا Sarmatia Mts. في الجغرافية القديمة ، وتعرف الآن بجبال
القوقاز (كوكازوس) - Caucasus Mts. - فى آخر حدود أرمينية الكبرى
Greater Armenia ، وتبلغ أعلى قممها حوالى ٥٦٣٥ مترا . ويمتد هذه الجبال
من أذربيجان Azarbaijan وباب الأبواب (دربند بللمارسية) - وبقية البلبل
(بند بالفارسية) - وهى بلاد شروان (دربند شروان) ، من تخوم الساحل
الغربي لبحر الخزر (بحر قزوین) Caspian Sea ، إلى بلاد اللان (اللاتيا)
Alania ، من أحواز الشاطئ الشرقي لبحر بنطس (بونتوس) Pontus ،

وهو بحر إطرايرندة، ويقال طرايزون Trebizond (ترابيزوس) Trapezus ،
وهى فرضة عليه (بحر بوكسين Euxine Sea قديماً والبحر الأسود
Black Sea حديثاً) . أى أنه يتجه من الجنوب الشرقى ، حيث منازل الفرس
في آذربيجان ، إلى الشمال الغربى ، حيث ديار شعب اللان (الآلاني Alani أو
الآلان Alans) ، الذى هاجرت شعبة منه فى القرن الخامس الميلادى ، تحت
ضغط قبائل الهون Huns التنترية إلى جنوب إسبانيا Espana ، وهى الأندلس
Andalucia عند العرب . ويبدأ حد سكتى الكرج فى جبال القبق (القوقاز)
بباب الابواب (بلاد شروران) ، وقصبتها شماخى Shemakha ، فى أطرافها
الجنوبية الشرقية . وهى ذات أفواه شعاب ، أى ممرات ودروب جبلية فيها
حصون كثيرة (راجع ياقوت : م ١/ج ١ ص ١٧٢ مادة آذربيجان ، ص ٣٧ ،
٤٣٩ مادة باب الابواب ، م ١/ج ٢ ص ٤٩٩ - ٥٠٠ مادة بحر بنطس ،
ص ٥٠٠ مادة بحر الخور ، م ٢/ج ١ ص ٢١٧ مادة شماخى ، م ٤/ج ١ ص ٢١
مادة القبق ، ص ٢٥١ مادة كرج ، ص ٣٤٢ مادة اللان . وعن جغرافية جبال
القوقاز أنظر الدكتور محمد مطيحة : الجغرافية الإقليمية ، دراسة لمناطق
العالم الكبرى ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٧٤ م ، ص ١٦٧ . وعن هجرة
اللان أنظر ديفز : أوربا فى العصور الوسطى ، ترجمة الدكتور عبد المجيد حمدى
محمود ، ط ١ ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ١٩٥٨ م ، ص ٣٣ ، الدكتور محمد
سعيد عمران : معالم تاريخ أوربا فى العصور الوسطى ، دار النهضة العربية ،
بيروت ١٩٨٢ م ، ص ٧٢ ، ٧٣ ، ٨١ - ٨٢) يعرف الجزء المجاور لها بإسم
جبل الاتبخاز أو بلاد الاتبخاز Abkhaz (أفخازى Apkhazie بالفرنسية
وأبازجيا Adagzia بالإنجليزية) ، ويسمى سكانه بالاتبخاز (Abkhaz)
Abasges, Fr. , Abasgianna, Eng. ، والجزء الذى يليه ، وقصبة تفليس

Tiflis (تفليس) Tbilisi (بالروسية) بإسم جرجان أو بلاد الجرجية (جورجيا) Georgia ، وهي إيبيريا Iberia القديمة ، ويقال لأهل جرجان (جورجيان) Georgians وهم الكرج في حساب الجغرافى ياقوت الخوى (١٢٢٩/٥ م) ، فمرب فقيل جرج (ياقوت : م ١ / ج ١ ص ٧٨ مادة أبخان ، م ١ / ج ٢ ص ٨٥٧ مادة تفليس ، م ٢ / ج ١ ص ٥٨ مادة جرجان) .
وقد أضعف الروم في العقد الأخير من القرن الرابع الهجرى (ق ١٠ م) أيام باسيل الثانى سكان جبال القفق وأرمينية الكبرى لسلطانهم فغدوا من أربابهم (Diehl, op. cit., ch. IX, p 482) . أما الآن فهم جميعا تحت حكم الإتحاد السوفيتى - وإسمه بالكامل ، إتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية ، Union of Soviet Socialist Republics (USSR) - وهوروسيا Russia منذ العقدين الأول والثالث من القرن التاسع عشر الميلادى (ق ١٩) .
الجغرافية الإقليمية ، ١٥٨ - ١٥٩ .

أما الخزر Chazars (Chazars. Eng., Khazars, Fr.) ، فهم فرع من الجنس الأصفر التترى هاجر فى القرن السابع الميلادى من إسكثيا Scythia القديمة فى شمال شرقى آسيا - وهي بلاد سيبيريا Siberia والتتر Tartary - صوب الجنوب الغربى حيث المراعى والمروج (إستبس Steppes أو برارى Prairie) الخصبة ، واستقر حول ضفتى نهر لائل (نهر الفولجا Volga حاليا ، ونهر را Rha قديما) عند مصبه فى بحر قزوين Caspian Sen . ولذا عرف هذا البحر القفل ببحر الخزر ، كما عرف ببحر طبرستان وجرجان وأيسكون وجيلان ، وكلها أصقاع فى جنوبه . وهم مسلمون ونصارى ووثنيون وقلة من اليهود ، ويتكلمون لغة يطلق عليها اسم جاجتاي Jagatai . ومن مشهور

مدنهم بلنجر والبيضاء خلف باب الأبواب على بحر الخزر ، وإتل وهي القصبية على النهر المسمى بها (راجع يافوت : م ١ / ج ١ ص ١١٢ - ١١٣ مادة إتل ، م ١ / ج ٢ ص ٥٠٠ مادة بحر الخزر ، ٧٢٩ مادة بلنجر ، ص ٧٩٢ مادة البيضاء ، م ٢ / ج ١ ص ٤٣٦ - ٤٣٧ مادة خزر حيث خزر / ص ٤٣٦ من بلاد الترك ، الدكتور جمال حمدان : اليهود أنثروبولوجيا ، المكتبة الثقافية ، ٦٩ ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ١٩٦٧ م ، ص ١٨ ، معالم تاريخ أوروبا ، ص ٦٤ ، وكذا Diehl, op. cit., ch. IX, p. 484.) وقد تكون إتل هذه هي أستراخان Astrachan الحالية على دلتا نهر إتل (الفولجا) لأن موقعها كما حدده المقدسي (ص ٣٦١) وعلى نهر إتل وأقرب إلى البحيرة . . ويقصد بالبحيرة بحر الخزر .

وتعلم من المصادر البيزنطية أن الإمبراطور إليون (ليون) الثالث الإيزورى Leo III the Isaurian (٩٩ - ١٢٢ م / ٧١٧ - ٧٤٠ م) أرسل سفيرا إلى عاقان (ملك) الخزر لينخطب ابنته لابنه وولي عهده قسطنطين ، وكان في سن الخامسة عشر آنذاك ، فوافق . وفي سنة ١١٤ م (٧٣٢ م) اعتنقت الأميرة الخزرية للمسيحية ، وتسمت بإسم ريني (إيرين) Irene ، وأنجبت في سنة ١٢٢ م (٧٥٠ م) ابنتها إليون (ليون) . وبفضلها عرفت القسطنطينية رداء الخزر المسمى بموتزاكيا Toitzakia الذي كان الإباطرة يتوشعون به في الأعياد (Camb. Med. Hist , Vol, IV p. 189) . وقد اعتلى زوج الأميرة ريني الخزرية عرش الروم بإسم قسطنطين الخامس كوبرو نوموس Constantinus V Copronymus أى الزبال ويقال خبليينوس Chaballinos أى السائس (١٢٣ - ١٥٩ م / ٧٤٠ - ٧٧٥ م) ، كما اعتلاه ابنه منها بإسم

ليون (ليو) الرابع الحزر Leo IV the Chazar (١٥٩ - ١٦٤ م / ٧٧٥ - ٧٨٠ م) .

Cf. Diehl, op. ch. VI, pp. 268, 277.

وأما البجناك ويقال البجناك ، فهم من أجناس الأتراك (ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، نشره غويه ، لندن ١٨٨٩ م ، ص ٣١) ، ويعيشون بجوار الحزر والروس Russes, Russians . يتكلم مراعى الإستبس (Diehl, op, ch. IX, p. 484) الذى يمتد من الحدود الغربية مع رومانيا Romania إلى قرب جبال التاي Altai Mts. فى وسط آسيا السوفيتية فى نطاق شرفى غربى طوله نحو ٤٨٠٠ كيلو متر ويتراوح عرضه من ٥٠٠ - ١٠٠٠ كيلو متر (الجغرافية الإقليمية ، ص ١٨٥) . وقد عرف البجناك عند الإغريق بإسم باتزيناكيتيه Patzinakitai ، ثم انتقل هذا الإسم إلى اللغات الأوروبية الحديثة ، فنراه فى الإنجليزية باتزيناك Patzinaks وفى الفرنسية باتشينيج Patchenégues .

وكان البجناك مصدر إزعاج دائم لجيرانهم من الحزر ، فاستعان عليهم هؤلاء بالروم ، وسمحوا لهم فى سنة ٢١٨ م (٨٢٢ م) أيام الإمبراطور ثيوفيل (ثيوفيلوس) Theophilus (٢١٤ - ٢٢٨ م / ٨٢٩ - ٨٤٢ م) ببناء قلعة سرقل (ساركل) Sarkel على نهر الدن Don R. (تانس Tanais قديما) عند مصبه فى بحر ينطس (البحر الأسود) لحمايتهم من إغارات البجناك ، وبصفة خاصة من إغارات الروس Cf. Camb. Med. Hist., Vol. IV, p. 38, Diehl, op. Cit, Ch. VII, p. 313 - 314. فى النهاية استتبع شأفتهم فى أواخر سنة ١٠١٤ م (١١٢١ م / ٢١٢٢ م)

من حكم يوحنا الثاني كومنين (كومنينوس) Comnenus John II (١٢٠٥ -

١١٨٨ / ١١٤٢ م) .

Cf. Camb. Med. Hist., Vol. IV, p. 354.

(١٧) الأنطاكي ، ص ٢٥٤ .

(١٨) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٣٩ .

(١٩) للمصدر السابق ، ج ١ ص ٢٣٩ ؛ وكذا Schlumberger, op. cit., III, p. 75.

(٢٠) الأنطاكي ، ص ٢٥٥ ، وكذا Schlumberger, op. cit., III, p. 79. ولاحظ أن النص يثبت قرية مُبْتَل من ناحية أعزاز ، والصحيح عزاز (راجع ياقوت ، م ١ / ج ٢ ص ٨٢٢) ، وهي بلدة فيها قلعة ولما رستاق شمالى حلب (المصدر نفسه ، م ٢ / ج ٢ ص ٦٦٧) . أما أعزاز (بازاء) أو أغزاز (بالنون) فهي بلد بين حص والساحل (المصدر نفسه ، م ١ / ج ١ ص ٣١٦) .

(٢١) الأنطاكي ، ص ٢٥٥ ، ابن العديم ، ج ١ ص ٢٤١ ، وكذا

Schlumberger, op. cit., III, p. 79.

(٢٢) Schlumberger, op. cit., III, p. 80.

(٢٣) الأنطاكي ، ص ٢٥٥ - ٢٥٦ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ٤٠٥ ، ابن

العديم ، ج ١ ص ٢٤١ - ٢٤٢ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٧٢ ، وكذا

Schlumberger, op. cit., III, p. 83, Camb. Med. Hist., Vol. V, p. 256.

(٢٤) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٤٠٥ ؛ ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك

والأمم ، ج ٨ ، حيدر آباد ١٢٤٨ هـ ، ص ٥٠ ، وكذا

Schlumberger, op. cit., III, p. 87.

(٢٥) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٤٢ . وراجع ابن الأثير ، ج ٩ ص ٤٠٥ ،

وكذا Schlumberger, op. cit., III, p. 83

(٢٦) يفهم من ابن الأثير أن منازل خفاجة كانت فيما بين الكوفة والرجبة . وكثيرا ما دلى أمراؤها من بني ثمال الكوفة وسقى الفرات والرجبة في القرنين الرابع والخامس الهجريين (ق ١٠ ، ١١ م) . وبالتحديد فيما بين سنتي ٣٧٤ هـ (٩٨٠ م) و ٤٩٨ هـ (١١٠٥ م) . راجع : الكامل ، ج ٩ ص ٣٩ ، ج ١٠ ص ٢٩٦ . وفي ربيع الأول سنة ٥٥٠ هـ (نوفمبر ١١٠٦ م) انتزعت خفاجة إلى نواحي البصرة وأقامت عبادة (الصحيح : عبادة) في بلادها بعد أن ظفرت بها . المصدر نفسه ، ج ١٠ ص ٤٢١ .

(٢٧) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٤٥ . في رواية متقدمة لابن العديم (ج ١ ص ٢٢٩) : استولى نصر على قلعة حلب قبيل حرب الروم ، فجمع ثمال الأعراب ، واستدعى نصر الروم ، ثم تصالحا ، فرجع نصر عن استدعاء الروم ونحان بهم مع أخيه وأوقع بهم .

(٢٨) الأنطاكي ، ص ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ابن العديم ، ج ١ ص ٢٤٦ ، وكذا

Schlumberger, op. cit., III, p. 91, Camb. Med. Hist., Vol. V, p. 257.

(٢٩) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٤٢٠ ، أبو الفدا ، م ١ / ج ٢ ص ١٦٦ .

(٣٠) الأنطاكي ، ص ٢٥٧ .

Schlumberger, op. cit., III, p. 91. (٣١)

(٣٢) الدكتور محمد الشيخ : الإمارات العربية ، ص ١٩٦ .

(٣٣) الأنطاكي ، ص ٢٦١ - ٢٦٢ .

(٢٤) الانطاكي ، ص ٢٥٧ - ٢٦٠ ، ابن العديم ، ج ١ ص ٢٤٦ .

(٢٥) الانطاكي ، ص ٢٥٧ .

(٢٦) الانطاكي ، ص ٢٦٠ ، ابن العديم ، ج ١ ص ٢٤٧ . وكذا

Schlumberger, op. cit., III, p. 107, Can.b. Med. Hist., Vol. IV, p. 100 & Vol. V, p. 256, Wiet, op. cit, p. 221.

(٢٧) الانطاكي ، ص ٢٦٩ ، وكذا Schlumberger, op. cit., III, p. 107.

(٢٨) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٤٧ .

(٢٩) ابن القلائسي ، ص ٧٥ .

(٤٠) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٤٧ - ٢٤٨ .

(٤١) المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٤٨ .

(٤٢) في ذى القعدة سنة ٤٢٢ هـ (نوفمبر ١٠٣١ م) تمرك جرجى (جورجيوس) مانياكيس Georgius Maniaces (٤٣٥ هـ / ١٠٤٣ م) حاكم الثغور الجوزية للروم من قاعدته بسيساط وأخذ الرها (أداسا) Edessa ، وهى أرفة Uifa (أورفة Ourfa) الحالية ، من بنى وثاب الفيريين أصحاب الرقة وحران وسروج ، ولم يسع أمهرم شبيب بن وثاب (٤١٠-٤٣١ هـ / ١٠١٩-١٠٣٩ م) إلا بمصاحبتهم على مدينة حران وسروج المتناختين للرها في الجنوب مقابل إتاوة آتاهم بها الانطاكي ، ص ٢٦٣ - ٢٦٥ ، ٢٦٩ - ٢٧٠ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٣ ، أبو الفدا ، م ١/ج ٢ ص ١٦٥ ، ابن تغرى بردى ، ج ٤ ص ٢٥٧ ، وكذا : Diehl, op. cit., ch. XI, p. 545, Schlumberger, op. cit., III, pp. 110-111, 116. ولما حاول طردهم من الرها في سنة ٤٢٧ هـ (١٠٣٥ م) عجز (ابن الأثير ، ج ٩ ص ٤٤٨-٤٤٩) ، وأرغوه في سنة ٤٢٩ هـ

(١٠٣٧ م) على أن يسلم إليهم ربهضها - وكان من أعماله - دره الخطرم (المصدر نفسه ، ج ٩ ص ٤٦٠ ، وكذا Schlumberger, op. cit., III, p. 196). وفي سنة ٤٢٣ هـ (١٠٣٢ م) تملك نيقيطا درقس أنطاكية حصن بكسرايل Bikisrayil في جبال النصيرية (جبال العلويين) إلى الجنوب من دوقيته ، وأخذ نورة الشيعة بها (الأنطاكي ، ص ٢٦٩ ، وكذا Wiet, op. cit., p. 24, Camb. Med. Hist., Vol V, p. 267).

(٤٢) الأنطاكي ، ص ٢٦٧ - ٢٦٨.

(٤٤) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٤٧ - ٢٤٩. وأظن ياقوت ، م ٢ / ج ١ ص ١٢١ مادة جبل السباق. والدرزية طائفة من طوائف الشيعة الاسماعيلية تنسب إلى الداعي محمد بن اسماعيل انوشتكين البخاري الدرزي . وهو أحد دعاة ثلاثة وضعوا أسس مذهب هذه الطائفة أولهم حمزة بن علي الزوزني ، وثانيهم الحسن بن حيدرة الفرغاني المعروف بالآخرم. ويجمع هؤلاء القول بتأليه الحاكم بأمر الله ثالث خلفاء الفاطميين في مصر ، وزاد عليه الدرزي القول برجعة الحاكم حين بلغه مصرعه في سنة ٤١١ هـ (١٢٠١ م). والرجعة ، وبمعنى آخر التناسخ Metempsychosis ، هي تردد الروح في الأبدان المختلفة. وعندما ولى الآخرم رئاسة الدعوة الاسماعيلية بعد الزوزني ساءر بنحلته ، فأنكر عليه المصريون السنيون ذلك وقتلوه في سنة ٤٠٩ هـ (١٠١٨ م) ، وفر صاحبه الدرزي إلى وادي قم الله بن ثعلبة غربي دمشق من أعمال بانياس على نهر الأردن، وهناك استطاع أن يستميل إلى دعوته كثيرا من الأنصار الذين نسبوا إليه وأصبحوا يعرفون باسم الدرزية أو الدروز. ولا يزال الدرزية وجود حتى الآن في جبال لبنان وحوارن. عن الدرزية أنظر : الأنطاكي ، ص ٢٢٠ - ٢٢٤ ، القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، ج ١٢ ، القاهرة ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٣ م ، ص ٢٤٨.

٢٤٩، ابن تغرى بردى، ج ٤ ص ١٨٤، والدكتور حسن إبراهيم حسن :
تاريخ الدولة الفاطمية، ص ٣٥٤-٣٦٧. وراجع الدكتور محمد الشيخ (الإمارات
العربية، ١٥ ص ١١٦) الذى يجعل الدرزي هو مؤسس فرقة الدرزية.
والاستزادة يمكن مراجعة :

Silvestre de Sacy, *Exposé de la religion des Druzes*, 2
Vols., Paris 1638, Hitti, *the Origins of the Druze people and
religion*, Columbia, 1928.

(٤٥) ابن العديم، ج ١ ص ٢٤٩ - ٢٥٠.

(٤٦) الأنطاكي، ص ٣٦٨ - ٣٦٩. وكذا Wiet, op. cit., p. 221.

(٤٧) الأنطاكي، ص ٣٧٠. وكذا Wiet op. cit., p. 222.

(٤٨) الأنطاكي، ص ٣٧١.

Schlumberger, op. cit., III, p. 131, Wiet, op. cit., (٤٩)
p. 223. L. Bréhier, *L' Eglise et l'orient au moyen age*, Paris
1907, p. 39.

Schlumberger, op. cit ; III, p. 131, Bréhier, op. cit., (٥٠)
p 39, Camb. Med. Hist., Vol V, p. 267. والبروتوسيانا يوس كلمة
يونانية مكونة من ثلاثة مقاطع: الأول protos بمعنى الأول أو المقدم أو القائد؛
والثاني Pathos بمعنى خبير أو محنك أو مجرب، والثالث aireo بمعنى قابض
أو ممسك أو مسيطر. والمعنى الحرفى هو القائد المحنك القابض على زمام الأمر أو
المسيطر على السلطة. أى أنه «الحاجب» أو «صاحب الباب» وفق المصطلح
الإسلامى. Cf. A. Gr. Eng. lexicon, pp. 41, 1285, 1545.

(٥١) الأنطاكي ، ص ٢٧٢ . وكذا . Wiet, op. cit , p. 223 .

(٥٢) . Cf. Diehl, op. Cit, ch. XI p. 532 .

(٥٣) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٤٤٤ ، أبو الفدا ، م ١ / ج ٢ ص ١٦٦ : ابن

تغري بردى ، ج ٤ ص ٢٥٣ - ٢٥٤ ، وكذا Schlumberger, op. cit., III, pp. 188-189. ولاحظ أن النصوص - عدا نص ابن الأثير - تشير إلى أعزاز

والمفروض أنها أعزاز . أنظر فيما سبق ، حاشية ٢٠ ص ٨٢ .

(٥٤) راجع : المقرئ ، الخطاط ، ج ٢ ص ١٦٩ - ١٧٠ ، ابن تغري

بردى ، ج ٥ ص ١ .

(٥٥) ابن المديم ، ج ١ ص ٢٤٨ .

(٥٦) ابن القلاسي ، ص ٧٥ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ٤٦٠ ، أبو الفدا ، م

٢ ج ٢ ص ١٦٢ ، القوى البحرية ، ص ٣١٠ ، وكذا Wiet, op. cit., p. 223, Schlumberger, op. cit., III, p. 203, Camb. Med. Hist., Vol V, p. 257.

ابن المديم ج ١ ص ٢٥٠ وما بعدها .

(٥٨) ابن القلاسي ، ص ٧٥ ، سبط بن الجوزي ، ج ٨ ورقة ٣٤٩ . جعل

الدكتور محمد الشيخ (الإمارات العربية ، ص ١٧٦) جعفر بن كليلد الكتامي واليا على طرابلس مع أنه قدم لنا (ص ١٩٤) قائمة بولاة الفاطميين على طرابلس لم يرد فيها اسمه .

(٥٩) ابن المديم ، ج ١ ص ٢٥٠-٢٥١ ، وكذا Wiet, op. cit , p. 223 .

(٦٠) ابن القلاسي ، ص ٧٤-٧٥ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٣١ ، ٤٦٠ ،

- ٨٨ -

ابن العديم ، ج ١ ص ٢٥١ ، أبو الفدا ، م ١ / ج ٢ ص ١٤٨ ، ابن خلدون ،
 ج ٤ ص ٢٧٢ - ٢٧٣ . دفنت جثة نصر بعد ذلك بمسجد المدينة بتصريح من
 الدزبزي ، فبقيت فيه إلى سنة ٥٤٣٩ هـ (١٠٤٧ م) ، ثم نقلها ابن عمه مقلد بن كامل
 لما ملك حماه إلى قلعة حلب . هذا ما يقوله ابن القلانسي (ص ٧٥) مع أن
 المعروف أن استيلاء مقلد بن كامل على حماه يقع في حوادث سنة ٥٤٤ هـ (١٠٤٨ م) .
 راجع ابن العديم ، ج ١ ص ٢٦٥ .

الفصل الثاني

الإمارة المرداسية في ظل التبعية الفاطمية

(٤٣٢ - ٤٥٢ / ١٠٤٢ - ١٠٦٠ م)

مدخل : الاحتلال الفاطمي الاول : ولاية الدزيرى

(٤٢٩ - ٤٣٢ / ١٠٢٨ - ١٠٤٢ م) :

١ - ولاية شمال الاول (شعبان - رمضان ٤٣٩ / مايو - يونيو ١٠٢٨ م).

٢ - استيلاء الدزيرى على حلب وأعمالها وموالاة بنى نمير له .

٣ - بين الدزيرى وشمال .

٤ - عصيان الدزيرى وتوقيع المستنصر لشمال بحلب .

أولا : ولاية شمال الثانية تحت السيادة الفاطمية

(٤٣٢ - ٤٤٩ / ١٠٤٢ - ١٠٥٨ م) :

١ - استرجاع شمال لإمارته وحكمها باسم الفاطميين .

٢ - مخالفة شمال لعوائد التبعية في الأموال المرسلة إلى مصر .

٣ - محاربة الخلافة الفاطمية لشمال :

أ) تجديد الهدنة بين المستنصر وقسطنطين التاسع (٤٣٩ / ١٠٤٧ م).

ب) حملة ناصر الدولة بن حمدان (جنادى الآخرة ٤٤٠ / نوفمبر ١٠٤٨ م)

ج) حملة وفق الخادم (ربيع الاول ٤٤١ / أغسطس ١٠٤٩ م) .

د) عودة شمال إلى طاعة المستنصر (٤٤٢ / ١٠٥٠ م) .

- ٤ - موالاته شمال للروم (٤٤٣ هـ / ١٠٥١ م) .
 - ٥ - سياسة شمال المتوازنة مع الفاطميين والروم وأثرها في الداخل .
 - ٦ - انحياز شمال إلى جانب الفاطميين ضد السلاجقة .
 - ٧ - دور شمال في فتنة البساسيري (٤٤٧ - ٤٤٩ هـ / ١٠٥٥ - ١٠٥٨ م) .
 - ٨ - تنازل شمال عن حلب للمستنصر وإقطاعه عكا وبيروت وجبيل (ذو القعدة ٤٤٩ هـ / يناير ١٠٥٨ م) .
- ثانياً . الاحتلال الفاطمي الثاني . ولاية ابن ماهم**
(٤٤٩ - ٤٥٢ هـ / ١٠٥٨ - ١٠٦٠ م) :
- ١ - فشل حركة البساسيري واضطراب أمر ابن ملهم (ذو الحجة ٥١ هـ - رجب ٥٢ هـ / يناير - أغسطس ١٠٦٠ م) .
 - ٢ - حملة ناصر الدولة الحمداني وهريمته بالفيندق (رجب ٥٢ هـ / أغسطس ١٠٦٠ م) .
 - ٣ - استسلام حلب وقلعتها لمحمود بن نصر (شعبان ٥٢ هـ / سبتمبر ١٠٦٠ م)
- ثالثاً : استقلال الرُدايين بحلب في إمارة محمود بن نصر الأولى**
(٤٥٢ - ٤٥٣ هـ / ١٠٦٠ - ١٠٦١ م) :

الفصل الثاني

الإمارة المرداسية في ظل النبعة الفاطمية

(٤٣٣ - ٤٥٢ هـ / ١٠٤٢ - ١٠٦٠ م)

مدخل : الاحتلال الفاطمي الأول : ولاية العزيزي (٤٢٩ - ٤٣٣ هـ /

١٠٣٨ - ١٠٤٢ م) :

١ - ولاية شمال الأولى (شعبان - رمضان ٤٢٩ هـ / مايو - يونيو ١٠٣٨ م) :

هاين شمال بن صالح الذي كان في الناجين من موقعة تل قاس من لطمين هلكة أخيه نصر ، فجعل إلى حلب ومعه شبيب بن وثاب الفيزي ، فأدركها في اليوم التالي للبريمة (الثلاثاء ١٦ شعبان) وتولى أمرها . ووعده عليه القوم بالمدينة المؤمنة والنصرة على جيش العزيزي الصاعد نحو حلب . ولكي يحصل شمال على تأييد الحلبيين وبالذات من طبقة كبار التجار ، سدد لهم ديون أخيه نصر ومقدارها ثلاثون ألف دينار ذهباً . ومع ذلك خشي أن تخذله عشيرته ، وأن يقعد به الحلبيون ، فأثر مغادرة حلب على حال السلامة قبل أن يدهمه طغان الظفري مقدم جيش العزيزي . وقبيل منتصف رمضان (يونية) السنة ترك شمال على القلعة ابن عمه مقلد بن كامل بن مرداس وعلى المدينة خليفة بن جابر الكمي^(١) . ثم عجل بمبارحة حلب بعد حكم قصير لم يتجاوز الشهر الواحد ، وجعل معه ثلاثين ألف (٣٠.٠٠٠) دينار من أموال القلعة^(٢) ، واستوى إلى الجزيرة ، ونزل بالرحبة التي كان يليها من قبل أخيه^(٣) ، واستصرخ أخواله الخفاجيين في جنوب العراق^(٤) .

٢- استيلاء النذيرى على حلب وأعمالها وهوالالة بنى نعيم له :

لم يكذباً رحيل شمال يشيع في أرجاء حلب حتى اضطرب حالها ، واختل أمنها ، وانتجت دار الإمارة وأموال التجار . وفي تلك الظروف الفلقة وصل مبعوث رومى من طرف الإمبراطور ميخائيل الرابع لنحرى حقيقة ما حدث ففتنوش العامة متاعه (٥) ، فغفر دورقس انطاكية بجنده وأرفع بالحليين وكف طاديتهم ، ثم جمع إلى دوفيته قبل مقدم النذيرى (٦) .

وأخيراً وصل طغان إلى حلب ، وأحكم حصارها ، وفضل خليفة السكبي تسليم المدينة على المقاومة فتسلمها طغان في يوم السبت الرابع عشر من الشهر ، وأرسل إلى النذيرى يخبره بذلك فسارح إلى حلب قبلها بعد ثلاثة أيام (الثلاثاء ١٧ رمضان) والقلعة لازالت تقاوم حصار قواته (٧) . فعرض النذيرى على مقلد بن كامل نائب شمال بالقلعة التسليم بالأمان فقبل مقلد . واستقر الأمر بينهما على أن يأخذ مقلد من القلعة ثمانين ألف (٨٠,٠٠٠) دينار وبعض أواني الذهب والفضة . وعندما جرى تنفيذ الاتفاق لم يترك مقلد بالقلعة إلا ما ثقل حمله (٨) . وفي يوم الثلاثاء الثمان بقين وقيل لسبع بقين من الشهر سلم النذيرى القلعة ونزل مقلد منها بما معه من الأموال ، ولحق في النداء بشمال في الجزيرة خوفاً من غدر النذيرى به . وتملك النذيرى حلب ، وهدنها ، وطرد منها جميع الجنود والخواشى الذين كانوا يخدمون ابن صالح ، واستعمل على القلعة مملوكيه قائك وسبكتكين ، وعلى المدينة غلامه رضى الدولة بنجوتكين (٩) . ثم مضى إلى بالس ومنج من مدن ديار مصر المرنداسية الواقعة على طرة الفرات واستولى عليها . وآب إلى حلب فأقام بها إلى منتصف ذى الحجة (أكتوبر) ، ثم تركها إلى نيابته بدمشق (١٠) . وأدعى له شبيب بن وئاب النهري صاحب حران والركة وسروج

بالولاء للاحاطته بأملاكه ، وخطب الخليفة المستنصر على منابر بلاده (١١) .

وبذلك تحطمت إمارة بنى مرداس على يد الدزيرى ولم يبق منها سوى النذر اليسير من الاعمال . وتحولت حلب للمرة الثانية إلى ولاية فاطمية تابعة لنائب الشام الدزيرى طيلة سنوات أربع (٤٢٩ - ٤٣٣ هـ / ١٠٢٨ - ١٠٤٢ م) (١٢) .

وقد أشاد الشعراء بتوفيقات الدزيرى الحربية والسياسية ، ومن هؤلاء الشاعر الحملي أبو الفتيان محمد بن سلطان بن غنم بن محمد بن حيوس (٤٧٣ هـ / ١٠٨٠ م) (١٣) الذى مدح الدزيرى بقصيدة دالية ذكر فيها قتل نصر فقال :

لما طفى نصر ، أتمحت له الردى ولم ينجه إلجم الكثير ولا الحشد

وبأخرى صينية ذكر فيها فتح حلب أولها :

هل بعد فتحك ذا لباغ مطعم لله هذا العزم ماذا يصنع (١٤)

٣ - بين الدزيرى وشمال :

مكث شمال بالرحبة يتحين الحين الموافق لاسترداد إمارته . وجهد في مظاملاكه بالفرات ناحية الشمال مهما أعتته ذلك . وطبق قاعدة الناية تبرر الوسيلة خير تطبيق ، فاقترن في سنة ٤٣١ هـ (١٣٠٩ م) بعلوية بنت وثاب الفيرى أرملة أخيه نصر التى آل إليها فى تلك السنة بعد وفاة أخيها شبيب حاكم مدينة الرافقة المقيمة بها (١٥) ، وهى بلدة على الضفة نهر الزرات متصلة البناء بالرافقة (١٦) . وبهذا الزواج السياسى الذى تم بالميراث ، وهو نوع من الزواج كان معروفًا عند العرب منذ الجاهلية (١٧) ، صارت لشمال الرافقة يحكمها بإسم زوجته . ثم ما لبثت أن ضم إليها الرقة بواجه من أرملة شبيب (١٨) . وبهذا الزواج السياسى الثانى توحدت

الواقعة والرقعة وشارف شمال مدينة بالس من أعمال إمارته السليبية .

ورد الذيرى على تحركات شمال وزحفه الحثيث نحو أملاكه السابقة بتزويج ابنته من ابن نصر الدولة أبى نصر أحمد بن مروان الكردي صاحب ميافارقين وديار بكر (٤٠٢ - ٤٥٣ هـ / ١٠١١ - ١٠٦١ م) (١٩) ليسكون بهذه المصامرة حليفاً له هنده ، وبشراء قلعة دوسر (قلعة جعبر) (٢٠) الواقعة بين بالس والرقعة قريباً صغيناً ليكون مطلقاً عليه (٢١) . وبهذين الإجراءين أصبح شمال محصوراً بين قوات بنى مروان الأكراد في شمال شرق الفرات وقوات الفاطميين في غربه ، فضلاً عن عداء أمير بنى نمور الجديد أبى الزمام منيع بن شبيب له لشبيله في امتلاك الرقة .

وعشى شمال أن يأخذ منه الذيرى الرقة فالتس من إمبراطور الروم العون والتأييد فوعده بالمساعدة . وبلغ ذلك الذيرى فأندرس شمالاً فاعتذر وأنكر . واعتبر الذيرى مدى احترام الروم لهدنة سنة ٤٢٩ هـ (١٠٢٧ م) فحرض بنى جعفر الكلابيين على الإغارة على قامية ، وكانت قلعتها في حوزة الروم منذ سنة ٤٢٢ هـ (١٠٣١ م) ، فأغار عليها شرذمة منهم في سنة ٤٣٢ هـ (١٠٤٠ م) ، فمركتهم حاميتها الرومية وبطشت بهم بطشة كبرى ، وطردهم من ديارهم . وسرعان ما التهب الموقف على الحدود بين حلب وأنطاكية ، وتوقفت التجارة بين البلدين . ثم جاءت الأنباء إلى الذيرى من ملوكه بنجوتكين الناظر بحلب بأن دوقس أنطاكية يتجهز لقصده ، فأعد جيشاً قدم عليه بنجوتكين ودفعه لرد الروم فالتقى بنجوتكين بالروم بين حماه وقامية فظفر بهم ووقع في أسره ابن عم الإمبراطور . وقد أطلق الذيرى سراح أسيره الكبير بفدية مالية ثقيلة وعدة وافر من أسرى المسلمين وبعد هذه الهزيمة وانكف الروم عن الأذى (٢٢) .

٤ - عصيان الذيرى وتوقيع المستنصر لثال بحلب :

أثار انتصار الذيرى على الروم ، ومن قبل تحالفه مع بنى مروان الأكراد .
خاوف الحكومة الفاطمية التى كان يسيرها الوزير الجرجاني ، إذ رأت في تعاظم
نفوذه وتعاظم سلطانه خطرا على الدولة (٢٣) . وما أكد هذه المخاوف أنه كان
في بعض الأحيان يعمل بغير مشورتها : ومن ذلك فتحه حلب (٢٤) ، واستدعاؤه
الجند الأتراك من البلاد (٢٥) . بل إنه في أحيان أخرى كان لا ينفذ ما يصدر إليه
من أوامر : ومن ذلك أنه كوّب بإبعاد كاتبه أبى سعد الذى رفع عليه أنه
يستميله إلى غير جهة الفاطميين فلم يفعل (٢٦) . ومن ثم عملت الحكومة الفاطمية
على التخلص منه ، وأفسدت عليه جند دمشق لما بلغها خبر بعضهم منه (٢٧) ،
وكتبت توقيعا عن المستنصر لثال بحلب بشرط أن يحمل ما بقلعتها من الأموال
إلى مصر (٢٨) .

ولما شق الذيرى عصا الطاعة على الخلافة في سنة ٤٣٢ هـ (١٠٤١ م) نتيجة
لمضايقات الجرجاني تتاوره جند دمشق ، ففر منهم إلى بعلبك ثم إلى حماء
فأوصدت كلتاها أبوابها دونه . فبم شحلا شطوط حلب واستدهى أبا المتوج
مقلد بن نصر بن منقذ الكتاني الكبى صاحب كفر طاب (٤٣٢ - ٤٥٠ هـ / ١٠٤١ -
١٠٥٩ م) ، وهى مدينة بين معرة النعمان وحلب ، لحمايته فخرج إليه في نحو ألفي
رجل وشيعة إلى حلب فدخلها في ربيع الآخر (ديسمبر) السنة . ولم يطل مقامه
بها وتوفى بالفالج في منتصف جمادى الأولى (يناير ١٠٤٢ م) (٢٩) ، وتولى الأمر
من بعده مملوكه بنجوتكين (٣٠) .

أولا : ولاية شمال الثانية تحت القيادة الفاطمية (٤٣٣-٥٤٤٩) / ١٠٤٢-١٠٥٨ م

(١٠٥٨ م)

١- استرجاع شمال لإمارته وحكمها بإسم الفاطميين :

وبوفاة الذيرى أمن شمال سطوته ، فقصده حلبا بتوقيع المستنصر ، فسلم له بتجوزكين المدينة في يوم الإثنين ليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ٤٣٣ هـ (فبراير ١٠٤٢) (٣١) . وامتنع سبكتكين ومعه أرملة الذيرى بالقلعة لحاصرهما شمال سبعة أشهر ونيف إلى أن سلمت له بالأمان في صفر سنة ٤٣٤ هـ (سبتمبر ١٠٤٢ م) (٣٢) ، وأخذ سبكتكين لنفسه من أموال القلعة ثلاثين ألف دينار ولورثة الذيرى إثنين وثلاثين ألف دينار (٣٣) .

وأثناء حصار شمال لقلعة حلب ، وبالتحديد في فترة الحنين يوماً الواقعة فيما بين شهري رمضان وذى القعدة سنة ٤٣٣ هـ (٢١ أبريل - ١١ يولية ١٠٤٢ م) ، وهي الفترة التي شاركت فيها تذكورة (تيودورا) Theodora اختها الإمبراطورة زوى في حكم الروم (٣٤) ، خرجت سفارة من لدته إلى الملكة تذكورة لطلب المساعدة حين أحياء أمر القلعة فبعثت إليه هدايا كثيرة ، وشرطت عليه أن يحصل في كل سنة ما كان يحمله أخوه نصر ، على الشروط المشروطة عليه (٣٥) . غير أن هذا الاتصالات سرعان ما تجمدت إثر تربع قسطنطين التاسع مونوماخوس Constantinus IX Monomachus على عرش الروم (٤٣٣-٤٤٦ م / ١٠٤٢-١٠٥٤ م) بزواجه من الإمبراطورة العجوز زوى (٣٦) ، إذ لم يتحس هذا الإمبراطور لطلب شمال .

ولذا حينما تملك شمال قلعة حلب بعد ذلك بالأمان واسترجع إمارته قطع بأن يحكمها بإسم الفاطميين .

٢ - مخالفة ثمال لعوائد التبعية في الأموال المرسلة إلى مصر :

ولكن ثمالا يخالف عوائد التبعية ولم يلتزم بإرسال جميع ما بقلعة حلب من الأموال إلى مصر . واجتزأ بحمل مائتي ألف (٢٠٠,٠٠٠) دينار ، واحتجز لنفسه مائة وعشرين ألف (١٢٠,٠٠٠) دينار بحجة عمارة القلعة وتعويض ما نفذ من العدة وذلك من الأسلحة . وأحبط المستنصر بحضرة فأتوحش منه (٢٣٧) . وأغلب الظن أن هذه المسألة بقيت معلقة إلى أن تم تسويتها في مستهل وزارة نجر الملك أبي منصور صدقة بن يوسف الفلاحى (٤٣٦-٤٣٩ / ١٠٤٥ - ١٠٤٧ م) (٢٣٨) . ندرك ذلك من وصول تشریف من المستنصر ثمال في سنة ٤٣٦ هـ (١٠٤٥ م) (٢٣٩) بعد أن تعهد بأن يبعث إليه كل سنة عشرين ألف (٢٠,٠٠٠) دينار . عما بيده ويد عشرينه . . غير أن تلك القطيعة تأخر ورودها سنتين متتاليتين (٤٣٧ - ٤٣٨ هـ / ١٠٤٥ - ١٠٤٦ م) (٢٤٠) . وكان انقطاعها على هذا النحو يعنى أمرا واحدا هو عصيان ثمال وخروجه على الدولة الفاطمية . وذلك نخطب جليل يستوجب التأديب .

٣ - محاربة الخلافة الفاطمية ثمال :

(١) تجديد الهدنة بين المستنصر وقسطنطين التاسع (٤٣٩ هـ / ١٠٤٧ م) :

ومن ثم شمرت الدولة الفاطمية عن ساعد الجدد لقمع ثمال وردعه . ولسكى تقطع عليه الأمل فى استنفار الروم جدد الخليفة المستنصر الهدنة مع الإمبراطور قسطنطين التاسع آخر أزواج زوى فى سنة ٤٣٩ هـ (١٠٤٧ م) . وحمل كل واحد منهما لصاحبه هدية عظيمة (٢٤١) . ويقال أن هدية قسطنطين التاسع المستنصر بلغت قيمتها ثلاثمائة ألف (٣٠٠,٠٠٠) ديناراً عربية إذ ذاك اشتملت . . . على

ثلاثين قطار من الذهب الأحمر كل قطار منها عشرة آلاف (١٠,٠٠٠) دينار عربية، (١٢).

(ب) حملة ناصر الدولة بن حمدان (جمادى الآخرة ٤٤٠ هـ / نوفمبر

١٠٤٨ م) :

وفي جمادى الآخرة من السنة الرادفة (٤٤٠ هـ / نوفمبر ١٠٤٨ م) أمر المستنصر نائبه بدمشق ناصر الدولة أبا محمد الحسن بن الحسين الحمداني (٤٣٣ - ٤٤٠ ، ٤٥٠ - ٤٥٢ هـ / ١٠٤٢ - ١٠٤٨ ، ١٠٥٨ - ١٠٦٠ م) (١٣) بحرب شمال ، فسار إلى حلب ، وأحرق بها ، واشتبك في قتال عنيف مع قوات شمال على مدى ثلاثة أيام . ورغم رجحان ميزان القتال لصالح ناصر الدولة إلا أنه لم يقدر على ولوج حلب ، واضطر إلى الانسحاب إلى دمشق . ويعزى السبب في ذلك إلى مطول مطر عظيم على شكل سيل حارم أصاب معسكر ناصر الدولة عند قرية صلدى على نهر قويق المار بحلب بأضرار جسيمة في المعدات والأرواح (١٤) ، إذ يقال إن الماء بلغ ما يقارب قائمتين ولو لم يبادر ناصر الدولة وجنوده بالرحيل لغرقوا (١٥) .

وقام والى حمص شعاع الدولة جعفر بن كليد بتأمين عملية انسحاب الجيش الفاطمي ولكن جعفر بن كامل بن مرداس ابن عم شمال سحق قواته عند كفر طاب وقتله ، وشق أخوه مقلد سبيله نحو حماه وحمص واستولى عليها دون كبير عناء من عمال الفاطميين (١٦) . وبذلك استعاد المرديسون أملاكهم على نهـر العاصي ، وعادت إمارتهم إلى حدودها الأولى تقريباً .

صكت هذه الأنباء السنة مسامع المستنصر فغضب على ناصر الدولة وعزله

عن دمشق وعقد إمرتها ليهاء الدولة وصارها طارق الصقلي (٤٤٠ - ٤٤١م) /
١٠٤٨ - ١٠٤٩م) وأمره بالتقبض على ناصر الدولة فنزل على إرادته وسره
إلى مصر (١٧).

(ج) حملة رفق الحادم (ربيع الأول ٤٤١م / أغسطس ١٠٤٩م) :

وسارع المستنصر في ربيع السنة التالية (٤٤١م / ١٠٤٩م) بإفناذ أمير
أمرأه جيشه عدة الدولة أبي الفضل رفق الحادم في حملة كثيفة لإخضاع المرداسيين
بلغت عدتها ثلاثين ألف رجل والنفقة عليها أربعمائة ألف دينار . وتستبين من
كثافة هذه الحملة رغبة الخلافة في تدمير قوة المرداسيين لإعلاء هيبتها التي أرغم
أنفها انكسار ناصر الدولة . وبلغ من اهتمام المستنصر بهذه الحملة أن خرج بنفسه
لتشجيع رفق الحادم ، وتقدم بجميع ولاء الشام بالانقياد إليه ، (٤٨) . ووصل
رفق دمشق يوم الخميس الثاني عشر من محرم (١٦ يولية) السنة ، ثم قارفا
إلى حلب في يوم الأحد السادس من صفر (١٠ يولية) (٤٩) . وفي
الطريق إليها خلف مؤخرته بمصرة العمان ، وهي مدينة كبيرة من أعمال
حمص بين حلب وحماه (٥٠) . وفي يوم الخميس الثاني من ربيع الأول (٢٥ أغسطس)
شارف حلبا ، وعسكر بجبل جوشن في غربها وأخذ يتنبا للقتال . وبعد قرابة
أسبوع دارت للمركة الفاصلة بين قوات الخلافة والمرداسيين في يوم الأربعاء
الثامن والعشرين من الشهر (٢١ أغسطس) . غير أن رفقا لم يكن أسعد حظا
من ناصر الدولة ، إذ أنه انفل وسقط في الأمر مريضا جريحا ، وحمل إلى حلب
فتشربه على بقل وهو مكشوف الرأس ومعه جماعة من خيار جنده ، فاختلف
عقله من خزي الاندحار والتشهير ، ومات حسيرا بقلعة المدينة بعد ثلاثة أيام

(السادس فاتح ربيع الثاني / ٣ سبتمبر) ، واعتقل عامة قواده ورجاله (١١) .
وفي ذلك يقول الشاعر الحملي أبو الفتح الحسن بن عبد الله بن أحمد بن عبيد
الجبار بن أبي حصينة السلي (٨٠٥٦ / ١٠٦٤ م) :

يأرقن رفقا رب فعل غرة ذا المشرب الأهنى وهذا المطعم
حلب هي الدنيا تذا وطعمها طعمان : شهد في المذاق وعلم
قد رامها صيد الملوك فاثنوا إلا ونار في الحشا تنضم (١٢)

(د) عودة شمال إلى طاعة المستنصر (٨٠٤٢ / ١٠٥٠ م) :

كان لنكبة الجروش الفاطمية بحلب رد فعل داخل عميق على الإدارة المركزية
في مصر ، فقد أفرج المستنصر عن سجينه القائد ناصر الدولة الحمداني اتلاف
الفراغ الذي نشأ في القيادة واستبقاه لديه (١٣) ، وقبض على وزيره الكفاء صفى
الدين أبي البركات الحسين بن عماد الدولة محمد بن أحمد الجرجاني (٤٣٩ -
٨٤١ / ١٠٤٧ م) ابن أخى الوزير أبي القاسم على بن أحمد الجرجاني
في منتصف شوال السنة (مارس ١٠٥٠ م) (١٤) ، ونفاه إلى صور لأنه دولاذى
أشار عليه بتسيير العساكر إلى حلب بما طادت مضرت على الدولة (١٥) ، وهين
أبا الفضل صاعد بن مسعود واسطة لا وزير (١٦) ، ثم قلد في السابع من المحرم سنة
٨٤٤٢ (فاتح يونية ١٠٥٠ م) قاضى القضاة أبا عماد الحسن بن على بن عبد الرحمن
اليازورى الوزارة مع وظيفة القضاء ولقبه بسيد الوزراء (٤٤٢ - ٨٤٥٠ / ١٠٥٠ م)
١٠٥٨ م) (١٧) . وهذا يعنى أن واسطة أبا الفضل صاعد دامت إثنين وثمانين يوما .

وكان أبو البركات الجرجاني قد سن في أواخر السنة التالية من وزارته
(٨٤٤٠ / ١٠٤٩ م) سياسة جديدة قوامها نقل العناصر العربية المثيرة للبعث

والشعب إلى بلاد حكام الأطراف العصاة . فعندما نبذ أمير أفريقية (المغرب
الآدني) شرف الدولة المعز أبو تميم معد بن باديس بن المنصور بن بلكين
(ويقال بلقين وبلجين) يوسف بن زيري بن مناد الصنهاجي (٤٠٦ - ٤٥٤م /
١٠١٦ - ١٠٦٢م) طاعة المستنصر وقطع خطبته ودعا للخليفة العباسي القائم
بأمر الله أبي جعفر عبد الله (٤٢٢ - ٤٦٧م / ١٠٣١ - ١٠٧٥م) أباح لعرب
بنى هلال النازلين بالصعيد مجاز النيل لتقويض ملكة مجاز منهم خلق عظيم وأقاموا
بناحية برقة وضيقوا خناقه (٥٨). ولم يقدر لأبي البركات الجرجاني متابعة
سياسته هذه وأقبل من منضبه باليازوري الذي واصل تنفيذها (٥٩) .

وربما رجع ثمال في تغيير شخص ذلك الوزير المشاغب فاتحة أمل لمسألة
الخليفة الفاطمية ومداراتها ، إذ أيقن أن هذا أنفع له من مداومة العصيان ،
سواء أنه اكتشف تأمر بعض أولياء الفاطميين بحلب عليه ، فأمرع باعتقالهم ،
ثم تقدم بالإمراج عنهم وعن أمرى الفاطميين في سنة ٤٤٢هـ (١٠٥٠م) (٦٠) .
وبعث إلى الخليفة المستنصر رسوله شيخ الدولة علي بن أحمد بن الأيسر ومعه
قسط الجمل المفروض فضلا عن أربعين ألف (٤٠,٠٠٠) دينار من أموال القلعة
وبعض الهدايا والالطاف الفاخرة والتحف الجليلة . وسير مع بعثته هذه ولده
وثابا وزوجته علوية المعروفة بالسيدة إمعانا في التقرب والزلزف ، فتأثر
المستنصر ، ووقع ثمال بحلب وسائر أعمالها ، (٦١) .

٤ - موالاته ثمال الروم (٤٤٣/١٠٥١م) :

ولكن ثمالا عاد وكابد الخوف من اليازوري - مثلما كابد من سلفه
الخرجاني - في سنة ٤٤٣هـ (١٠٥١م) حينما توسع في تهجير أعراب مصر من
نهبائل سليم وجشم وهلال وفزارة ومعقل وغيرها إلى أفريقية لتقليم أطراف أميرها

العاصي فعانوا فسادا في نواحي القيروان (٢٦٢).

ومن ثم لجأ إلى الروم القوة الأخرى المناوئة للفاطميين في شمال الشام لتهديدهم بهم ، وأوفد ابن الأيسر إلى الإمبراطور قسطنطين التاسع بالقسطنطينية ، بالمال المقرر عليه في كل سنة وهدية ، . ونظرا لأن علاقة التبعية التي كانت تربط حلبا بالروم قد انقطعت منذ مدة ، فقد كان ورود جزية حلب إليهم وتذكرتهم بهذه الصلة مصدر دهشة لهم وفرح في آن واحد معاً ، فاحتفوا بابن الأيسر وبالغوا في إكرامه عن غيره من الرسل ومنحوه عند قفوله إلى بلده هدية سنوية عوضاً عن هديته (٢٦٣) .

وليس لدينا دلائل أكيدة على مساندة الروم لثمال في سياسته الرامية إلى الاستفادة من منافستهم للفاطميين بل على العكس نجد تعاوناً مشعراً بين الفاطميين والروم في المجالين السياسي والعسكري لعله من نتائج معاهدة سنة ٤٣٩هـ (١٠٤٧م) . ففي سنة ٤٤٣هـ (١٠٥١م) أمسك الروم رسول الخليفة العباسي القائم إلى المعز بن باديس ومعه الخلع والعهد ، وحملوه إلى إمبراطورهم قسطنطين التاسع بالقسطنطينية فحمله بدوره إلى المستنصر ، وشرط عليه ألا يؤذيه ، فشهره المستنصر بمصر على جعل وردة إليه فأعاده إلى بغداد (٢٦٤) .

• - سياسة ثمال المتوازنة مع الفاطميين والروم وأثرها في الداخل :

ولكن ثمالاً على أية حال أراد أن يسترضي الجانبين ، وأن يقيم علاقات متوازنة معهما كي لا يثيرهما عليه . وقد وفق في ذلك ، فأرسل إليه المستنصر الخلع والتشريف في محرم سنة ٤٤٧هـ (أبريل ١٠٥٥م) على يد رسوله أبي الفنائم صالح بن علي بن أبي شيبه (٢٦٥) . وتبادل في هذه السنة الهدايا مع

الإمبراطورة ثدورة (ثيودورا) الثانية Theodora II (٤٤٦ - ٤٤٨) هـ / ١٠٤٥ - ١٠٥٦ م) أخت زوى الصغرى ، والنمس منها الزيادة في مرتبتها ، فأجابته إلى ملتمسه (٦٦) .

ونتيجة لهذه السياسة الحكيمة عز جانب ثمال ، ورخت البلاد في فترة حكمه الثانية (٦٧) . وقد عبر الشاعر الحلبي أبو القاسم هبة الله بن فارس المؤدب عن هذا المعنى في قصيدته الميمية التي مدح بها ثمالا واستهلها بقوله :

لا زال طوعا لأمرك الأمم ولا خلت من ديارك النعم (٦٨)

٦ - انحياز ثمال إلى جانب الفاطميين ضد السلاجقة :

على أن ظروف السياسة الدولية آنذاك أفرزت قوة جديدة هي قوة الأتراك السلاجقة إلى جانب قوة الفاطميين والروم . وأصبحت هذه القوة التي كانت تتمسك السنة عاملا مؤثرا في المنطقة منذ سنة ٤٤٧ هـ (١٠٥٥ م) . وكان على ثمال أن يتلمس طريقه بين هذه القوى المتشاحنة المتباينة في الملة والنحلة .

ففي ربيع الأول (يونية) من هذه السنة نشبت الحرب في شمال الشام برا وبحرا بين الفاطميين والروم (٦٩) . إلا أن هذه الحرب البرية البحرية القصيرة المدى لم تكن حاسمة (٧٠) ، فجنح طرفاها السلم . وبمقتضى المستنصر إلى الإمبراطورة ثدورة الثانية المؤرخ المصرى الشير القاضى أبا عبد الله محمد بن سلامة بن خضر القضاعى الشافعى (٤٥٤ هـ / ١٠٦٢ م) وكان من كتاب البلاط لتسوية الخلاف (٧٠) .

وفي رمضان (ديسمبر) منها استدعى الخليفة العباسى القائم السلطان السلجوقى طغرل بك (٤٤٧ - ٤٥٥ هـ / ١٠٥٥ - ١٠٦٢ م) للوقوف في وجه مقدم الأتراك

أبى الحارث أرسلان البساسيرى (٤٥١ هـ / ١٠٦٠ م) (٧٢) مملوك بجاء الدولة فيروز بن عضد الدولة فنا خسرو البويهى (٣٧٩ - ٤٠٣ هـ / ٩٨٦ - ١٠١٢ م) الذى اتهم بمكاتبة خليفة مصر المستنصر ، فقدم إلى العراق ودخل بغداد يوم الإثنين لخمس بقين من الشهر ، وقضى على حكم البويهيين الشيعة فى شخص آخر أمراتهم الملك الرحيم أبى نصر خسرو فيروز (٤٤٠ - ٤٤٧ هـ / ١٠٤٨ - ١٠٥٥ م) ، وصاحد أموال الأتراك البغداديين إلا أنه لم يظفر بتقديمهم البساسيرى أنزوله بحملة بنى مزيد (الجامعين) بين الكوفة وبغداد عند صبره الأمير نور الدولة أبى الأغردبىس الأول بن عز الدولة أبى الحسن على بن يزيد الأمسى (٤٠٨ - ٤٧٤ هـ / ١٠١٧ - ١٠١٨ م) ومن ثم تقدم إلى صبره بإبعاده ففاداه البساسيرى إلى الرجة ، وراسل المستنصر الفاطمى ودخل فى طاعته (٧٢) ، وتلاحق به خلق كثير من الأتراك البغداديين ، (٧٠) .

والواقع أن العداء الذى قام بين الخليفة العباسى وبين البساسيرى كان فى حقيقة الأمر عداء بين العباسيين والبويهيين . وبعبارة أخرى عداء بين السنيين والشيعة . وليس من شك فى أنه كان بين صفوف جند بنى بويه من الديلم والأتراك عدد غير قليل على رأسهم البساسيرى يرى وجوب تحويل الخلافة إلى الفاطميين . فعمل الخليفة على الحد من نفوذ البساسيرى وأهواره وإبعادهم عن بغداد وتمهيد السبيل بذلك لدخول السلاجقة (٧٠) .

ولذا ما أن حل طغرل بك ببغداد حتى شرع يعد العدة لغزو الشام ومصر (٦٧) بدافع من تعصبه للسنة ضد الشيعة . ومهد لذلك بالاتصال بالإمبراطورة تدورة الثانية لإقامة الخطبة للخليفة العباسى القائم بجامع القسطنطينية بدلا من إقامتها للخليفة الفاطمى المستنصر . ولخطورة السلاجقة آنذاك على دولة الروم من

للفاطميين وافقت الإمبراطورة تذبذبة الثانية. حل طلب طغرل بك لمصانمته وموادعته ، فدخل مبعوثه القسطنطينية وصلى بحمامها وخطب يوم الجمعة للخليفة القائم . ولما كان هذا الأمر حقا من حقوق الخليفة الفاطمي بموجب اتفاقية سنة ٣٧٧ هـ (٩٨٧ م) التي وقعها الخليفة العزيز مع الإمبراطور باسبل الثاني ، فقد شعر مبعوث الخلافة الفاطمية القاضي أبو عبد الله القضاي الذي لم يكن قد بارح القسطنطينية بعد بالمهانة ، ورفع هذا الخبر إلى المستنصر فاستشاط غضبا وأخذ ما كان بكنيسة قامة (القيامة) - التي بناها قسطنطين الأكبر - بيث المقدس من نفائس وذخائر (٧٧) .

وعلى الرغم مما يقال حول سفارة طغرل بك لتذبذبة الثانية - والمقولة للدويد في الدين أبي نصر هبة الله بن موسى بن داود الشيرازي داعي دعاة الفاطميين في فارس والعراق ثم في مصر بعد ذلك (٤٧٠ هـ / ١٠٧٧ م) - من أن الروم وافقوا السلاجقة على التجرد معهم لمعاونتهم في امتلاك مصر في مقابل حصولهم على الشام (٧٨) . إلا أن الواقع التاريخي يكذب هذه المقولة . والأجدر أن يقال أن السلاجقة ضمنوا بهذا الاتفاق حيدة الروم أثناء مقارعتهم الفاطميين .

المهم هنا أن ثمالا أدرك مدى الخطر الذي يتهدده من جراء هذا التغيير المفاجيء في المنطقة . ولذا عمل على تلافى هذا الخطر ما أمكن ، فأرسل إلى الروم يؤكد تبعيته لهم وفق ما أسلفنا (٧٩) ، وسارع بالاحتفاء بالباسبري بالرجبة . وحمل إليه مالا عظيما (٨٠) . وكان الباسبري قد أعلن ولادته للمستنصر وكتب إليه . يلتبس النجدة لفتح بغداد ، وأنه يكنى في رد طغرل بك عن قصد الشام ومصر (٨١) ، فأمدته بالاموال واستعمله على الرجبة (٨٢) . وفي رواية أخرى أن ثمالا عرض الرجبة على الباسبري عندما انجاز إليها في سنة ٤٤٧ هـ (١٠٥٥ م)

فرفض ، ثم طلبها منه في السنة التالية (٨٤٤٨ / ١٠٥٦ م) لكي يجعل فيها ماله وأهله فسلها إليه (٨٢). ويبدو أن ثمالاً اضطرب إلى ذلك اضطراباً بعد أن اجتمعت العرب والأتراك حول البساسيري (٨٤) ، وبعد أن صدر توقيع المستنصر بتقليده الرحبة .

٧ - دور ثمال في فتنة البساسيري (٢٤٧ - ٤٤٩ / ١٠٥٥ - ١٠٥٨ م) :

أخذ المستنصر يعبأ بجهوده لدفع خطر السلاجقة بتأييد البساسيري في خروجه على الخليفة العباسي القائم . ووقع اختيار وزيره البازوري على المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي داعي دعاة الفاطميين بفارس والعراق ، الذي لاذ بمصر وتولى ديوان الإنشاء ، ليكون على رأس الإمدادات المرسلة إلى البساسيري ، حتى يتخلص من مزاحمته له في منصبه وكان قد حظى عند الخليفة فقره منه (٨٥) .

وقد اقتصرت المعونة التي أرسلها المستنصر مع المؤيد إلى البساسيري على بعض المال والمخلع والمخيول المسومة (٨٦) . ولم يخرج معها حامية كبيرة لحراستها فتناسب مع جلال الفرض الذي قامت من أجله وهو القضاء على الخلافة العباسية . وقد أورد ابن تقي رضى إحصاء تلك الإمدادات برواية الحسن بن محمد العلوي فقال : « إن الذي وصل إلى البساسيري من المستنصر من المال خمسمائة ألف دينار ، ومن الثياب ما قيمته مثل ذلك ، وخمسمائة فرس ، وعشرة آلاف قوس ، ومن السيوف ألوف ، ومن الرماح والذئاب شيء كثير » (٨٧) . ولا شك أن هذا الإحصاء - إن لم يكن غير صحيح - فهو مبالغ فيه للغاية ، إذ يذكر المؤيد أن جملة الأموال التي أرسلت من مصر إلى البساسيري وجماعته بلغت ألف ألف (مليون) دينار (٨٨) .

وفي صفر سنة ٤٤٨ (أبريل ١٠٥٦ م) جهز البازوري ثمرات الأموال على

يد المؤيد البساسيري (١٩) في الوقت الذي خفت فيه جنود طغرك بك ببغداد لعودتهم إلى خراسان (٢٠) .

أدرك المؤيد مدى ضعف الحملة التي هو مقدمها من الوجهة الحربية ، فارتأى اتخاذ سياسة الترغيب واجتناب سياسة التهريب لتلافى ذلك الجانب الحيوي في الحملة . وكانت تلك السياسة التي رام المؤيد اتباعها تتنافى مع ملاحظات اليازوري له وتوجيهاته لاجنبيته من غدر شمال . ولذا طلب اليازوري منه أن يستتيع ثلاثة آلاف رجل من العرب السكبيين ويطلق بهم بلاد شمال . غير أن المؤيد لم يحصل بمعارضة اليازوري وصمم على تنفيذ خطته التي حاول تبريرها في مكاتباته إليه ، وسار من مصر إلى صور ، ومنها انتقل إلى دمشق حيث تريت بعض الوقت ، وكان شمالا يستميله إلى خدمة الحضرة العالية ، فورد جوابه - كما يقول المؤيد ، بما سكنت نفسى إليه ، وعقدت خنصر تحصيل عليه ، ومع ذلك لم يأمن المؤيد عاقبة ما أقدم عليه من المسير إلى شمال ، على غير المثالة التي مثلها ، اليازوري له . وبنص قوله : « أخشى أكل لحمي ونهش عظمي في سقيفة كلب وكلاب من قبل أن أدخل دار ترك وتركان » (٢١) .

وغادر المؤيد دمشق في صحبة الأموال والسلاح والخيول بعدما تواعد مع شمال على أن يلقاه قبيل حمص عند بلدة الرستن (الروستان) (٢٢) . حل نهر العاصي . وسار الإثنان : المؤيد من دمشق ومعه « حليبة عسكر الشام » ، وشمال من حلب ومعه « جهرة بني كلاب » ، حتى التقيا في الموضع الذي حددها . وهناك سلم المؤيد جمال الخزائن والأموال والسلاح إلى شمال . ثم قصد الجميع حلبا . وفي الطريق إليها نزولوا بجمرة النعمان للراحة ولحق بهم هنالك « نخبة من وجوه العسكر البغدادى » ، (جند البساسيري) . وعندما وصلوا مشارف حلب أقاض المؤيد على شمال

ما يخصه من منح وجدد عليه حين دخل حلب ، من أيمان البيعة في خدمة الدولة ما كادت تجمد الجبال لثقله وتنشق السموات والأرض من حمله ، (١٢) .

ثم أخذ المؤيد ومن بصحبته يعدون العدة للانحدار إلى الرحبة حيث ينزل البساسيري . وفي أثناء ذلك ورد إليه كتاب نصر الدولة أحمد بن مروان الكردي صاحب ميافارقين وديار بكر يذكر فيه رغبته في الانضمام إلى جمعه . ولكنه لم يلبث أن تردد حين طلب منه المؤيد أن يحذف اسم الخليفة العباسي القائم والسلطان السلجوقي طغرليك من الخطبة ويغير لباس السواد إلى البياض وينادي بالشعار العلوي في الأذان (١٣) ، ويخطب للخليفة الفاطمي المستنصر فوق منابرهِ . ليأتيه من الخلع والتشريفات والألوية والسيات ما يستعاض عنه النور من الظلمات ، (١٤) .

ولما رأى المؤيد أن التحاق بعض جند البساسيري به عند نزوله مع ثمال بعمرة النعمان من شأنه أن يثير القلق في نفوس الباقين ويؤدي في النهاية إلى تفرق وحدتهم عمل على عودة هؤلاء الجند إلى الرحبة ليبلغ شاهدهم الغائب بافترا ب وصول المدد الفاطمي . وأنفذ معهم كتابا إلى قادتهم يذكر فيه اهتمام الخليفة المستنصر بأمرهم ويطمئنتهم ويهون فيه من شأن السلاجقة (١٥) .

وبعد عودة الواردين من جند البساسيري إلى الرحبة توجه المؤيد إلى منيع بن شبيب بن وثاب البصري صاحب حران ، لآخذه إلى مساعدة الجماعة على ما هم فيه وإفاضة الخلع عليه ، ، وافق معه على أن يكون اللقاء بينهما على الفرات على مسافة ثلاث مراحل من بلده . ولما تم اللقاء رفض منيع الانضمام إلى المؤيد وجماعته لوجود غريمه ثمال بصحبته ، وهو الذي اغتصب الرقة وعملها الرفاقة مني

بنى نعيم عقب وفاة أبيه شبيب بن وثاب ، إذ خشي أن يكون في الأمر مكيدة ، فأرسل إليه المؤيد يقول : « إن توقفك هذا . . . إن كان خيفة من الخيل الذين هم معي لكونهم من خيل من بينك وبينه عداوة فأعبر إلى مستظبرا بثلاثة من خيلك تأخذهم معك مكان كل واحد من خيل غيرك » . ولكنه امتنع رغم هذا الضمان « بسوء رأى منه ومن أهل مشورته » (١٧) .

ولما أبى منيع الانضمام إلى المؤيد سار بصحبة ثمال وبني كلاب إلى الرجة . وهناك لحق بها البساسيري والمسكر البغدادي وأخذ المؤيد يخلع على أمراء الأعراب والاكراذ والآراك الخلع بعد أن يحلفوا بإيمان البيعة للمستنصر . ثم خلع على البساسيري نفسه ، وقرأ على الناس عهده الذي كتبه له المستنصر في صفر سنة ٤٤٨ هـ (أبريل ١٠٥٦ م) والذي يوليه فيه العراق تحت السيادة الفاطمية . كما خلع على صهر البساسيري وهو نور الدولة ديبس الأول الاسدي صاحب الجامعين (حلة بنى مزيد) ودفع إليه عهده الذي لقبه فيه المستنصر بعدة ألقاب منها : الأمير ، وسلطان ملوك العرب ، وسيف الخلافة ، وصفي أمير المؤمنين ، ومنحه ولاية ما يفتح من البلاد شرقي الفرات (١٨) .

ومع ذلك فقد تضامن ديبس مع منيع وأودع رحله وغزائه لديه ورفض الانضمام إلى المؤيد إلا إذا تنازل ثمال عن الرقة ، وشد أزره قوم آخرون من بني ورام الاكراذ الجاوانية ، وكانت حجبتهم في ذلك « أن الأمر الذي هم بصدده من لقاء التركمانية لا ينكشف وجهه ولا يأتلف أمره إلا بتسليم هذه البلدة إلى ابن وثاب (منيع) ليكون معهم ، ويده مضمومة إلى أيديهم » . وكلفوا المؤيد أن يتزعمهم من يد ابن صالح (ثمال) باليعد السلطانية وإلا فسحوا الجميع ، وانتشروا في الأرض ، وفسخوا آية إبراهيم بآية النقص . وحاول المؤيد أن

يحق مطلبهم ولكن ثمال أبي وأنكر عليه سعيه ، وبين مباح تنهارش وذئاب
تتجرح وتتخادش . . وكان المؤيد يعلم أن هذه ليست الاحجة يتذرعون بها
للاقتضاء من حوله ، من بعد أموال جزيلة فرق فيهم جمعها وقتوان دانية
من النعم والخيرات أبسقت عنها لهم طلعا . . ولكنه مع ذلك أظهر الجلد والتصبر ،
واستطاع أن يسيطر على الموقف وأن يضم منيعا إليه (٩٩) على أمل أن يرد إليه
ثمال الرقة في وقت لاحق .

ويفهم من سيرة المؤيد أن ثمالا لم يتجاوز الرحبة إلى شرقي الفرات بشخصه
مع البساسيري وإنما اكتفى بتأييده بفرقة من فرسان بني كلاب ثم عاد إلى حلب.
نئين ذلك من خلال سرده لحوادث سنة ٤٤٨ هـ (١٠٥٦ م) . ففي حدود شهر
رمضان سنة ٤٤٨ هـ (أكتوبر ١٠٥٦ م) (١٠٠) عبر البساسيري شرقي الفرات إلى
أرض الجزيرة بحشوده المختلطة من العرب والآراك والأكرد . وقد أثار
اختلاط جنده بعضهم ببعض أفراد النجدة الذمقية من بني كلب فرفضوا العبور
إلا إذا شهدوا جمع الكلاب والعقيل والقمي والخارجين عن الجمع التركي والكردي (١٠١).
وأخيرا وافقوا على العبور على أن تدفع لهم نفقة شهر تحسب عليهم لعشرين يوما
فأجابهم المؤيد إلى طلبهم ، وساروا هم والعسكر أجمعون ، نحو الموصل قصبة
ديار ريعة (١٠٢) .

وحاول المؤيد استمالة صاحبها الأمين علم الدين أبي المعالي قريش بن بدران
بن مقلد بن المسيب العقيلي (٤٤٣ - ٤٥٣ / ١٠٥٢ - ١٠٦١ م) ، واسكنه
أخفق لأن قريشا كان قد انحاز إلى السلاجقة ، وعاهدهم على الطاعة ، واستقدمهم
لإغاثته ، فهرعوا إليه بقواتهم يقدمها شهاب الدولة قتلش (ويقال قطاش

أر قتل موش أد قتل موش (بن أرسلان ييغو بن سلجوق) (٤٥٦ / ١٠٦٣ م)
 ابن عم السلطان طغرل بك (١٠٣) .

وكان لجهود المؤيد ومساعدة المستنصر أثر كبير في انتصار البساسيري
 وحلفائه على جيوش طغرل بك في سنجار بديار ربيعة آخر رمضان (نوفمبر)
 السنة (١٠٤) ، وقيل آخر شوال (ديسمبر) (١٠٥) . ولم ينج من جيش طغرل بك
 البالغ عدده ألفان وخمسمائة فارس غير مائتي فارس أو دونها (١٠٦) . وكانت لهذه
 المعركة نتائج بالغة الأهمية ، فقد أدت إلى دخول البساسيري الموصل ، والاستيلاء
 عليها ، والخطبة للمستنصر بها ، وانضمام أمراء ديار ربيعة وديار بكر إليه وعلى
 رأسهم قريش بن بدران العقيلي صاحب الموصل ، وأخوه رضى الدولة مقبل ،
 وقريبها نصر بن علي (عيسى ؟) بن خميس العقيلي الملقب (المعنى ؟) صاحب
 تكريت (٤٤٨ / ١٠٥٧ م) ، وأحمد بن مروان الكردي صاحب ميافارقين ،
 وأبو الفتح بن ورام مقدم الأكراد الجوارانية (٤٥٥ / ١٠٦٣ م) (١٠٧) .

وبعد نصر سنجار انحدر البساسيري جنوباً حتى وصل بلدة القيارة بجوار
 واسط (١٠٨) ، فبادر أمراء العرب في جنوب العراق بخلع طاعة السلاجقة وإظهار
 الطاعة للمستنصر ، فأقام شهاب الدولة محمود بن الأخرم الحفاجي صاحب الكوفة
 الدعوة للمستنصر فوق منبرها ، واهتدى به ابن قائد بن رحمة صاحب واسط ،
 وزاد فغضب السكة ببلدة باسهم المستنصر (١٠٩) .

ولما أتى خبر هزيمة سنجار إلى طغرل بك غادر بغداد عاشر ذي القعدة سنة ٤٤٨ هـ
 (يناير ١٠٥٧ م) قاصداً الموصل قاصداً العقيلين (١١٠) . ولم يشأ الاصطدام
 بمحمود البساسيري التي تكاثفت بالقيارة حتى قطع عليها خط الرجعة واجتاح

أرانا وعكبرا وغيرهما من أعمال بنى عقيل على شفير نهر دجلة وانتهبها . وحين بلغ تكريت تلقاه صاحبها العقيلي المقتنى بالطاعة وبذل المال . وفي أوائل سنة ٤٤٩ هـ (مارس ١٠٥٧) استأنف طغرل بك زحفه صوب الموصل بعد أن وافاه أخوه يافوق وهو ببلدة البوازيج قرب تكريت على فم نهر الراب الأسفل من دجلة بالإمدادات ، فحصف بيلد ونصيبين وألقى أسراه من العرب ، وكان من بينهم جماعة من بنى نعيم ، تحت أقدام الفيل فدهسهم (١١١) .

وعندما اطردت إلى معسكر البساسيري بالقيادة أنباء انتصارات طغرل بك واقترابه من الموصل سرى الاضطراب في صفوفه ، فلم يستطع له ضبط ولا ضبطا . ومن شدة الخوف أجفل قوم من بنى عقيل ، فتبهم الباقون حتى جاوزوا الموصل إلى سنجار غربا (١١٢) .

وحاول المؤيد عبثا أن يوحد صفوف جند البساسيري ويجمع كلتهم بعدما عظم الإرجاف بينهم بعزم طغرل بك على المضي في حملته حتى الحصون الأمدية من ديار بكر . فأخذ ينفذ الكتب المديدة إلى كبار أمراء العرب والأكراد كدبيس وقريش وابن ورام ولكن هؤلاء اقترصوا الفرصة للحصول على مزيد من المال ، وطالبوه بمائتي ألف دينار . ولما اعتذر لهم عن عدم إمكانه تدبير ذلك المبلغ — وكانوا يظنون أنه يقتطع من الأموال المرسلة إليهم — وأظهر لهم الحجة المؤيدة لصحة اعتذاره قائلا : « على كل يدردما أخذت ، والمحمول إلى يقترون به كتاب يدل على مبلغه . فإذا أخرجت الكتاب وعرضته عليكم لن تبقى على حجة بعد » ، أناروا العسكر على البساسيري حتى اضطروا إلى الهرب منهم ليلا إلى الرحبة ، وتبعه الأتراك البغداديون ، ومقبل أخو قريش وجماعة من بنى عقيل . بل ووصل الأمر إلى حد أن احتجز أبو ذؤابة عطية أخو ثمال أمير حلب

المال الذي أرسله المستنصر آنذاك ليتوزعه فيما بينهم ، واختصه لنفسه ، وأخفاه في بعض حصونه ، وكان أخوه ثمال قد استأمنه عليه لإيصاله (١١٣) .

وفي خلال ذلك أخذ طغرلبيك الموصل واستباح سنجار وخربها وسي نساءها وقتل أميرها بجلى بن مرجا انتقاما من أهلها لأنهم آذوا ابن عمه قنلمش لما انهزم في العام الماضي ببلدم (١١٤) ، ثم دخل جزيرة ابن عمر فسأله صاحبها ابن مروان السكردى على أن يخرج له دكرائيم ما يملكه إناوة ، (١١٥) . وأتى به معظم أصحاب البساسيري من أمراء الأكراد والعرب يتصدرهم ابن ورام ودبيس وقريش (١١٦) ، وعمود النخاجي (١١٧) . ولم يبق مع البساسيري من هؤلاء بالرحبة سوى قریش في جماعة من بني عقيل . وكان معه ابنه مسلم (١١٨) ، وأخوه مقبل (١١٩) .

وهكذا انضط حشد البساسيري واضطر جميع أمراء العرب إلى الخضوع لطغرلبيك ، وحتى من أظهر منهم الرغبة في الوقوف إلى جانب البساسيري كثمال أمير حلب لم تطاوعه عشيرته على ذلك (١٢٠) . واستحق طغرلبيك على ذلك الجهد ولقب . ملك المشرق والمغرب ، الذي خاطبه به الخليفة في المجلس العام الذي عقده يوم السبت لخمس بقين من ذى القعدة (يناير ١٠٥٨) (٢٢١) .

ولذا لم يجد المؤيد بدا من الرجوع إلى حلب . وقبل أن يبلغها بثلاث مراحل لقي أبا ذؤابة عطية ، الذي تخطف المال وتحيف ريش الرجال في ساعة العسرة من يوم النزال . وكان أخوه ثمال قد حشد حشود الكلاية إلى حلتة لتأديبه على خروجه عليه وخيانتته له في المال فتدخل المؤيد بين الآخرين وأصلح بينهما ، إذ كان يهدف إلى جمع العرب ثابتة لنصرة البساسيري (١٢٢) .

٨ — تنازل نبال عن حلب للمستنصر وإقطاعه عكا وبيروت وجبيل

(ذو القعدة ٤٤٩ هـ / يناير ١٠٥٨ م) :

مكث المؤيد عند نبال بحلب ، ونجح في التوفيق بينه وبين المستنصر بعدما ساءت العلاقات بينهما (١٢٣) . والرأى أن ذلك كان بسبب تصرفات أخيه عطية من جهة وقعوده هو نفسه عن حرب السلاجقة مع البساسيري من جهة أخرى . وبلغ من تأثير المؤيد على نبال أن جعله يكتب إلى المستنصر سنة ٤٤٩ هـ (١٠٥٧ م) برغبته في أن يتغيا ظلالة ويسكن جواره ، ويقنازل له عن حلب (١٢٤) على أن يعرضه عنها أماكن تبعد عن مواطن السكبيين ليأمن شرمهم ، فأجابه المستنصر إلى مطالبه وأقطعهم عكا وبيروت وجبيل (جبلة) (١٢٥) .

وهناك أسباب كثيرة وراء هذا التنازل : منها اشتطاط بني كلاب وإفسادهم وبخاصة بعد أن أعاد نبال الرقة والرافقة إلى منيع بن شبيب النخعي لما في ذلك من نقصان في نفوذهم وأعطيتهم (١٢٦) . ومنها خروج أخيه عليه ، وخيائته له في المال الذي سلمه إليه ، وتقاعد عشيرته عنه لما أرادهم في ساعة العسرة ، وتبرده بالهسكر العراق الذين جاؤوه لما ألقه منهم من سوء العشرة ، (١٢٧) . على أن السبب الرئيسى فى ذلك يرجع إلى امتداد سلطان الأتراك السلاجقة حتى الرجة أقصى أملاكه على الفرات (١٢٨) .

وفى ليلة الخميس لثلاث بقين من ذى القعدة سنة ٤٤٩ هـ (يناير ١٠٥٨ م) قدم مكين الدولة أبو على الحسن بن على بن ملهم بن دينار العقيلي إلى حلب نائباً عن المستنصر وتسلمها من نبال (١٢٩) الذى توجه إلى مصر فى حين لحق أخوه عطية بالرجة . (١٣٠) وكان البساسيرى قد قادها إلى بالس على مرحلتين من حلب خروفاً من طنز ليلك ووجهه قرش بن بدران ونخبة من وجهه بن عقيل ، (١٣١) .

ثم عاد إليها في سنة ٤٥٠ هـ (١٠٥٨ م) تحت إلهام المؤيد وإغرائه عقب انفصال إبراهيم بنال أخى السلطان طغر بك عن الموصل إلى بلاد الجبل (عراق العجم) في رمضان (أكتوبر) السنة وخروجه على أخيه بالاتفاق مع المؤيد. (١٢٣) ولما فتح البساسيري في الاستيلاء على الموصل في تلك السنة وعادت إلى ملك صاحبه قریش (١٢٣) رجع إلى مركزه بالرجة وأقام بها (١٢٤) حين بلغه مسير طغر بك للحرية (١٢٥).

وتشير النصوص إلى استقرار شمال بمصر وإكرام المستنصر له بأن أجرى عليه راتبا يوميا قدره ثلاثمائة دينار (١٢٦). ويمكن أن نستنتج من ذلك أن نمال لم يباشر الحكم بنفسه في البقاع التي أعطاه لإياها المستنصر بساحل الشام، وإنما أناب عنه بعض خلائه لحكمها (١٢٧).

وما من شك أن عوده حلب إلى أملاك الفاطميين قد شدت من أزر المؤيد وقوت عارضته فيها هو مقدم عليه. غير أن مقامه بحلب لم يطل، إذ سار إلى مصر في أواخر سنة ٤٥٠ هـ (١٠٥٩ م) (١٢٨) وتولى رئاسة الدعوة الفاطمية بها وأصبح داعيا للدعاة (١٢٩).

لأيا الاعمال الفاطمية الثاني : ولاية ابن ملهم (٤٤٩ - ٤٥٢ هـ / ١٠٥٨ - ١٠٦٠ م) :

١ - فشل حركة البساسيري واضطراب أسر ابن ملهم (ذو الحجة ٤٥١ -

رجب ٤٥٢ هـ / يناير - أغسطس ١٠٦٠ م) :

سارت أمور حلب تحت حكم ابن ملهم سيرا حسنا لمدة سنتين ثم اضطربت عليه في أوائل سنة ٤٥٢ هـ (١٠٦٠ م) إثر فشل حركة البساسيري ..

وكان البساسيري قد دخل بغداد في يوم الاحد ثامن ذى الحجة ٤٥٠ هـ (٢٥ يناير ١٠٥٩ م) ، وأقام الخطبة فيها للخليفة الفاطمي المستنصر في يوم الجمعة التالية (١٣ من الشهر / ٢٠ يناير) ، ولكنه لم يستطع القبض على الخليفة العباسي القائم لأنه استجار بقرش بن بدران العقيلي أمير الموصل فأجاره وبعث به إلى قريبه محي الدين أبي الحارث مهارش بن مجلى بن المسيب العقيلي صاحب حديثه عانة (٤٩٩ هـ / ١١٠٥ م) . وبعد أن قضى طغربك على ثورة أخيه ابراهيم ينال ويخضعه يوترقوسه في تاسع جمادى الآخرة سنة ٤٥٠ هـ (يولية ١٠٥٩ م) آب إلى بغداد في حدود شهر شوال (نوفمبر) السنة ، لجفل البساسيري أمامه جنوبا إلى حلة بنى زيد (الجامعين) في سادس ذى القعدة (١٢ ديسمبر) . و تريت طغربك بعض الوقت ببغداد حتى أعاد الخليفة إليها وحصل في داره في الخامس والعشرين من الشهر (٢١ ديسمبر) ، ثم أسرى إلى البساسيري قائده خمار تكين البطراني في ألني فارس في ثامن ذى الحجة (١٤ يناير ١٠٦٠ م) . فظفر به ، وسقط البساسيري عن فرسه جريحا ، فأدفاه كشتكين دواقي من رجال خمار تكين ، واتأصل رأسه ، حمل إلى بغداد وطيف به ، وعلق إزاء دار الخلافة في منتصف ذى الحجة (٢١ يناير) وهكذا لقي البساسيري مصرعه بعد أن أقام الخطبة للمستنصر الفاطمي أكثر من عام ببغداد ونواحي العراق (١١٠) .

وقد أدى انتكاس أمر البساسيري ومصرعه إلى توزع مركز ابن ملهم في حلب بسبب اطلاع بنى كلاب . فبعد نحو شهرين من ذهاب ربح البساسيري سار أبو ذؤابة عطية أخو ثمال في صفر ٤٥٢ هـ (مارس ١٠٦٠ م) إلى الرحبة . واغتصب جميع ما تركه البساسيري بها من السلاح والأموال ، واستخلف عليها بعض أصحابه ، وخيل بها للمستنصر (١٤١) فأثار بفعلته هذه بقية أفراد الأسرة

المرداسية لامتلاك حلب . فتوجه ابن أخيه نهر وإسمه عز الدولة (ويقال شمس الدولة) أبو سلامة محمود إلى حلب فى جمادى الأولى (يولية) وحاصرها سبعة أيام ومعه قريبه حسام الدولة ، نبيع بن مقلد بن كامل بن مرداس فاستعصت عليه فرحل عنها (١٤٢) . وفى تلك الانباء تعرض ابن ملهم لثورة أحداث حلب عليه بجرّد إليهم جنده السودان لة مهم ، فووقت الحرب بين الفريقين . واستظهر الأحداث بمحمود بن نصر ، واستدعوه ليلسبوا المدينة إليه ، وكان على مسيرة يوم منها ، فقدم إليهم وحصر معهم ابن ملهم . وتمكن محمود هذه المرة من انزاع حلب من ابن ملهم فى يوم الإثنين مستهل جمادى الآخرة (يولية) ، فتحصن ابن ملهم بالقلعة وأرسل إلى مصر فى طلب النجدة (١١٣) . وفى غضون الشهر ذاته هصرع منيع بن شبيب بن وثاب النخري صاحب حران برفقة ولى عهد الخلافة الأمير عدة الدين أبى القاسم عبد الله (الخليفة المقتدى بأمر الله فيما بعد : ٣٦٧ - ٤٨٧ هـ / ١٠٧٥ - ١٠٩٤ م) ، الذى كان مستخفيا لديه من البساسيرى ، إلى قريشيا من أعمال الرحبة - على الفرات بجوار مصب نهر الخابور الكبير - وملكها ، وعقد له على ابنته ولم يكن عمره يتعدى آنذاك أربع سنين (١٤٤) وكان العرض من هذا المقد الاجتماعى المظهر السياسى الجوهر عند الفاتمين عليه - لا يما عند أبى الغنائم بن المجلبان (المجلبان ؟) أمير واسط الذى حر ولى عهد الخلافة إلى حران - هو تأمين حياة خليفة المستقبل من جهة وتدعيم ملك منيع من جهة أخرى .

٢ - حملة ناصر الدولة الحداقي وهزيمته بالفينيق (رجب ٤٥٢ هـ أغسطس

١٠٦٠ م) :

لما وصل رسول ابن ملهم إلى مصر ، ونقل إلى المستنصر أشهر حلب أمر

المستعصر حاملة بدمشق ناصر الدولة أبا محمد الحسن بن الحسين الحمداني بالمندير إلى حلب . فخرج من دمشق في جيش عدته خمسة عشر ألف فارس . وحين قارب مدينة حلب تركها محمود في رجب (أغسطس) السنة إلى البرية لقلعة من معه إذ كان في دون الألفين . وجاء ناصر فدخل حلب وانتهبها مع ابن ملهم ، وتمقب محمود بالبرية حتى التقى به بالفنيدق (تل السلطان فيما بعد) (١١٥) على نهر البارد الذي يصب في خليج عكار بشمال طرابلس في أواخر الشهر . وأسفر اللقاء عن هزيمة ناصر الدولة ووقوعه في أسر الدين بن أبي كلب الجهل الكلابي ، وشاركه سائر قادته ذات المصير التعس ، واستولى السكاليون على أنقالة . ووصل الأمر إلى تجريد جنوده من ملابسهم وسلبهم إياها . وترد هذه الجريمة المنكرة إلى انسحاب عرب بني كلب وبني طيء من جيش ناصر الدولة فضلا عن حاجة هذا الجيش الزائدة للماء حيث جرت المعركة صيفا في برية معطشة (١١٦) .

وفي هزيمة ناصر الدولة بالفنيدق قال أبو نصر منصور بن تميم بن الزنكل الرمي من قصيدة أشاد فيها بمأثر بني كلاب : -

أليس هم ردوا ابن حمدان عنوة على عقبه لا يتقون العواقب
أليس ابنه يوم الفنيدق قاده دين بن أبي كلب وعراء ساليا (١١٧)

٣ - استسلام حلب وقلعتها لمحمود بن نصر (شعبان ٥٤٥٢ هـ سبتمبر ١١٠٦ م) :

عندما أيقن ابن ملهم من هزيمة ناصر الدولة ويأس من مجيء مدد آخر رأى أن يوقع الفتنة بين محمود بن نصر وعمه عطية ، فاستدعى الأخير إلى حلب وسله للمدينة يوم الخميس فاتح شعبان (سبتمبر) . وصح رأى ابن ملهم فقدم محمود إلى حلب في اليوم ذاته وحارب عمه وغلبه وتسلم للمدينة في اليوم التالي الجمعة ثاني شعبان (١١٨) ، وضائق قلعتها بالحصار ، فاستأمن إليه ابن ملهم

وركن الدولة عامل القلعة وسلبا إليه القلعة في عاشر شعبان . وإذ ذاك أطلق محمود كل من كان في أسره من الأمراء والعواد عدا ناصر الدولة فعادوا جميعا إلى مصر . وبقي ناصر الدولة في سجنه حتى نهاية ولايته في سنة ٤٥٣ هـ (١٠٦١ م) حيث خلى سبيله فرجع مقهورا إلى مصر (١٤٩) .

الثالث : استقلال المرداسيين بحلب في إمارة محمود بن نصر الأولى (٤٥٢ —

٤٥٣ / ١٠٦٠ — ١٠٦١ م) :

ويرى جب Gibb أن استيلاء محمود بن نصر على حلب في سنة ٤٥٢ هـ (١٠٦٠ م) هو للبلاد الحقيقي للدولة المرداسية بحلب صراع مرير استغرق نصف قرن من الزمان (١٥٠) . وهو رأى له وجهته لأن الدولة المرداسية بعد هذا التاريخ عملت مشتتة تماما عن الفاطميين والروم وإن احتفظت بلبعية روحية للفاطميين تمثلت في الخطبة المستنصر فوق منابر البلاد لحسب حتى تاسع عشر شوال سنة ٤٦٢ هـ (٣٠ يولية ١٠٧٠ م) (١٥١) .

تخايش الفصل الثاني

- (١) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٥٥ .
- (٢) راجع ابن العديم (ج ١ ص ٢٥٦) الذي ذكر أيضا أن السيدة علوية أرملة أخيه نصر التي بارحت حلب معه أخذت لنفسها من القلعة خمسين ألف (٥٠,٠٠٠) دينار .
- (٣) راجع : ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٣١ حوادث سنة ٤٠٢ هـ (١٠١١ / ١٠١٢ م) ، أبو الفدا ، م ١ / ج ٢ ص ١٤٨ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٧٣ .
- (٤) ابن العديم ج ١ ص ٢٥٦ .
- (٥) المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٥٦ .
- (٦) نفس المصدر ، ج ١ ص ٢٥٩ .
- (٧) نفس المصدر ، ج ١ ص ٢٥١ .
- (٨) ابن القلاسي ، ص ٧٥ .
- (٩) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٥٧ ، أبو الفدا ، م ١ / ج ٢ ص ١٤٨ . أشار ابن تغري بردي (ح ٥ ص ٧٢) إلى وفاة سبكتين في وفيات ربيع الأول سنة ٤٥٥ هـ (مارس ١٠٦٢ م) . ولقبه عنده تمام الدولة ، وكنيته أبو منصور ، وذكر أنه ولي دمشق للمستنصر ومات بها .
- (١٠) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٥٨ .
- (١١) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٤٦٥ . توفي شبيب الفيزي بعد ذلك في العام التالي (٤٣١ هـ / ١٠٤٠ م) . المصدر نفسه ، ج ٩ ص ٤٧٢ .

Bosworth, op. cit., p 57. (١٢)

(١٢) أنظر في ترجمته ابن خلسكان : وفيات الأعيان ، ج ٢ ، تصحيح الشيخ نصر المحوريني ، القاهرة ١٢٧٥ هـ ، ص ١٤ - ١٧ . وراجع ابن الأثير (ج ١٠ ص ٨٧) الذي ذكره في وفيات سنة ٤٧٢ هـ (١٠٧٩ م) .

(١٤) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٥٨ .

(١٥) راجع ابن العديم (ج ١ ص ٢٥٨) الذي أشار إلى اقتسام مطاعن وقوام إبنى وثاب الفيرى لأملاك أخيهما شبيب . والثاب أبهما أخذاً وسروخ في حين أخذ شبيب بن شبيب حران . نتحصل ذلك من ذكر ابن الأثير لمنيع بأنه صاحب حران . أنظر : الكامل ، ج ٩ ص ٢٢٣ حوادث سنة ٤٠٢ هـ (١٠١١ / ١٠١٣ م) ، ج ١٠ ص ١١ حوادث سنة ٤٥٢ هـ (١٠٦٠ م) وأنظر المصدر نفسه ، ج ٩ ص ٤٧٢ وفيات سنة ٤٣١ هـ (١٠٢٩ / ١٠٤٠ م) .

(١٦) راجع ياقوت (م ١ / ج ٢ ص ٧٣٤ مادة الرافقة) الذي دل على أن الرقة في عهده (ق ٨٧ / م ١٣) خربت وغلب إسمها على الرافقة وصار إسم المدينة الرقة .

(١٧) عن الزواج بالميراث أنظر الدكتور على إبراهيم حسن : التاريخ الإسلامي العام ، ص ٥١١ .

(١٨) سبط بن الجوزي ، ج ١ ورقة ٣٥ - ٣٦ . راجع : ابن العديم ، ج ١ ص ٢٥٩ .

(١٩) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٥٩ .

(٢٠) ذكر ياقوت في مادة دوسر (م ٢ / ج ٢ ص ٦٢) أنها قرية قرب

صفين ، وأردف أنها قلعة جعبر نفسها أريضا . وعندما تعرض لمادة جعبر (م ٢/ج ١ ص ٨١-٨٥) سجل أنها قلعة على الفرات بين بالس والركة قرب صفين كانت قديما تسمى دوسر فليكنها جعبر بن مالك القشيري لحملت اسمه ، ثم غلب عليها السلطان السلاجوقي ملكشاه (٤٦٥-٤٨٥ هـ / ١٠٧٢-١٠٩٢ م) وبنى عنها بني قشير . وقد أوجز ياقوت ما قاله في مادتي دوسر وجعبر وكرره ثانية في مادة قلعة جعبر (م ٤/ج ١ ص ١٦٤) إلا أنه جعل نسبة جعبر إلى قبيلة نمير لانشير . ونحن نعلم أن نمير وقشير من بني عامر بن صعصعة ، ويبدو أن الذي تملك دوسر هو السلطان ألب أرسلان (٤٥٥-٤٦٥ هـ / ١٠٦٣-١٠٧٢ م) والله ملكشاه لأنه هو الذي جلس خلال ديار مضر وشمال الشام في شتاء ربيع سنة ٤٦٣ هـ (١٠٧١ م) . أنظر : ابن القلاسي ص ٩٩ ، ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٦٤ ، الذهبي ج ١ ص ٢٧١ . وبما يؤكد هذا الرأي إدراج ابن القلاسي (ص ١٠٠-١٠١) مقتل الأمير جعبر صاحب قلعة دوسر في محرم سنة ٤٦٤ هـ (سبتمبر ١٠٧١ م) . وهي تقع في حكم ألب أرسلان لملكشاه . ومع ذلك فقد أعاد ملكشاه الاستيلاء على جعبر في سنة ٤٧٩ هـ (١٠٨٦ م) لما تغلب عليها القشيريون ثانية . ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٤٩ .

(٢١) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٥٩ .

(٢٢) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٤٩١-٤٩٢ . راجع رواية ابن العديم ، ج ١ ص ٢٦٢-٢٦٣ .

(٢٣) راجع ابن الأثير (ج ٩ ص ٥٠٠ حوادث سنة ٤٢٣ هـ / ١٠٤١-١٠٤٢ م) حيث يشير إلى أنه دكان كبير على غدرمه بما يراه من تعظيم الملوك له وهيبة الروم منه . . وأنظر ابن القلاسي (ص ٧٩) الذي ذكر أنه ناسب

عرب الشام من طي. وكتب ، فتزوج من إينة الأمير وهب بن حسان الطائي .
ومن إينة الأمير رافع بن أبي الليل السكلي . كما ذكر أنه تزوج من بنت الأمير
حسام الدولة البيجناكي من كبار قادة الأتراك في الدولة . يضاف إلى ذلك معاهرتة
لبنى مروان الأكراد بديار بكر .

(٢٤) تذكر النصوص أن الجرجاني لما أنكر على النذري ذلك قال : وقد
خرف الوزير . . وبسط لسانه فيه بالكلام القبيح . ابن العديم ، ج ١
ص ٢٥٩ .

(٢٥) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٣١ حوادث سنة ٥٤٠٢ (١٠١١/١٠١٢ م) .
(٢٦) للمصدر السابق ، ج ٩ ص ٥٠٠ - ٥٠١ حوادث سنة ٥٤٢٣ (١٠٤١ م)
١٠٤٢ م) .

(٢٧) للمصدر نفسه ، ج ٩ ص ٢٣١ ، ٥٠١ .

(٢٨) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٥٩ .

(٢٩) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٣١ ، ٥٠١ ، ابن العديم ، ج ١ ص ٢٥٩ ،
ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٧٣ . وأنظر : ياقوت م ٤ / ج ١ ص ٢٨٩ مادة كفر
طالب . وراجع ابن العديم (ج ١ ص ٢٥٩) الذي ألمح إلى أن النذري هرب
من دمشق ليلا ومعه ثلاثمائة صبي من غلبانه الأتراك ، ليس لواحد منهم لحية ،
وعلى وسط كل واحد منهم ألف (١٠٠٠) دينار . أي أن جملة ماحمله النذري
من الأموال هو ثلاثمائة ألف (٣٠٠,٠٠٠) دينار .

(٣٠) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٦٠ .

(٢١) المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٦٠ - ٢٦١ ، راجع : ابن الأثير ، ج ٩ ، ص ٢٢١ ، ٥٠١ .

(٢٢) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٦٢ . راجع ابن الأثير (ج ٩ ص ٥٠١ - ٥٠٢) الذي حسب (ص ٢٢١) مدة الحصار أحد عشر شهرا ، وابن خلدون (ج ٤ ص ٢٧٢) الذي عدّها حولا . وقد حدد أبو الفدا (م / ١ ج ٢ ص ١٤٨ - ١٤٩) وابن خلدون (ج ٤ ص ٢٧٢) - وكلاهما يستقى روايته من ابن الأثير (ج ٩ ص ٢٢١ ، ٥٠١) - ملك شمال حلب وقلعتها بصفر سنة ٥٤٣٤ (سبتمبر ١٠٤٢ م) . والحقيقة أن ابن الأثير أجمل وأدغم فأشكل معتمديه .

(٢٣) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٦٢ .

(٢٤) CF Camb. Med. Hist., vol. IV, pp. 107-108, Diehl, 'Le monde orient', ch. X', pp. 539-540.

(٢٥) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٦٢ - ٢٦٣ .

(٢٦) Camb. Med. Hist., vol. IV, p. 108, Diehl, Ibid.

(٢٧) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٦٣ .

(٢٨) خلف أبا القاسم الجرجاني في الوزارة . أنظر : ابن منجب ، ص ٣٨ ، ابن القلائس ، ص ٨٤ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٥٢ حوادث سنة ٥٤٤ (١٠٤٨ م) / ١٠٤٩ م .

(٢٩) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٦٢ .

(٣٠) ابن ميسر ، ص ٣ .

(٣١) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٤١ راجع : القوى البحرية ، ص ٣١١ .

(٤٢) راجع الألبشبي : المستطرف من كل فن مستظرف ، ج ٢ ، المطبعة
 التمددية ، القاهرة ، بدون تاريخ ، الباب الرابع والخمسين (في ذكر الهدايا
 والتحف وما أشبه ذلك) ، ص ٧٢ حيث تاريخ الهدية مصحف إلى سنة ٤٣٧ هـ
 (١٠٤٥ م) .

(٤٢) هو ابن ناصر الدولة أبي عبدالله الحسين الذي ولي صور للخليفة الحاكم
 في سنة ٣٨٨ هـ (٩٩٨ م) بعد أن أنهى تمرد نائرها هلاكة (الروخاوري ،
 ص ٢٢٦ ، ابن القلائسي ، ص ٥٠ - ٥١ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٢٠ - ١٢١
 حوادث سنة ٣٨٦ هـ / ٩٩٦ م ، وأنظر رفيا سبق ص ١٦) ، وحفيد ناصر
 الدولة أبي محمد الحسن بن عبدالله بن حمدان (٣١٧ - ٣٥٨ هـ / ٩٢٩ - ٩٦٩ م)
 مؤسس الدولة الحمدانية بالموصل (٣١٧ - ٣٨٠ هـ / ٩٢٩ - ٩٩٠ م) . ولي نيابة
 دمشق مرتين للسننصر حسبا جاء بالمأت . راجع ابن القلائسي (ص ٨٣ ، ٨١ ،
 ٨٦ ، ٨٧) الذي صحف إسمه في ولايته الثانية إلى أبي محمد الحسين بن الحسن بن
 حمدان . وقد وافق ابن العديم (ج ١ ص ٢٦٢ ، ٢٧٧) وابن تفرى بردي (ج ٥
 ص ٢٤ ، ٦٣) ابن القلائسي في ضبط هذا الاسم ، بينما اضطرب رسمه عند ابن
 الأثير ، فهو تارة (ج ٩ ص ٢١٢ حوادث سنة ٤٠٣ هـ / ١٠١١ - ١٠١٢ م)
 أبو عبدالله بن ناصر الدولة بن حمدان ، وأخرى (ج ٩ ص ٢٣٣ حوادث السنة
 نفسها) أبو علي بن ناصر الدولة بن حمدان ، وثالثة (ج ٩ ص ٥٠١ حوادث
 سنة ٤٣٣ هـ / ١٠٤١ - ١٠٤٢ م) الحسين بن أحمد ، ورابعة (ج ١٠ ص ١١
 حوادث سنة ٤٥٢ هـ / ١٠٦٠ م) ناصر الدولة أبو محمد بن حمدان . أنظر ابن
 تخذلون (ج ٤ ص ٢٧٢) الذي اعتمد رسم ابن القلائسي مرة وأخرى اعتمد
 رسم ابن الأثير الأول ، ولاحظ تصحيف الكنية إلى أبي عبيد الله . وأنظر

المقریزی (المخطوط، ج ٢ ص ١٧٠) الذي أثبتته بإسم ناصر الدولة الحسين بن حمدان.

(٤٤) ابن الأثير، ج ٩ ص ٢٢٢ حوادث سنة ٥٤٠٢ (١٠١١/١٠١٢ م)،
ص ٤٩٠. حوادث سنة ٤٤٠ (١٠٤٨ / ١٠٤٩ م)، ابن العديم، ج ١
ص ٢٦٤، ابن ميسر، ص ٣، أبو الفدا، م ١ / ج ٢ ص ١٤٩، ابن خلدون،
ج ٤ ص ٢٧٣. أنظر الدكتور محمد الشيخ (الإمارات العربية، ص ١٧٩)
حيث أرخ حملة ناصر الدولة بسنة ٤٣٩ (١٠٤٧ م) مع أن مصادره تقول
بسنة ٤٤٠ (١٠٤٨ م)، والدكتور حسن إبراهيم حنتن (تاريخ الدولة
الفاطمية، ص ٢٣٧) الذي أرخها بسنة ٤٣٠ (١٠٢٩ م) ٤١.

(٤٥) ابن الأثير، ج ٩ ص ٤٩٠ حوادث سنة ٤٤٠ (١٠٤٨/١٠٤٩ م).

(٤٦) ابن العديم، ج ١ ص ٢٦٥. سجل ابن القلائسي (ص ٧٥) استيلاء
مقلد المرادسي على سماء في سنة ٤٣٩ (١٠٤٧ م).

(٤٧) ابن القلائسي، ص ٨٣، ٨٤، ابن العديم، ج ١ ص ٢٦٤. راجع
المقریزی (المخطوط، ج ٢ ص ١٧٠) حيث قبض طارق (ويكتبه مظفر)
الصقلي على ابن حمدان ومصادره واعتقله بصور ثم بالرملة.

(٤٨) ابن ميسر، ص ٤. راجع المقریزی (المخطوط، ج ٢ ص ١٧٠)
الذي حدد مبلغ النفقة على الحملة.

(٤٩) ابن القلائسي (ص ٨٥) بعد تعديل يوم وصول رفق إلى حلب من
الخميس إلى الأحد:

(٥٠) كذا عرف ياقوت بهذه المدينة في معجمه (م ٤ / ج ٢ ص ٥٧٥).

• (٥١) ابن ميسر، ص ٤ - ٥. راجع ماكتبه ابن الأثير عن حملة رفق، ج ٩ ص ٢٣٢ حوادث سنة ٥٤٠٢ هـ (١٠١١ / ١٠١٢ م) والغريب أنه عندما أُرِخ لهذه الحملة (ص ٥٦٠) في حوادث سنة ٥٤٤١ هـ (١٠٤٩ / ١٠٥٠ م) ذكر أن ثمالا خاف عسكر مصر الذي وصل إلى حلب، لكثرتهم، فانهصرف عنها فلحقها المصريون، ٩١١. وأنظر المقرئى (المخطوط، ج ٢ ص ١٧٠) الذي أثبت حملة رفق في سنة ٥٤٤٠ هـ (١٠٤٨ م).

• (٥٢) ابن العديم، ج ١ ص ٢٦٦.

• (٥٣) المقرئى : المخطوط، ج ٢ ص ١٧٠.

• (٥٤) ابن القلانسى، ص ٨٤. وأنظر المقرئى في المخطوط، ج ٢ ص ١٧٠. راجع ابن الأثير (ج ٩ ص ٥٧٠) الذي ذكر القبض على أبي البركات الجرجاني في سنة ٥٤٤٢ هـ (١٠٥٠ م)، وزاد فأخطأ في درجة قرابته للجرجاني الأول فهو عنده ص ٩١) مع أن العكس هو الصحيح.

• (٥٥) ابن ميسر، ص ٦. راجع : المخطوط، ج ٢ ص ١٧٠.

• (٥٦) المقرئى : المخطوط، ج ٢ ص ١٧٠. وأنظر عن وساطة مساعد الدكتور محمد حمدى المناوى : الوزارة والوزراء في العصر الفاطمى، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٠ م، ص ٢٥٦-٢٥٧.

• (٥٧) ابن القلانسى ص ٨٤، ابن الأثير، ج ٩ ص ٥٧٠. وراجع المقرئى (المخطوط، ج ٢ ص ١٧٠) حيث ذكر وزارة اليازورى في خواتيم. حوادث سنة ٥٤٤١ هـ (١٠٥٠ م). ونسبة اليازورى إلى يازور بليدة بسواحل الرملة من أعمال فلسطين بالشام - ياقوت، م ٤ / ج ٢ ص ١٠٢. عن وزارته أنظر:

ابن منجب ، ص ٤٠ - ٤٥ ، ابن ميسر ، ص ٥ - ٨ ، ٣٤ . ومعرفة المزيد عن هذا القاضي الداهية أنظر : عمر الصالح البرغوثي : الوزير اليازوري ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، بدون تاريخ .

(٥٨) ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٩٩ ، ٤١٧ - ٤٢٥ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، القسم الثالث الخاص بالمغرب ، تحقيق وتعليق الدكتور أحمد مختار العبادي والأستاذ محمد إبراهيم الكتاني ، الدار البيضاء ١٩٦٤ م ، ص ٧٣ - ٧٥ . وأنظر هامش ص ٧٤ - ٧٥ بالمصدر السابق حيث ينسب الدكتور مختار العبادي ذلك لليازوري على اعتبار أن الجرجاني مات في سنة ٣٦٤ هـ (١٠٤٥ م) قبل هجرة الأعراب بنحو عشر سنوات . وهذا صحيح إلا أن المقصود في نص أعمال الأعلام والبيان المغرب من قبله هو الجرجاني الثاني ابن أخى الأول . ولعل أستاذنا الدكتور غنار العبادي ساير ابن خلدون (٦ ص ١٤) في تخطئة من قال بأن أبا القاسم الجرجاني (ويكتبه الجرجاني) هو الذى أدخل العرب إلى أفريقيا . وهو حق في رأيه ولكن المعتبر هنا كما قلنا هو أبو البركات الجرجاني لا أبو القاسم الجرجاني . ونحسب أن مبعث رفض ابن خلدون هو أنه جعل (ج ٦ ص ١٢ ، ١٤) وزارة اليازوري - ويكتبه اليازوري (ج ٦ ص ١٣) والأروزي (ج ٦ ص ٧٢) - بعد وزارة أبي القاسم الجرجاني . وهذا غير صحيح إذ تفصلهما وزارة الفلاحى أولا ، ثم وزارة أبي البركات الجرجاني ثانيا ، ثم وساطة أبي الفضل صاعد ثالثا .

(٥٩) راجع : ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٦٦ - ٥٦٩ . وأنظر بحث الدكتور أحمد مختار العبادي القيم : سياسة الفاطميين نحو المغرب والاندلس ، صحيفة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية في مدريد ، ٢ م ، العدد ١ - ٢ ، ١٢٧٣ هـ / ١٩٥٤ م ، ص ٢٦ - ٢٨ .

(٦٠) راجع الدكتور محمد الشيخ : الإمارات العربية ، ص ١٦٣ - ١٦٤ .

(٦١) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٦٦ - ٢٦٨ .

(٦٢) في يوم ١٢ ذى الحجة من هذه السنة (أبريل ١٠٥٢ م) أنزل العرب بقيادة أمير رياح موسى (ويقال مؤنس وبونس) بن يحيى المرزاس الصنبري هزيمة هائلة بجيوش المعز بن باديس جنوب جبل حيدران (جندران ؟) من جهة قابس (في الأصل : فاس) ، ووصلوا إلى نواحي القيروان . وسميت هذه الواقعة بيوم العين ، لأن موسى بن يحيى أمر العرب بطعن الصنهاجيين في أعينهم ، لأنهم كانوا يرتدون دروعا مسجلة تغطي الجسم كله فلا يبدو منها غير العيون . ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٦٧ - ٥٦٩ ، ابن عذاري ، ج ١ ص ٤١٩ - ٤٢٠ ، ابن خلدون ، ج ١ ص ١٤ - ١٥ ، سياسة الفاطميين ، ص ٢١٩ .

(٦٣) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٦٨ ، وكذا Camb. Med. Hist., Vol. V, p. 258.

(٦٤) العيني : عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، ج ٢ ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٥٨٤ تاريخ ، ورقة ٨٥ .

(٦٥) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٧٠ .

(٦٦) المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٧٠ .

(٦٧) Cf. Camb. Med. Hist., vol. V, 259.

(٦٨) قامت هذه الحرب لأن الإمبراطورة تذريرة الثانية عافت مسير شعنة الغلال (أربعمائة ألف أردب) التي اتفق عليها المستنصر مع سلفها الإمبراطور قسطنطين التاسع مونوماخوس قبيل وفاته في سنة ٤٦٤ هـ (١٠٥٤ م) وكانت

مصر آنذاك فى أزمة اقتصادية بسبب المجاعة التى حلت بها فيما بين سنة ٤٤٤ هـ (١٠٥٢ م) وسنة ٤١٧ هـ (١٠٥٥ م) . واشترطت تذورة الإفراج عن الشحنة أن يتعهد المستنصر بتقديم المساعدة الحربية لها إذا تعرضت بلادها للخطر . ولكن المستنصر أبى وأغارت قواته بقيادة مكيين الدولة رابى على الحسن بن على بن ملهم بن دينار العقيلي على فامية وأعمال أنطاكية . فخرج أسطول الروم فى ثمانين قطعة بحرية إلى مياه الشام وأوقع بمكيين الدولة بن ملهم وأولاده هو والعديد من رجاله . المقرئى : الخطط ، ج ١ ، بولاق ، القاهرة ١٢٧٠ هـ ، ص ٣٣٥ . وعن المجاعة التى دفعت المستنصر لحرب الروم أنظر المقرئى : الخطط ، ح ٢ ص ١٧٠ ، إغاثة الأمة بكشف الغمة ، نشر الدكتور محمد مصطفى زيادة والدكتور جمال الدين الشيال ، ط ٢ ، القاهرة ١٩٥٧ م ، ص ١٨ - ٢٨ .

(٧٠) أرشيبالد لويس : القوى البحرية ، ص ٣٩٦ .

(٧١) ابن ميسر ، ص ٦ .

(٧٢) نسبة إلى مدينة بسا من أعمال كورة دارابجرد بفارس بلده السيد الأول . والعرب تجعل عوض الباء فاء فتقول فسا والنسبة إليها بلساوى . بلغتهم فسوى وفساوى . أما بلغة الفرس فالنسبة إليها بلساوى أو فساوى . ابن الأثير ، ج ٩ ص ٦٥٠ حوادث سنة ٤٤٥٠ هـ (١٠٥٨ م) ، أبو الفدا ، م ١/ج ٢ ص ١٨٨ ، ابن خلدون ، ج ٣ ص ٤٦٥ - ٤٦٦ .

(٧٣) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٦٠٩ - ٦١٣ . أنظر كذلك الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد أو مدينة السلام ، م ٩ ، مطبعة السعادة القاهرة ١٣٤٩/١٩٣١ م ، ص ٤٠٠ ، ابن الفلاس ، ص ٨٧ ، الفارق : تاريخ الفارق (الدولة المروانية) ، تحقيق الدكتور بدوي عبد الحليم ، موضح : بهجة الدكتور محمد شفيق خريال ،

المطبعة الأميرية ، القاهرة ١٣٧٩ هـ / ١٩٥٩ م ، ص ١٥٥ - ١٥٦ ، ابن خلدون ، ج ٣ ص ٤٥٩ - ٤٦٠ ، ابن تقي ردى ، ج ٥ ص ٥٧ ، وعن مصاهرة نور الدولة ديبس للسياسيرى أنظر حوادث سنة ٤٤٤ هـ (١٠٥٢ م) فى السكامل (ج ٩ ص ٥٩٢) حيث يقول ابن الأثير : وفيها زوج نور الدولة ديبس بن مزيد ابنه بهاء الدولة منصور بإئنة أبى البركات بن السياسيرى .

(٧٤) الخطيب البغدادي ، م ٩ ص ٤٠٠ .

(٧٥) الدكتور حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والإجتماعى ، ج ٣ ، القاهرة ١٩٤٦ م ، ص ١٢٦ - ١٣٧ .

(٧٦) بن الأثير ، ج ٩ ص ٦٠٩ ، ٦١٠ ، ٦١٢ . أنظر أيضا : الخطيب البغدادي ، م ٩ ص ٤٠٠ ، ابن القلانسي ص ٨٧ .

(٧٧) ابن ميسر ، ص ٧ ، وكذا Lane — poole, A hist. of Egypt in the middle ages, p. 148, Can b Med. Hist, Vol. V, p. 256.

(٧٨) الشيرازى : سيرة المؤيد فى الدين داعى الدعاة ، نشر الدكتور محمد كامل حسين ، القاهرة ١٩٤٩ م ، ص ٩٤ - ٩٥ .

(٧٩) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٧٠ .

(٨٠) المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٧٠ .

(٨١) ابن ميسر ، ص ٧ .

(٨٢) الخطيب البغدادي ، م ٩ ص ٤٠٠ .

(٨٣) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٧١ .

- (٨٤) المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٧١ .
- (٨٥) سيرة المؤيد ، ص ٩٧ - ٩٨ .
- (٨٦) المصدر السابق ، ص ١٠٠ .
- (٨٧) النجوم الزاهرة ، ج ٥ ص ١١ - ١٢ .
- (٨٨) سيرة المؤيد ، ص ١٦٥ . راجع الذهبي (ج ١ ص ٢٦٥) الذي تنفق روايته مع رواية المؤيد الشهرآزي .
- (٨٩) ابن ميسر ، ص ٨ .
- (٩٠) ابن منجب ، ص ٦٩ .
- (٩١) سيرة المؤيد ، ص ١٠٠ - ١٠٧ .
- (٩٢) ورد اسم هذه البلدة عند المؤيد برسم الروستان ، وعند ياقوت (٢٢ / ج ٢ ص ٧٧٨) برسم الرستن .
- (٩٣) سيرة للمؤيدة ، ص ١٠٧ - ١٠٨ .
- (٩٤) أى يجعل المؤذنين يزيدون عبارة «حى على خير العمل وعلى خير البشر» فى الأذان بعد عبارة «حى على الصلاة» ، ويسقطون عبارة «الصلاة خير من النوم» فى أذان الصبح أو الفجر بعد عبارة «حى على الفلاح» . راجع الدكتور محمد أحمد عبد المولى : القوى السفينة (رسالة دكتوراه) ، ص ٨١-٨٢ .
- (٩٥) سيرة المؤيد ، ص ١٠٨ - ١١٦ .
- (٩٦) المصدر السابق ، ص ١١٦ - ١١٧ .
- (٩٧) المصدر نفسه ، ص ١١٩ - ١٢٠ .

(٩٨) نفسه ، ص ١٢١ - ١٢٨ .

(٩٩) نفسه ، ص ١٢٨ - ١٢٩ .

(١٠٠) حدد ابن منجب (ص ٤٤) آخر هذا الشهر من السنة المذكورة تاريخاً للمركة سنجار ، فلا بد أن العبور تم خلاله .

(١٠١) سيرة المؤيد ، ص ١٢٩ .

(١٠٢) المصدر السابق ، ص ١٣٠ .

(١٠٣) المصدر نفسه ، ص ١٣١ . راجع : ابن الأثير ، ج ٩ ص ٦٢٥ ،

ابن خلدون ، ج ٣ ص ٤٦١ .

(١٠٤) ابن منجب ص ٤٤ .

(١٠٥) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٦٢٥ . وأنظر ابن خلدون (ج ٣ ص ٤٦١)

حيث يناقض نفسه ، فيبيننا يذكر أن قتلاش وقريشا حارباً البساسيري نراه في موضع آخر (ج ٣ ص ٤٦٢) يذكر أن قتلاش ألقى المهزيمة في سنجار أمام قريش ودبليس .

(١٠٦) ابن منجب ، ص ٤٤ . في سيرة المؤيد (ص ١٢٢ ، ١٢٤) أربعة

آلاف (٤٠٠٠) قتل منهم ألفان وسبعمائة (٢٠٧٠٠) وما أصيب من العسكر المذموري إلا دون العشرين ، ٦١ . ولا شك أن تقدير المؤيد لخصائر البساسيري تزيد على ذلك كثيراً ، ولكنه معذور بعصبية المذهبية وتحيزه السياسي .

(١٠٧) سيرة المؤيد ، ص ١٢٤ . وأنظر : ابن الأثير ، ج ٩ ص ٦٢٥ -

٦٢٧ ، ابن خلدون ، ج ٣ ص ٤٦١ . ولاحظ أن والد نصر الملقب إسمه د علي ،

عند ابن الأثير (ج ٩ ص ٦٢٧) ودعبي ، عند ابن خلدون ، (ج ٣ ص ٢٦١) .

(١٠٨) يذكر المؤيد (ص ١٣٥) أن طغرل بك حين علم بذلك عاد إلى بغداد. ويذكر ابن الأثير (ج ٩ ص ٦٢٦ - ٦٢٧) ، وابن خلدون (ج ٣ ص ٤٦١) أنه رحل عن بغداد في ذي الحجة سنة ٤٤٨ هـ (فبراير ١٠٥٧ م) ليخفف من أهلها بعد ما استطال جنوده على العامة وغلبوهم على مساكنهم وأقواتهم.

(١٠٩) سيرة المؤيد ، ص ١٣٥ - ١٣٧ . أشار ابن الأثير (ج ٩ ص ٦٢٤ - ٦٢٥) ، وابن خلدون (ج ٢ ص ٤٦١) أن الذي قام بالدعوة في واسط وأعمالها هو أبو الفنائم بن المحلبان (المحلبان ؟) ومن بعده ابن فسانجس .

(١١٠) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٦٢٧ ، ابن خلدون ج ٣ ص ٤٦١ .

(١١١) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٦٢٧ - ٦٢٨ ، ابن خلدون ، ج ٣ ص ٤٦١ . وانظر ياقوت (١٤ / ج ٢ ص ٧٥٠) مادة البوازيج التي ترد عند ابن الأثير: البوازيج (بالراء والجيم) ، وعند ابن خلدون البوازيخ (بالراء والحاء) .

(١١٢) سيرة المؤيد ، ص ١٤٠ - ١٤١ .

(١١٣) المصدر السابق ، ص ١٤٢ - ١٥٣ . راجع ابن الأثير ، ج ٩ ص ٦٢٩ .

(١١٤) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٦٣٠ - ٦٣١ . راجع ابن خلدون (ج ٣ ص ٤٦٢) حيث أمير سنجار : علي بن مرجى .

(١١٥) سيرة المؤيد ، ص ١٦٩ - ١٧٠ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ٦٣٠ - ٦٣١ .

(١١٦) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٦٢٩ .

(١١٧) المصدر السابق ، ج ٩ ص ٦٣٧ .

- (١١٨) المصدر نفسه، ج ٩ ص ٦٣٠ .
- (١١٩) نفسه، ج ٩ ص ٦٢٩ .
- (١٢٠) سيرة المؤيد، ص ١٧٠، ١٧٢ .
- (١٢١) ابن الأثير، ج ٩ ص ٦٢٣ - ٦٣٤ .
- (١٢٢) سيرة المؤيد، ص ١٧٠ .
- (١٢٣) راجع: ابن الأثير، ج ٩ ص ٢٢٢ حوادث سنة ٥٤٠٢ (١٠١١/١٠١٢ م) .
- (١٢٤) سيرة المؤيد، ص ١٧١ - ١٧٢ .
- (١٢٥) ابن العديم، ج ١ ص ٢٧٣، وكذا Bosworth, op. cit., op 57 .
- (١٢٦) ابن العديم، ج ١ ص ٢٧٣ .
- (١٢٧) سيرة للمؤيد، ص ١٧١ - ١٧٢ .
- (١٢٨) Camb. Med. Hist., vol. V, p. 269. راجع ابن خلدون (ج ٣ ص ٤٦٣) حيث ذكر أن طغرل بك لما ملك الموصل سلبها إلى أخيه إبراهيم بنال وجعلها لنظره مع سجنار والرحبة وسائر تلك الاعمال التي تقربش ورجع إلى بغداد في سنة ٥٤٤٩ (١٠٥٧ م) .
- (١٢٩) سيرة المؤيد، ص ١٧٥، ابن الفلاني، ص ٨٦، ابن الأثير، ج ٩ ص ٢٢٣، سبط بن الجوزي، ج ١ ورقة ١١٨، ابن ميسر، ص ٨، أبو الفدا، م ١ / ج ٢ ص ١٤٩، الذهبي، ج ١ ص ٢٦٤، ابن خلدون، ج ٤ ص ٢٧٣، الفلقشندي، ج ٤ ص ١٦٩، وكذا Bosworth, op. cit., p. 57 .
- Lane - Poole, Muh. dynasties, p 114.

أنفرد ابن العديم (ج ١ ص ٢٧٤) بتحديد تسليم حلب للمستنصر في ذي القعدة سنة ٤٤٨ هـ (يناير ١٠٥٧ م)، ثم جاء المقرئ (المخطوط، ج ٢ ص ١٧٠) من بعده فأثبت عودة حلب إلى المستنصر في تلك السنة، وهو رأى يتناقض مع رواية المؤيد المعاصرة الذي ذكر (ص ١٧٤ - ١٧٥) أنه مكث بالرحبة أكثر من سنة (٤٤٨ - ٤٤٩ هـ / ١٠٥٦ - ١٠٥٧ م) ثم عاد إلى حلب حيث جرى تسليمها لابن ملهم نائب المستنصر. كما أنه يتناقض مع الواقع التاريخي إذ المعروف أن هذا التنازل تم بعد استعادة السلاجقة الموصل وسنجار وعودة البساسيري إلى الرحبة، وذلك يقع في حوادث سنة ٤٤٩ هـ (١٠٥٧/١٠٥٨ م).
 راجع الدكتور محمد الشينخ (الإمارات العربية، هامش ٢ ص ١٢٥، ص ١٨٣) حيث يعتمد برأى ابن العديم لأن ابن الفلانسى نص على أن ابن ملهم أقام بحلب مدة أربع سنين يخطب فيها للمستنصر، وهو رأى يفترض صحة رواية ابن الفلانسى مع خطئها في حساب مدة ولاية ابن ملهم التي لا تتعدى سنتين وسبعة أشهر أو تسعة أشهر باعتبار سقوط حلب في يد محمود بن نصر في جهادى الآخرة سنة ٤٥٢ هـ (أغسطس ١٠٦٠ م) وقلعتها في شعبان (أكتوبر) السنة. راجع: ابن الأثير، ج ٩ ص ٢٣٢ - ٢٣٣.

(١٣٠) ابن الأثير، ج ٩ ص ٢٣٢ حوادث سنة ٤٥٢ هـ (١٠١١/١٠١٢ م).
 ابن العديم، ج ١ ص ٢٧٤، ابن خلدون، ج ٤ ص ٢٧٣.
 (١٣١) سيرة المؤيد، ص ١٧٠.

(١٣٢) للصدر السابق، ص ١٧٥ - ١٧٦، ١٧٩. وعن مفارقة إبراهيم بنال الموصل راجع: ابن الأثير، ج ٩ ص ٦٢٩، ابن خلدون، ج ٢ ص ٤٦٣.
 (١٣٣) سيرة المؤيد، ص ١٧٩. راجع ابن الأثير، ج ٩ ص ٦٢٩.

- (١٣٤) سيرة المؤيد ، ص ١٧٩ .
- (١٣٥) راجع : ابن الأثير ، ج ٩ ص ٦٤٠ .
- (١٣٦) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٧٤ .
- (١٣٧) راجع الدكتور محمد الشيخ : الإمارات العربية ص ١٢٦ .
- (١٣٨) سيرة المؤيد ، ص ١٧٦ ، ١٧٨ .
- (١٣٩) ابن منجب ، ص ٤٨ .
- (١٤٠) راجع : الخطيب البغدادي ، ج ٩ ص ٤٠١ - ٤٠٤ ، المؤيد الشيرازي ، ص ١٧٨ - ١٨٤ ، الفارقي ، ص ١٥٢ - ١٥٧ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ٦٣٩ - ٦٤٩ حوادث سنة ٤٥٠ هـ (١٠٥٨ م) ، ابن العديم ، ج ١ ص ٢٧٥ ، الذهبي ، ج ١ ص ٢٦٤ - ٢٦٦ ، أبا الفدا ، م ١ / ج ٢ ص ١٨٨ ، ابن خلدون ، ج ٢ ص ٤٦٣ - ٤٦٥ ، للقرطبي (المخطوط) ج ٢ ص ١٧٠ - ١٧١ ، ابن تفرى بردى ، ج ٥ ص ٦٤ - ٦٥ .
- (١٤١) ابن القلانسي ، ص ٩٠ ، ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٢ ، ابن العديم ، ج ١ ص ٢٧٥ ، الذهبي ، ج ١ ص ٢٦٦ ، ابن تفرى بردى ، ج ٥ ص ٦٦ .
- (١٤٢) ابن القلانسي ، ص ٩٠ ، ابن العديم ، ج ١ ص ٢٧٦ ، أبو الفدا ، م ١ / ج ٢ ص ١٤٩ . وعن ألقاب محمود بن نصر أنظر : ابن العديم ، ج ١ ص ٢٩٧ . وراجع Bosworth, op. Cit., p 57 حيث لقبه رشيد الدولة ، وابن تفرى بردى (ج ٥ ص ٧٩ ، ١٠٠) حيث كنيته ابن الروقلية مثل جده صالح بن مرداس .
- (١٤٣) ابن القلانسي ، ص ٩٠ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٢٢ - ٢٢٣ حوادث سنة ٤٥٢ هـ (١٠١١ - ١٠١٢ م) ، ج ١٠ ص ١١ - حوادث سنة ٤٥٢ هـ .

(١٠٦٠ م)، ابن العديم، ج ١ ص ٢٧٦ - ٢٧٧، الذهبي، ج ١ ص ٢٦٦.
أنظر كذلك رواية ابن خلدون (ج ٤ ص ٢٧٣) المضطربة.

(١٤٤) ابن الأثير، ج ١٠ ص ١١. وراجع المصدر نفسه، ج ١٠ ص ٩٧.

(١٤٥) أنظر عنه ياقوت (م ١ / ج ٢ ص ٨٦٧) حيث بينه وبين حلب مرحلة نحو دة شق. وقد عرف بالفتيدق لأن فيه خان ومنزل القوافل. وقال ابن العديم (ج ٢ ص ١٩) أنه سمي مثل السلطان لئلا يزل السلطان السلجوقي أب أرسلان به. أنظر فيما بعد (الفصل الرابع).

(١٤٦) راجع: ابن القلانسي، ص ٨٦ - ٨٠، ابن الأثير، ج ٩ ص ٢٣٣، ج ١٠ ص ١١ - ١٢، ابن العديم، ج ١ ص ٢٧٧ - ٢٧٩، أبا الفدا، م ١ / ج ٢ ص ١٤٩، الذهبي، ج ١ ص ٢٦٦، ابن خلدون، ج ٤ ص ٢٧٣ - ٢٧٤، ابن تفرى بردى، ج ٥ ص ٦٣. ولاحظ أن ابن الأثير (ج ٩ ص ٢٣٣) يرى جند ناصر الدولة من انتهاب حلب، ثم يعود (ج ١٠ ص ١١) فيدينهم، كما أنه يشيز (ج ١٠ ص ١٢) إلى أن محمود بن نصر قتل عمه معز الدولة (شمال) بعد انتصاره في الفتيدق. وهي رواية نقلها في الغالب عن ابن القلانسي (ص ٩٠) مع أن ثمالا توفي حثف أنفه في تاريخ لاحق. أنظر أيضا الذهبي (ج ١ ص ٢٦٦) الذي نص على هذه الرواية الغريبة نقلًا - فيما يرجح - عن ابن الأثير.

(١٤٧) ابن العديم، ج ١ ص ٢٨١.

(١٤٨) ابن العديم، ج ١ ص ٢٧٩. راجع: ابن القلانسي، ص ٩٠، ابن الأثير، ج ٩ ص ٢٣٣، ج ١ ص ١٢. أبا الفدا، م ١ / ج ٢ ص ١٤٩، الذهبي، ج ١ ص ٢٧٤، ابن خلدون، ج ٤ ص ٢٧٤.

(١٤٩) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٨٠ . راجع : ابن الفلاني ، ص ٨٧ ،
ابن الأثير ، ج ٩ ص ٣٣٢ ، ج ١٠ ص ١٢ ، أبا الفدا ، م ١ / ج ٢ ص ١٤٩ ،
ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٧٤ . أرخ ابن الفلاني (ص ٨٦) مواعيد الفتيق
في يوم الإثنين مستهل شعبان سنة ٤٥٢ هـ (سبتمبر ١٠٦٠) .

(٥٠) Cf Gbb, The Damascus Chronicle of the Crusades. London 1932 p 17.
أنظر النص الثالث من تقديم جب لنا يح ابن الفلاني
وهو بعنوان : بلاد الشام زمن الحمة العباسية الأولى .

(١٥١) أنظر فيما بعد ، (الفصل الثالث : المخطبة للعباسيين والسلاجقة على
ماير حلب) .

الفصل الثالث

الإمارة المرداسية في عهد الاستقلال

(٤٥٢ - ٤٦٢ هـ / ١٠٦٠ - ١٠٧٠ م)

أولاً : حملة لغال مل حلب وعودته الى حكمها (ذو الحجة - ربيع الأول

٤٥٣ هـ / يناير - أبريل ١٠٦١ م) .

ثانياً : إمارة لغال الثالثة (٤٥٣ - ٤٥٤ هـ / ١٠٦١ - ١٠٦٢ م) :

١ - استمرار النجبة الروحية للفاطميين .

٢ - محاربة الروم في أنطاكية .

ثالثاً : وفاة لغال وولاية أخيه عطية (ذو القعدة ٤٥٤ هـ / نوفمبر ١٠٦٢ م) .

رابعاً : إمارة عطية ونشوب الحرب الأهلية (٤٥٤ - ٤٥٧ هـ / ١٠٦٢ - ١٠٦٥ م) :

١ - الحرب بين عطية وابن أخيه محمود بن نصر .

٢ - إستنصار عطية بمرتزقة السلاجقة ثم انقلابه عليهم .

٣ - معركة دابق وانقسام الإمارة المرداسية (جمادى الآخرة -

رمضان ٤٥٧ هـ / مايو - أغسطس ١٠٦٥ م) .

خامساً : سقوط إمارة عطية بالفرات وشمال حلب (٤٦٠ - ٤٦٤ هـ / ١٠٦٧ -

١٠٧٢ م) .

سادساً : انهيار إمارة عمود بعلب وأعمالها الجنوبية :

١ - القضاء مع الروم ومهادنتهم .

- ٢ - منافرة الخلافة الفاطمية .
- ٣ - عاربة الروم ومهادنتهم ثانية .
- ٤ - إغارات السلاجقة على آسيا الصغرى وشمال الشام .
- - عجز الدولة الفاطمية عن دفع الخطر السلجوقي .
- ٦ - المخطبة للعباسيين والسلاجقة على منابر حلب (١٩ شوال ٤٦٢ هـ / ٣٠ يولية ١٠٧٠ م) .

الفصل الثالث

الإمارة المرداسية في عهد الاستقلال

(٤٤٢ - ٤٦٢ / ١٠٦٠ - ١٠٧٠ م)

أولاً : حملة شمال على حلب وعودته إلى حكمها (ذو الحجة - ربيع الأول ١٠٥٣ هـ / يناير - أبريل ١٠٦١ م) :

تفيط المستنصر لفقد حلب. غير أن اضطراب أحوال مصر الاقتصادية والسياسية عقب اختفاء وزيره اليازوري (٤٥٠ / ١٠٥٨ م)^(١) ، من جراء قصور النيل واتصال الشعب بين طوائف الجند من السودان والآراك^(٢) ، منعه من اتخاذ إجراء حاسم ضدها . ولذا رفض يديه منها ، ولكنه في الوقت ذاته أراد أن يكون حاكماً على شيء من الولاء له . ووقع اختياره على صيفه شمال عم محمود بن نصر أمير حلب المتغلب . ووجد في هذا الاختيار فرصة لاسترجاع إقطاعه الذي أقطعه إياه عوض حلب . وبما قاله له في هذا الصدد : « إن هذه الأماكن أخذتها عوضاً عن حلب ، وقد طردت إلى ابن أخيك ، فتمضي إلى حلب فتستعيد ما منه » . ولم يكن أمام شمال إلا القبول ، فجهز المستنصر بالأموال والأسلحة ، ولقبه بجملة ألفاب نصها : « الأجل ، الأعز » ، تاج الأمراء ، عماد الملك ، سيف الخلافة ، عضد الإمامة ، بهاء الدولة العلوية ، وزعيم جيوشها المستنصرية ، « علم الدين » ، ذو الفخسرين ، مصطفى أمير المؤمنين^(٣) .

وتوجه شمال إلى حلب ، ونزل في طريقه إليها بعمرة النعمان ، وحين اشتد جمعه ، سار إلى حلب وحاصرها في ذي الحجة سنة ٤٥٢ هـ (يناير ١٠٦١ م) ، فاستنجد

صاحبها بمنيح بن شبيب بن وثاب القنبري صاحب حران فأجده بنفسه . ولما بلغ شمالا انضمادوه منيع إلى ابن أخيه محمود أفرج عن حلب إلى البرية في عرم سنة ٤٥٣ هـ (فبراير ١٠٦١ م)^(١٠) . وعندما خف خطر شمال عن محمود غادره منيع إلى حران^(١١) . فلجأ محمود هذه المرة إلى الاستنجاد بإمبراطور الروم قسطنطين العاشر Constantinus X (٤٥١ - ٤٦٠ / ١٠٥٩ - ١٠٦٧ م) رأس أسرة دو كاس Ducas التي حكمت الروم حكما مضطربا إلى سنة ٤٧٤ هـ (١٠٨١ م)^(١٢) ، وبعث إليه في محرم (فبراير) السنة سفارة برئاسة الشاعر أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (٤٦٦ هـ / ١٠٧٣ م)^(١٣) ، ولكنه لم يظفر منه بطائل^(١٤) . وهنا عاد شمال ثانية إلى حلب فخرج ، إليه ابن أخيه محمود لحربه . بيد أن هذه الحرب التي دارت على مقربة من حلب في أواخر صفر (مارس) انجملت عن هزيمة فادحة لمحمود تقدم شمال غلى لإرها إلى حلب ودخلها في أوائل ربيع الأول (أبريل) . ومضى محمود بعد انهزامه إلى أخوه له بني نعيم بخران^(١٥) .

ثم استقر والصالح المودعة بين شمال وابن أخيه محمود على أن يأخذ الأخير د معيشة بخمسين ألف (٥٠,٠٠٠) دينار ، وثلاثين ألف (٣٠,٠٠٠) مكوك غلة ،^(١٦) وأقر شمال أخاه عطية على الرحبة^(١٧) .

ثانيا : امارة شمال الثالثة (٤٥٣ - ٤٣٥٤ / ١٠٦١ - ١١٦٢ م) :

١ - استمرار التبعية الروحية للفاطميين :

ما أن استعاد شمال إمارته وحكمها للبرة الثالثة حتى كانت المستنصر يبشره بذلك وفسر إليه الخلع مع ظفر المستفادى ولأخيه وأزواجه ،^(١٨) . وحافظ شمال علي ولاته المستنصر فلم يقلب له ظر الجبن كما فعل خلفاؤه من بعده .

٢ - محاربة الروم في أنطاكية :

انغمس ثمال في ولايته الثالثة القصيرة الآمد بمحاربة الروم في أنطاكية (١٢). فقد دأب هؤلاء على القيام بأعمال عدائية ضده (١١). ومن ذلك إيواء الخارجين عليه مثل أبي العلاء بن سمان الذي فشل في اغتياله وفر إلى أنطاكية فرسم أسقفا عليها حتى نماته (١٠). ومن ذلك أيضا في محرم سنة ٤٥٤ هـ (يناير ١٠٦٢ م) إصلاح بعض الحصون في منطقة الحدود بين حلب وأنطاكية مثل حصن قـطون وعين التمر ، ثم الاستيلاء على حصن أرتاح المنيع من المواضع من أعمال حلب (١٦) .

وقد أشعل استيلاء الروم على هذا الحصن الحرب بينهم وبين ثمال ، فبرز إليهم في جمادى الأولى (مايو) من السنة واسترده منهم ، فقالوا إلى مصالحته على أن يؤول إليهم حصن أرتاح . فاشتراط عليهم تقويض حصن قـطون وعين التمر ، والحصول على حصن لبلون (ليلول) المطل على حاب بيننا وبين أنطاكية ، فضمنوا له ذلك. ولكن الأعمال العدائية بين الجانبين تجددت ثانية. وكان دوق أنطاكية هو البادى بالعدوان هذه المرة أيضا . فأخذ يثير عمال ثمال بالحصون القريبة من أعماله ، ومن بينها حصن بليدة معرة مهريين المتاخمين لدوقته في الجنوب الشرقى . وتابع ذلك بالإغارة في شوال (أكتوبر) السنة على مريمين من قرى حلب وإتتهاها وإحراقها . وإذ ذاك هاجم ثمال حصن قبيار بين أنطاكية والثغور ، واستولى عليه عنوة وقتل رجاله وسبي نساءه وأطفاله (١٧) .

لثالثا : وفاة ثمال وولاية أخيه عطية (ذو القعدة ٤٥٤ هـ / نوفمبر ١٠٦٢ م) .

لم يمضِ العمر لثمال بعد ذلك كثيرا . فقد مرض في العشرة أيام الأولى من

الشهر التالي (ذى القعدة / نوفمبر) . ولما اشتدت به العلة استدعى أخاه أبا ذؤابة عطية من الرحبة ، وعهد له بحكم حلب . ثم وافته المنية في يوم الجمعة لسبع بقين من الشهر (رواية ابن القلانسي) وقبيل في يوم الخميس لست بقين من الشهر (رواية ابن العديم) ، ودفن بمسجد القلعة . وقدم أخوه عطية من الرحبة فلاك حلب في السنة للذكورة ، وتلقب بلقب أبيه صالح بن مرداس . فهو إذن أحد الدولة الثاني (١٨) .

وبذلك انطوت حياة أعظم أمراء بني مرداس قاطبة بعد أن حكم حلب مرات ثلاث بلغ مجموع سني حكمه فيها نحو ثمان عشرة سنة ونصف سنة (الأولى شهرًا واحدًا ، والثانية ست عشرة سنة وثمانية أشهر ، والثالثة سنة واحدة وتسعة أشهر) (١٩) .

رابعاً : إمارة عطية ولشوب الحرب الأهلية (٤٥٤ - ٤٥٧ هـ / ١٠٦٢ م) - ١٠٦٥ م .

١ - الحرب بين عطية وابن أخيه محمود بن نصر :

لم يهنأ عطية بملك حلب لمنازعة ابن أخيه محمود بن نصر له . وكان هذا النزاع مشارقين وقلائل تقسم الناس كما تقسم بيت الحكم نفسه . ولذا كانت إمارة عطية التي دامت قرابة ستين وعشرة أشهر (٤٥٤ - ٤٥٧ هـ / ١٠٦٢ - ١٠٦٥ م) عهد حرب أهلية في حلب (٢٠) .

وقد بدأت شرارة الحرب الأهلية حينما أفضح عطية ابن أخيه ثمال وهو عزيز الدولة ثابت ، معرة النعمان وكفر طاب وحماه عرفانا بمجمل أبيه ، فغضب لذلك محمود ، وأرسل إليه يقول : إن معي الدولة (ثمال) شرط على نفسه أن يرد على

البلد عند موته لما تسلبه منى. وأنا أخذته بسيفي من المصريين عن غلبة وقهر وهو إرثي من أبي، (٢١). وأيد محمودا في دعواه أخواله الفيريون وأسهاره من بني زائدة الكلايين وجاء به كبير من البيت المرداسي ذاته (٢٢). ولذا سار إلى حلب في النصف من شعبان سنة ٤٥٥ هـ (أغسطس ١٠٦٣ م)، وحاصرها ولكنه أخفق في امتلاكها، وقتل في حصاره منيع بن كامل بن مرداس بحجر المنجنيق (٢٣). ثم وقع الصلح بين الفريقين على أن يأخذ محمود إقطاعا بخمسة وعشرين ألف (٢٥٠٠٠) دينار من جملته سريين وبعض نواحي حلب، (٢٤).

وفي العام التالي (٤٥٦ هـ / ١٠٦٤ م) نكث محمود الصلح واغتصب إقطاع ابن عمه ثابت بن ثمال، وحاد إلى حلب مضايقا لها. فبرز إليه عمه عطية لمحاربتة، ولكنه هزمه إلى حلب وأجبره على التنازل له صلحا عن جميع ما بيده، فاقصر ملكه على حلب وعزاز وقنسرين ومدن الفسرات الثلاث وهي منبج وبالس والرجبة (٢٥).

٢ - استنصار عطية بمرتزة السلاجقة ثم انقلابه عليهم:

بينما هذه الحرب الأهلية تدور رحاها بين بنى مرداس وعلى وجه التعمين في الفترة الواقعة بين شهرى ربيع الأول ورجب سنة ٤٥٦ هـ (مارس ويونية ١٠٦٤ م) - أى في فصل الربيع - دخلت قوات السلاجقة تحت قيادة السلطان ألب أرسلان (٤٥٥ - ٤٦٥ هـ / ١٠٦٣ - ١٠٧٢ م) ابن أخى طغرل بك إقليم آذربيجان Azarbaijan، ثم عبرت نهر أرس (أراكس) Araxe وهو نهر الأكراد، وأغارت على بلاد الكرج (جورجيا) Georgia (إبيريا Iberia القديمة) بجهال القبق (القبح) المعروفة الآن بجهال القوقاز (كوكازوس)

Caucasus Mts. وأرالت سلطان الروم منها وأخضعها للجزية . ثم تحولت جنوبا بغرب في سرعة خاطفة إلى أرمينية الكبرى Greater Armenia أو الأولى وطردت الروم من جل أرجنتها واستولت على مدينته آني (١٢٦) . Aug . وأخذت جسا فلهم تقرب رويدا رويدا من آسيا الصغرى وشمال الشام .

وهنا فكر عطية في الاستعانة بهم لكبح جماح ابن أخيه الذي لا يقف أطباعه عند حد ، فاستصرخ طائفة من مرتزقة قواتهم كان يقودها هارون بن خان ، فقدموا إليه من ديار بكر في ألف نفس ، فكانوا أول من دخل الشام من الأتراك السلاجقة في سنة ٤٥٦ هـ (١٠٦٤ م) . وكان من الممكن أن يعترض الروم مديرة هذه القوة السلجوقية عند مرورها عبر ممتلكاتهم إلى حلب ، ولكنهم لم يفعلوا لئلا يثارا السلامة ، وداروا قائدها ابن خان فأمدوه بالخلع والدنانير إكراما لأسد الدولة عطية لانه كان مهادنهم ، (١٢٧) . وقد استطاع عطية في نهاية السنة بمعونته ابن خان ورفاقه رد ابن أخيه عن حلب فرحل عنها منزوما إلى حران . غير أن عطية لم يلبث أن أحس بالخطر في قرب ابن خان وأصحابه ، فقرر التخلص منهم وأغرى بهم أحداث حلب فبغتهم ليلا في صفر سنة ٥٧ هـ (يناير ١٠٦٥ م) وقتلوا منهم جماعة ونهبوا خيولهم وسلاحهم وما قدروا عليه من رحلهم ، . وانحاز الناجون منهم وعلى رأسهم ابن خان إلى محمود بحران ، واستنهضوه لاختد حلب (٢٨) .

٣ - معركة دابق وانقسام الإمارة المرداسية (جمادى الآخرة - رمضان ٥٧ هـ /

مايو - أغسطس ١٠٦٥ م) :

وعلى ذلك تحرك محمود في أنصاره وبصحبه ابن خان نحو حلب ، ثمزم به عطية في دابق (ويقال مرج دابق) (٢٩) على نهر جبعان من أعمال عزاز

شمالى حلب فى جمادى الآخرة سنة ٤٥٧ هـ (١٦ مايو ١٠٦٥ م) ، وحاصره بحلب
لثالث مرة أكثر من مائة يوم إلى أن استسلم له بالأمان فى يوم السبت متخف
رمضان (١٢ أغسطس) السنة ، وترك له حكم حلب وما بقيلها من أعمال .
واحتفظ هو بحكم عزاز ومدن الفرات ؛ واصطلحها على ذلك . وبذا انقسم عطية
السلطة مع محمود وصار له « جميع البغايا الواقعة شرق حلب وشمالها » (٢٠) .

وكافأ محمود ابن خان على مساعدته له فأقطعه فى أوائل العام التالى (٤٥٨ هـ /
١٠٦٥ م) عمرة التمان فاستقر بها مع أتباعه من الأتراك والأكراد
والديالمة (٢١) .

غدير أن هذا التقسيم أضعف المرداسيين كثيرا ، وكان إيذانا باضمحلال
ملكهم ، وذهاب دولتهم ، فسقطت إمارة الفرات وشمال حلب أولا ، ثم تبعتها
إمارة حلب وأعمالها الجنوبية .

أما عن مواقف الخلافة الفاطمية من هذه الحوادث ، فتروى النصوص أن
الخليفة المستنصر رغب فى استقلال محمود بن نصر لما أيقن من انتقال حلب
إليه أثناء حصاره الثالث لها ، فبعث إليه رسالة فى هذا المعنى مع رسوله ظفر
المستفادى ، وزاد فى ألقابه أربعة ألقاب هى « عظيم أمراء العرب ، عهد الدولة ،
سيف الخلافة ، ذو الفخرين » ، وكان من قبل يلقب بوز الدولة وشمسها (٢٢) .

خامسا : سقوط إمارة عطية بن الفرات وشمال حلب (٥٦ - ٥٦٨ هـ /
١٠٦٧ - ١٠٧٢ م) .

استشر العقيليون أمراء الموصل وديار ربيعة (٣٨٠ - ٤٨٩ هـ / ٩٩٠ -
١٠٩٦ م) إدباب أمر بني مرداس بعيد انقسام دولتهم . ولما كانوا يرغبون فى مد

سلطانهم إلى الفسرات وأعلى الشام في ظل سيادة السلاجقة الموالين وروسيا للعباسيين ، فقد هاجم أميرهم شرف الدولة أبو البركات مسلم بن قريش (٤٥٣ - ٤٧٨ هـ / ١٠٦١ - ١٠٨٥ م) في شتاء سنة ٤٦٠ هـ (١٠٦٨ م) مركز إمارة عطية بالرحبة لقرىها منه ، ودحر أوليائه من بني كلاب ، وأخذ أسلابهم ، وأرسل أعلاما كانت معهم عليها سمات المصرى (الخليفة الفاطمي المستنصر) إلى بغداد ، وكسرت ، وطيف بها في البلد ، وأرسلت الخلع إلى شرف الدولة ، (مسلم) (٢٣) . وعند ذاك انتقل عطية إلى الرقة وانتزعها من بني نمير ، واستعصمها (٢٤) . وفي سنة ٤٦٢ هـ (١٠٦٩ م) استولى إمبراطور الروم أرمانوس الرابع ديوجانيس (Romanus IV Diogenes) (٤٦٠ - ٤٦٤ هـ / ١٠٦٧ - ١٠٧١ م) على منبج ، ونهبها ، وقتل أهلها ، وأحرق حصنها الذي عمره بعد ذلك (٣٥) . وفي شتاء سنة ٤٦٣ هـ (١٠٧١ م) واصل شرف الدولة مسلم تقدمه شمالا بغرب مع الفرات ووضع يده على الرقة (٣٦) ، وألحق بها بالس في السنة نفسها (٣٧) . وبذلك ضاعت أملاك عطية بالفرات ، ولم تنبق له سوى عزاز وتوابها بشمال حلب . وهذه أخذها ابن أخيه محمود بن نصر صاحب حلب في رجب سنة ٤٦٤ هـ (مارس ١٠٧٢ م) (٣٨) .

نستبين من ذلك أن بنى عقيل والروم ، بل والكلابيين أنفسهم ، هم الذين اجتاحتوا ملك عطية ، فصار صفر الديدن ، ولما فقد عطية النصير والسند القريب لجأ إلى الروم ، وسافر إلى القسطنطينية ، وأقام بها إلى أن وافاه الأجل ، ومات في ذي الحجة سنة ٤٦٥ هـ (أغسطس ١٠٧٣ م) (٣٩) .

سادسا : اضمحلال إمارة محمود بحلب واعودها الجنوبية :

يرجع اضمحلال هذه الإمارة وسقوطها في النهاية إلى الروم فالسلاجقة

فالمقبولين. وقد نجح محمود بن نصر في التعامل مع هذه القوى في حين أخفق خلفاؤه في ذلك ولذا أنى سقوط هذه الإمارة على مرحلتين : الأولى مرحلة الاضمحلال في عهد محمود ، ثم الثانية مرحلة الانهيار في عهد خلفائه .

وفيما يلي أبرز سمات هذه الفترة في مجال السياسة الخارجية لهذه الإمارة التي اختتمت بالتبعية السياسية للسلاجقة والروسية للعباسيين .

١ - الفداء مع الروم ومهادنتهم :

حرص محمود على أن تكون علاقته بالروم طيبة ، فهاذتهم في سنة ٤٥٨ هـ (١٠٦٥/١٠٦٦ م) ، وافندى نساء بنى حماد وبنى نمير من أسرهم (٤٠) ، لكي يخلق جبهة موالية له بديار مصر يمكنها أن تقف في وجه عمه عطية وبنى عقيل المتربصين بحلب .

٢ - مناصرة الخلافة الفاطمية :

إذا كان محمود قد حرص على مرضاة الروم ، فإنه حافظ كذلك على الصلات الخاصة التي تربطه بآبى خاند الملجوق وأمه حابه . وقد كلفه ذلك أموالا جمة . وحينما بعث إليه الخليفة المستنصر في سنة ٤٥٩ هـ (١٠٦٦ - ١٠٦٧ م) بمبلغ المال وغزو الروم وصرف ابن خاقان (ابن خان) ومن معه من النزر (السلاجقة) إن كان على طاعته ، لم يأبه بمطالبه لاستقلاله وانحلال أمر المستنصر وضمحلالة . وأجاب بأنه التزم على أخذ حلب من عمه عطية أموالا استدانتها ، وليس معه ما يقضيها ، فضلا عن الإنفاق الأخرى . وأنه هادن الروم مدة ، وأعطاهم ولديه (٩) رهينة على مال اقترضه منهم ، ولا سبيل إلى حريتهم . وأنه لا يقوى على ابن خان والنزر لأن يدهم فوق يده . ولما رصل جواب محمود إلى المستنصر اغياظ وكنسب إلى نائبه بدمشق أمير الجيوش ناصر الدولة أبي النجم بدر الجبالي

الأرمق (٤٥٥ - ٤٥٦ ، ٤٥٨ - ٤٦٠ / ١٠٦٣ - ١٠٦٤ ، ١٠٦٦ - ١٠٦٨ م) (١١) يقول : « إن ابن الروقلية (محمود) خلع الطاعة ومال إلى جبهة العراقية ، فغضب بدر الجمالي فخصم محمود بالرجبة وهو عطية لقناله (١٢) » .

غير أن عطية تعرض لمجوم شرف الدولة مسلم العقيلي أمير الموصل في سنة ٤٦٠ هـ (١٠٦٨ م) فانحاز إلى الرقة بعد أن اقتلع منه شرف الدولة مسلم الرجبة ، وإذ ذاك بادر محمود إلى حصن أسفونا قرب معرة النعمان وتسليه من عامله الفاطمي بالأمان حتى يكون محضرا أماميا لإمارته في الجنوب . وكان الساعي في ذلك سيد الملك أبو الحسن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ صاحب كفرطاب (٤٥٠ - ٤٦٤ ، ٤٦٧ - ٤٧٥ / ١٠٧٢ - ١٠٧٥ ، ١٠٨٢ م) ومؤسس إمارة بني منقذ بشيزر (٤٧٤ - ٥٥٢ / ١٠٨١ - ١١٥٧ م) (١٣) .

وأخيرا مالت الخلافة الفاطمية إلى إنهاء الخلاف مع أمير حلب . وتدخل قاضي طرابلس أمين الدولة أبو طالب عبد الله بن محمد بن عمار (٤٦٤ / ١٠٧٢ م) مقيم إمارة بني عمار بطرابلس (٤٦٢ - ٥٠٢ / ١٠٧٠ - ١١٠٨ م) (١٤) ، وأصلح الحال ، (١٥) .

٣ - محاربة الروم ومهادنتهم ثانية :

ولئن كانت السياسة قد أملت على محمود هذا التوقف من أولياته الفاطميين ، فإن دوام الحال من الحال . ولم يلبث الصفاء بين محمود والروم أن انقلب إلى عداء سافر حينما تعرضت ألاك الروم بآسيا الصغرى وأنطاكية وأعمالها للدمار والحرب على أيدي جماعات الأتراك السلاجقة المتروقة . ففي سنة ٤٦٠ هـ (١٠٦٧ م) استولى السلاجقة على قيصرية الروم (كازاريا Caesarea قديما وقيسارية Kaisarië حاليا) (١٦) قاعدة نهر خرسنة (خرسيانون) Charsianon

بجنوب إقليم قبادوقية (كبادوكيا) Cappadocia المجاور لإقليم الثغور الجوزية
والشامية الإسلامية بجمال السكلم (طوروس) ٥٧٠ . Taurus . وأغارت طائفة
منهم في نحو إلى رجل بقيادة أفشين على أنطاكية وأفسدوا فيها وامتدوا بها (١٨) .
وفي السنة التالية (٥٤٦ / ١٠٦٨ م) أحاط أفشين بأنطاكية ، ثم انصرف عنها
لثلاثمائة ألف (١٠٠,٠٠٠) دينار وقسط وافر . من ثياب الديباج
والآلة ، (١٩) .

وقد كشفت هذه الإغارات السلجوقية الناجمة عن ضعف دفاعات أعمال
أنطاكية ، وأطعمت محمودا صاحب حلب فيها ، فآزج الاتراك السلاجقة الذين
في خدمته مع أميرهم ابن خان صاحب معرة النعمان لإملاك أرناح في سنة ٦٤١ هـ
(١٠٦٨ / ١٠٦٩ م) ، فتوجه إليها ابن خان وأخذها بعد حصار قارب خمسة أشهر
، ونهب جميع ما فيها وما في حصنها من الأموال وقتل من رجالها نحو ثلاثة
آلاف رجل ، (٢٠) .

ورد دوقير أنطاكية الأرمني كاشاتور Kachatur على ذلك بانزعاج
حصن أسفونا في شعبان سنة ٤٦١ هـ (يونيو ١٠٦٩ م) . بيد أن محمودا أفلح
في استعادته (٢١) .

وقد حث اختلال أحوال أنطاكية إمبراطور الروم أرمانوس الرابع على
الخروج من القسطنطينية إلى الثغور الشامية في السنة التالية (٥٩٢ / ١٠٦٩ م)
فاسترد أرناح (٢٢) ، واستولى على منبج واستباحها بعد أن أنزل الهزيمة بمحمود
، وبني كلاب ، وابن حسان الطائي ، ومن معها من جموع العرب ، ثم انصب
إلى بلاده (٢٣) . وبذلك أمنت طرق الاتصال بين الرها وأنطاكية (٢٤) .

وفي نهاية السنة قبل محمود مصالحة دوقير أنطاكية على أربعة عشر ألف

(١٤٠٠٠) دينار وخراب من أسفونا ، وارثن ولده نعر ادى دوش
الطاكية لضمان تنفيذ الاتفاق ، وأخرج لتخريب الحصن ابن عمه عزيز الدولة
ثابت بن ثمال وأخاز زوجته شبل بن جامع بن زائدة ، فجمعوا الناس من معرفة
الزعمان وكفرطاب وأعمالها حتى خرباه ، (٥٥) .

٤ — إغارات السلاجقة على آسيا الصغرى وشمال الشام :

وفي أعقاب ذلك كثف السلاجقة إغاراتهم على آسيا الصغرى وشمال الشام .
وعندما عاد أرماتوس الرابع من حملته على منطقة الثغور الشامية وجد السلاجقية
قد غزت إقليم قبدوقية وانتهبت عمورية Amorieh (أمور يوم) Amorium .
فهرول لتأمين إقليم قبدوقية ، واعترض طريق فئة من السلاجقة أعارت على
نيكسار Niksar (نيوكايزاريا Neocaesarea أى قيصرية الجديدة) ،
وأجبرها على الإذبار والتخلي عما بيدها من العتائم . ثم آب إلى عاصمة ملكه ليهد
العدة حملة مضخمة ضد السلاجقة . وبعد مهمة إيقاف زحف السلاجقة فى جنوب
قبدوقية إلى قانده الأرمنى الأصل الفردوس ويقال النياردوس (فيلار يترس)
Philaretus ، ولكنه فشل ، واحتوى السلاجقة على قونية Konieh (أيكونيوم)
I Conium فى سنة ٤٦٢ هـ (١٠٦٩ م) . كما فشل قائده مانسويل كومنين
(كومنينوس) Manuel Comnenus فى السنة التالية (٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م)
فى تحقيق هذه المهمة بشمال قبدوقية ، وانكسر عند سيواس Siwas (سيسطية)
Sebastea (حاضرة نهر الأرمينياك (أرمينياكوى) Armeniakoi ، ووقع
فى أسر السلاجقة الذين استولوا إلى خونت (خوتيس) Chones (٥٦)

وقد أثر ذلك على طريق التجارة المار فى جبال أرمينية إلى البحر الاسود ،
فصار عفوفا بالمخاطر بعد ما افتقد الأمن والامان . وأصبح الطريق التجارى إلى

حلب وأنطاكية أسهل كثيراً من سابقه (١٥٧). ولذا هاجرت بعض الجاليات الأرمنية من أرمينية الكبرى إلى إقليم قليقية (كيليكيا) Cilicia في جنوب شرق آسيا الصغرى ، وأسسوا به دولة أرمينية - قيليقيّة Armeno - Cilicia أو بلاد سريس Sris كما في لمصادر العربية (٤٧٣ - ٥٨٧٩ هـ / ١٠٨٠ - ١١٧٥ م) التي لعبت دوراً بارزاً زمن الحرب الصليبية (٨٥). ولا يجب أن ننفل العامل الدينى والسياسى هنا ، فهذه الجماعات الأرمنية المسيحية المهاجرة لا ريب أنها أنفت أن تخضع لحكم إسلامى قوى وفضلت عليه حكماً مسيحياً ضيقاً يتبع لها تحقيق ذاتها واستعادة كياناتها .

أما شمال الشام ، فقد شهد ورود طائفة ثالثة من مرتزقة جند الأتراك السلاجقة فى ربيع سنة ٥٤٦٢ هـ (٧٠ م) . وهذه الطائفة أعارت على أراضى حلب وحماه وحمص ورفبه . واضطر محمود إلى مداراة قائدها صندوق بالتخف والمدايا حتى انصرف عنه إلى بلاد الروم (٥٦). وبعد هذا أول هجوم للسلاجقة عن شمال الشام . وهو أمر لم يعهده محمود من قبل ، فأنار ذلك المخاوف فى نفسه .

٥ - عجز الدولة الفاطمية عن دفع الخطر السلجوقى :

ولم تكن الدولة الفاطمية صاحبة السيادة الإسمية على حلب والشام جميعاً بفادرة على التصدى للسلاجقة لتراخى فيعنيتها دلى أملاكها بالشام . فلم تعد سلطة ناصر الدولة أبى على الحسين بن الحسن الخمان (٦٠) مقدم الأتراك فى الجيش والتغلب على الخليفة المستنصر بمصر (٤٦٢ - ٥٤٦٥ هـ / ١٠٦٩ - ١٠٧٣ م) جنوب فلسطين وكان أمير الجيوش بدرالجمالى يحكم عكا وصيدا (٤٦٠ - ٥٤٦٦ هـ)

١٠٦٨ - ١٠٧٤ م) واستغل بعض رجال الدولة بدمشق وصول وطرابلس (٦١)، فكان على دمشق حرس الدولة معلى بن حيدوة بن منور بن النعمان الكتامي (٤٦١ - ٤٦٧ / ١٠٦٩ - ١٠٧٥ م) (٦٢)، وعلى صور القاضي عين الدولة بن أبي عقيل (٤٦٣ - ٤٨٢ / ١٠٧٠ - ١٠٨٩ م) (٦٣)، وعلى طرابلس القاضي أمين الدولة أبو طالب عبد الله بن محمد بن عمار ٤٦٣ - ٤٦٤ / ١٠٧٠ - ١٠٧٣ م) (٦٤). ولم يكن للدولة سيطرة على القبائل العربية في جنوب الشام وشرقه (٦٥). كذلك ظهرت بعض شراذم الأتراك السلاجقة المرتزقة في فلسطين بقيادة قراولوا وأتزر (ويقال أفسيس) بن أوق (ويقال أبق وأرتق) الخوارزمي قبيل سنة ٤٦٣ هـ (١٠٧٠ م) (٦٦).

أضف إلى ذلك اهتزاز الارضاع في مصر آنذاك وبجاجة من الناحية الاقتصادية والسياسية (٦٧). ففي سنة ٤٥٧ هـ (١٠٦٤ / ١٠٦٥ م) نكبت مصر بنكبة اقتصادية كبرى ظلت آثارها السيئة قائمة سبع سنين، أي إلى سنة ٤٦٤ هـ (١٠٧١ / ١٠٧٢ م)، وتعرف هذه النكبة في تاريخ مصر الإسلامية باسم «الشدة العظمى» أو «الشدة المستنصرية»، ويرجع للتقريزي أسبابها إلى ضعف السلطة، واختلال أحوال المملكة، واستيلاء الأمراء على الدولة، واتصال الفتن بين العربان، وقصور النيل، وعدم من يزرع ماشله الرى، (٦٨). وفوق هذا وذاك احتكر تجار اللال الغلة (٦٩)، وفزع السعر، وتزايد الغلاء، وأعقبه الوباء، حتى تعطلت الاراضى من الزراعة وشمل الخوف، وخيفت السبل برأ وبحراً، وتعذر السير إلى الأماكن إلى بالحفارة الكثيرة وركوب الغرور. واستولى الجوع لعدم القوت ... (٧٠).

وكان من نتيجة الغلاء الذى صاحب هذه المجاعة أن انقطعت ميرة مصر عن مكة والمدينة . ولما قصرت مصر عن الوفاء بهذا العون الذى كانت ترسله سنوياً إلى مكة والمدينة ، أسقط أمير مكة الحسنى محمد بن جعفر بن أبى هاشم محمد (١٥٤) - ٤٨٧/١٠٦٢ - ١٠٩٤ م) وأمير المدينة الحسينى مهنا بن الحسين بن مهنا بن أبى هاشم داود (٤) إسم الخليفة المستنصر من الخطبة فى سنة ٥٤٦٣ هـ (١٠٦٩ م) وأقامهما بإسم الخليفة العباسى القائم بأمر الله والسلطان السلجوق ألب أرسلان ، وتركوا الأذان يحمى على خير العمل ، وبعثا إلى السلطان بعلبانه بذلك ، فتح أولهما وثلاثين ألف (٣٠,٠٠٠) دينار وخلعا نفسية ، وأجرى له كل سنة عشرة آلاف (١٠,٠٠٠) دينار ، وأعطى نائبهما عشرة ألف (٢,٠٠٠) دينار وكل سنة خمسة آلاف (٥,٠٠٠) دينار ، (٧١)

وزاد من متاعب مصر خروج ناصر الدولة أبى على الحسين بن الحسن الحمدانى مقدم الأتراك فى الجيش على المستنصر لغلبة الرودان على سائر فرق فرق الجيش لأن أم الخليفة منهم . فى سنة ٥٤٦٣ هـ (١٠٦٩ / ١٠٧٠ م) أظهر ناصر الدولة العصيان على الخليفة واستد السلطان ألب أرسلان ليقم الخطبة للعباسيين على أن يلى حكم مصر . فرحب ألب أرسلان بذلك غير أنه شغل بمحاربة الروم عن المسير إلى دمشق ومصر (٧٢) . ووقعت الحرب بين ناصر الدولة وجند المستنصر بإقليم البحيرة فزهمهم ، وأعلن الخطبة للخليفة العباسى القائم بالإسكندرية ودمياط . وجميع جهات الوجه البحرى ، وأرسل إليه يطلب خلعا ليخطب له بالمسقط والقاهرة (٧٣) . وفى سنة ٥٤٦٤ هـ (١٠٧١ / ١٠٧٢ م) جدد ناصر الدولة تمزده على المستنصر وحذف إسمه من الخطبة واتمس الخلع عن القائم العباسى . وفى سنة ٥٤٦٥ هـ (١٠٧٢ / ١٠٧٣ م) ملك المسقط والقاهرة ، وسحر

على المستنصر ، وقبض على أمه ، واستبد بالامر دون أصحابه ، فتآمروا عليه بتدبير الذكور من كبار قادة الأتراك وقتلوه في شعبان السنة (١٠٧٣ م) ، وفنكو بكل أفراد أسرته في السنة نفسها (٧٥) . وبهذه النهاية الدائمة ، انقطع ذكر الحمدانية بمهر بالكلية ، (٧٥) . وتبع ذلك — كنتيجة طبيعية لما حدث — محارلة بني كنز (الكنوز) من عرب وبيعة المختططين بالحدارب (الحداربة) البجة (البشا) (٧٦) . بزعامه أميرهم كنز الدولة محمد (٤٧٤ هـ / ١٠٨١ م) الاستقلال بمنطقة نفوذهم في أسوان وما والاها من بلدان صعيد مصر الأعلى فيما بين بحر القلزم (البحر الأحمر) شرقا ونهر النيل غربا والقصير وقوص شمالا وعيذاب ووادي العلاقي وإقليم مريس بالأنوية الشمالية جنوباً (٧٧) (٤٦٦ - ٤٦٩ هـ / ١٠٧٣ - ١٠٧٧ م) (٧٨) . ولم تستقر الدولة الفاطمية الموزعة الأركان إلا بقدر أمير الجيوش بدر الجمالي إليها في جمادى الأولى سنة ٤٦٦ هـ (فبراير ١٠٧٤ م) واستتار المستنصر له وتسلمه زمام السلطة لمدة عشرين سنة حتى وفاته في ذي القعدة سنة ٤٨٧ هـ (نوفمبر ١٠٩٤ م) (٧٩) .

٦ - الخطبة للعباسيين والسلاجقة على منابر حلب (١٩ شوال ٤٦٢ هـ /

٣٠ يولية ١٠٧٠ م) :

وهكذا استبان في سنة ٤٦٢ هـ (١٠٦٩ / ١٠٧٠ م) انحلال أمر الخلافة الفاطمية وتحضر السلاجقة للانقضاض عليها . ولكي يتقى محمود بن نصر أمير حلب خطر السلاجقة ويبعد أذاهم عن دولته نقل ولأه من الفاطميين للعباسيين ، وخطب الخليفة العباسي القائم والسلطان ألب أرسلان على منابر حلب يوم الجمعة التاسع عشر شوال سنة ٤٦٢ هـ (٣٠ يولية ١٠٧٠ م) . وقد أثبت ذلك صدر الخليفة العباسي ، فأرسل إليه الخلع مع تقيب القباء الكامل ذي الشرفين

أبى الفوارس طراد بن محمد العباسي الزينبي (٤٥٣ - ٩١ هـ / ١٠٦١ - ١٠٩٨ م) فليسها (٨٠) . وكانت خلعة الخليفة لمحمود تتكون من فرجية (جبة) وعمامة ، وفرس بمركب ثقيل ، ولواء (٨١) .

وقد عرض ابن الأثير للأسباب الجذرية وراء هذا التغيير السياسي فقال : « وسبب ذلك أنه (أى محمود) رأى إقبال دولة السلطان (ألب أرسلان) ، وقوتها وانتشار دعوتها ، فجمع أهل حلب ، وقال : هذه دولة جديدة ، ومملكة شديدة ، ونحن تحت الخوف منهم . وهم يستحلون دماءكم لأجل مذاهبكم . والراى أن نقيم الخطبة قبل أن يأتى وقت لا ينفعنا فيه قول ولا بذل . فأجاب المشايخ إلى ذلك . وأبى المؤذنون السواد ، وخطبوا لقيامهم بأمر الله والساطان فأخذت العامة حصر الجامع ، وقالوا : هذه حصر على بن أبى طالب ، فليأت أوبكر بحصر يهلى عليها بالناس » (٨٢) . ويعنون بذلك أن هذه الحصر ملك إمامهم على لأنهم شيعة ، وأن العباسيين والسلاجقة منه بحسبان أن أبا بكر إمام السنة ، وكان لسان حالهم يتمثل بالمثل الشائع ، « جحا أولى بمحمد نوره » .

ولم يحمل محمود بهذه المعارضة من قبل عامة الشيعة في بلده ما دام قد أخذ موافقة الخاصة . ودحه الشاعران الخلييان الكبيران ابن سنان الخفاجي وأبو الفتيان بن حيرس ، وما قيل في هذه المناسبة قول الشاعر أبى عبد الله بن عطية يمدح القائم ويذكر الخطبة بحلب ومكة والمدينة :

كم طائع لم يحمل عليه ولم تحرف لطاعته غير التقى سببا
هذا البشير بإذعان الحجاز ، وذا داعي دمشق ، وذا المبعوث من حلب (٨٣)

حواشى الفصل الثالث

(١) راجع : إغاة الآمة ، ص ٢٢ - ٢٤ ، تاريخ الدولة الفاطمية ص ١٧١ ، ١٧٩ - ١٨٠ ، ٥٨٠ ، كذا . *Camb. Med. Hist., Vol. V, p. 259.*
قبض المستنصر على اليازورى فى أول محرم سنة ٤٥٠هـ (٢٨ فبراير سنة ١٠٥٨م) بتهمة الاتصال بطغرىك وحش على غزو مصر ، ربما بدافع من سائته لأنه كان حنفيا ، وقتله فى الثانى والعشرين من صفر (١٩ أبريل) السنة نفسها . ابن منجب ، ص ٤٥ . وأنظر ابن الأثير (ج ٩ ص ٦٣٥ - ٦٣٦) حيث القبض على اليازورى فى ذى الحجة سنة ٤٥٠هـ (يناير ١٠٥٩م) .

Cf. Camb. Méd. Hist., Vol. V, p. 259. (٢)

(٣) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٨١ . راجع : ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٢٣ ، أبا الفدا ، م ١ / ج ٢ ص ١٤٩ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٧٤ .

(٤) راجع ابن الأثير (ج ٩ ص ٢٢٣) الذى يشير إلى منيع بن شبيب بن وثاب النميرى باعتباره خالا لمحمود . وهو فى الحقيقة ابن خاله لأن أم محمود هى منيعة بنت وثاب النميرى حسبما ذكر (ج ١٠ ص ٦٤) فى حوادث سنة ٦٣هـ (١٠٧٠ / ١٠٧١م) . وفى هذه الحالة لابد أن نفترض أن نصر بن صالح والد محمود كان زوجا لمنيعة ، ثم فارقه بموت أو طلاق ، فزوج أختها علوية المعروفة بالسيدة التى اقترنت بعد موته بأخيه ثمال ، لأن الإسلام - كما هو معروف - يحرم إبلج بين أختين فى وقت واحد . ولما كان من عادة العرب أن يعتبروا الأقارب من جهة الأم بمثابة الأخوال والأقارب من جهة الأب بمثابة الأعمام ، فلا تعريب على ابن الأثير إن كان قد قصد هذا المعنى . أنظر ابن خلدون (ج ٤ ص ٢٧٤) الذى نقل رواية ابن الأثير .

- (٥) ابن الأثير، ج ٩ ص ٢٣٣، ابن خلدون، ج ٤ ص ٢٧٤.
- (٦) CF. Diehl, *Le monde Oriental*, ch. XI, pp. 556—565.
- (٧) أنظر في ترجمته ابن تغري بردى، ج ٥ ص ٩٦.
- (٨) ابن القلانسي، ص ٩١، ابن العديم، ج ١ ص ٢٨١—٢٨٢.
- (٩) ابن الأثير، ج ٩ ص ٢٣٣، ابن العديم، ج ١ ص ٢٨١، أبو الفدا، م ١/ج ٢ ص ١٤٩، ابن خلدون، ج ٤ ص ٢٧٤، وكذا Camb. Med. Hist., vol V, p. 259.
- (١٠) ابن العديم، ج ١ ص ٢٨٦. راجع ابن القلانسي، ص ٩١.
- (١١) راجع ابن خلدون، ج ٤ ص ٢٧٤.
- (١٢) ابن العديم، ج ١ ص ٢٨٦.
- (١٣) ابن الأثير، ج ٩ ص ٢٣٣، ابن خلدون، ج ٤ ص ٢٧٤.
- (١٤) Camb. Med. Hist., Vol. V, p. 259.
- (١٥) ابن العديم، ج ١ ص ٢٨٦.
- (١٦) المصدر السابق، ج ٢ ص ٢٨٧، وكذا Camb. Med. Hist., Vol. V, p. 259. وراجع ياقوت، م ١/ج ١ ص ١٩٠ مادة أرتاج، م ٤/ج ١ ص ٩٧ مادة قسطون. والعواصم جمع عاصم. وقد سمي كذلك لأنه يعصم الثغر المواجه للعدو. وهو هنا الروم. ويمده في أوقات النفق. قدامة بن جعفر: نُبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة (ملحق بكتاب المسالك والممالك لابن خردادبة) نشره غوريه، ليند ١٨٨٩ م، ص ٢٥٣.
- (١٧) ابن العديم، ج ١ ص ٢٨٧. وراجع ياقوت، م ٤/ج ١ ص ٢١١.

مادة قيباز ، ص ٢٧٤ مادة ليلون ، ج ٢ ص ٥١٦ مادة مريمين ، ص ٥٧٤
مادة معرة معمرين .

(١٨) ابن الفلانسى ، ص ٩١ ، ابن الاثير ، ج ٩ ص ٢٣٣ ، ج ١٠ ص ٢٤ ،
ابن العديم ، ج ١ ص ٢٨٨ ، أبو الفدا ، م ١ / ج ٢ ص ١٤٩ ، ابن خلدون ،
ج ٤ ص ٢٧٤ ، وكذا Camb. Med. Hist. Vol. V, p. 259 راجع : م .
سوبر نهم M. Sobernheim كاتب مادة حلب ، في دائرة المعارف الإسلامية
(ترجمة ابراهيم ذكى خورشيد ، م ٨ ، القاهرة ، ص ٢٩) الذى جعل موت شمال
في نهاية عام ٤٥٣ هـ (١٠٦١ م) ٩١ .

(١٩) راجع الدكتور عبد الشيخ (الإمارات العربية ، ص ١٢٠) الذى
ذكر أن حكم شمال امتد قرابة قرن من الزمان من سنة ٤٢٩ هـ (١٠٣٨ م) إلى
سنة ٤٥٤ هـ (١٠٦٢ م) مع أنه أثبت تواريخ ولايات شمال الثلاث وبين أنها
منفصلة غير متصلة .

(٢) Camb. Med. Hist , Vol. V, p. 259 . أنظر : سوبرنهم
(دائرة المعارف الإسلامية ، م ٨ ص ٢٩ مادة حلب) حيث حسب مدة إمارة
صلبة أربع سنوات ٩١ .

(٢١) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٩٣ .

(٢٢) المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٩٤ .

(٢٣) ابن الفلانسى ، ص ٩٢ .

(٢٤) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٩٣ .

(٢٥) المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٩٤ . وراجع : ابن الفلانسى ، ص ٩٢ .

منهبط بن الجوزي ج ١ ورقة ٢٨ .

د. (٢٦) ابن الأثير، ج ١٠ ص ٣٧-٤١. وراجع: الذمى، ج ١ ص ٢٦٨، وكذلك

Camb. Med. Hist., Vol. IV, p. 166, Grousset, 'Histoire de l'Arménie, Paris 1947, p. 610-615, Diehl, OP. cit, ch. XI, p. 561.

(٢٧) ابن العديم، ج ١ ص ٢٩٤. نص الدكتور محمد الشيخ (الإمارات

العربية، ص ١٣٥) على أن ابن خان وصل إلى حلب سنة ٤٥٤ هـ (١٠٦٢ م).

منع أنه ذكر من قبل (ص ١٢٠) أنه دخلها في سنة ٤٥٦ هـ (١٠٦٤ م) وهو

الصحيح.

(٢٨) ابن العديم، ج ١ ص ٢٩٥-٢٩٦. وراجع: ابن الفلاس، ص ٩٢،

ابن الأثير، ج ٩ ص ٢٢٣-٢٢٤، ابن خلدون، ج ٤ ص ٢٧٤، وكذلك

Camb. Med. Hist., Vol. V, p. 260.

(٢٩) راجع باقوت (٢ م / ج ٢ ص ٥١٢ مادة دابق) حيث عرفت بذلك

لأن «عندما مرج معشب نزه».

(٣٠) ابن العديم، ج ١ ص ٢٩٧. وراجع: ابن الفلاس، ص ٩٣،

القلقشندي، ج ١ ص ١٦٩، وكذلك، Camb. Med. Hist., Vol. V, p. 260

مع تعديل الشهر الميلادي ليكون مايو بدلا من يونيو الذي يوافق رجب.

وأظن: ابن الأثير (ج ٩ ص ٢٢٤) حيث امتلاك محمود لحلب في رمضان سنة

٤٥٤ هـ (سبتمبر ١٠٦٢ م)، وابن خلدون (ج ٤ ص ٢٧٤) الذي أرخ ذلك

برمضان سنة ٤٥٥ هـ (سبتمبر ١٠٦٣ م)، وأبا الفدا (١ م / ج ٢ ص ١٤٩)

الذي نقل رواية ابن الأثير دون تحديد الشهر.

(٣١) ابن العديم، ج ٢ ص ٩-١٠، وكذلك، Camb. Med. Hist.,

Vol. V, pp. 260-261. ذكر ابن الفلاس (ص ٩٢) خلافا، ذوالحجى

الغالب إن محمود المأمك حلباً وفارقه ابن خان يسكره نحو العراق ولم يدخلها
إشفاقاً من من أحداث حلب لما قتلوه في تلك النوبة من القيام عليه وبالنهب
لأصحابه . .

(٢٢) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٩٧ .

(٢٣) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٥٧ .

(٢٤) راجع : ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٣٤ ، أبو الفدا ، م ١ / ج ٢ ص ١٤٩ ،
ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٧٤ .

(٢٥) ابن القلاسي ، ص ٩٨ . راجع : ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٦٠ ، الذهبي ،

ج ١ ص ٢٧٠ ، وكذا . Camb Med. Hist. Vol. V, p, 261 .

(٢٦) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٣٤ ، أبو الفدا ، م ١ / ج ٢ ص ١٤٩ ،
ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٧٤ ، وكذا ، Bosworth op. cit, p. 57 . راجع
ابن القلاسي (١٠١) حيث استيلاء شرف الدولة مسلم على الرقة في سنة ٤٦٤ هـ
(١٠٧١/١٠٧٢ م)

(٢٧) لم نجد نصاً يؤكد ذلك . ولكن خط فتوحات شرف الدولة مستقيم بعد
ذلك يشير إلى هذه النتيجة إذ كانت حلب هي هدفه التالي وغايته للتشوق .

(٢٨) راجع ابن القلاسي ، ص ١٠١ - ١٠٤ .

(٢٩) ابن القلاسي ، ص ١٠٦ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٣٤ ، أبو الفدا ، م ١
/ ج ٢ ص ١٤٩ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٧٤ .

(٤٠) ابن القلاسي ، ص ٩٣ .

(٤١) من عالياك جمال الدولة بن عمار . ولي دمشق مرتين كما في المتن ،

الأول: من يوم الأربعاء ٢٣ ربيع الآخر سنة ٤٥٥ هـ (أبريل ١٠٦٣ م) إلى يوم الثلاثاء ١٤ رجب سنة ٤٥٦ هـ (يونية ١٠٦٤ م)، أنظر في ذلك: ابن القلانسي، ص ٩١، ابن الأثير، ج ١٠ ص ٣٠، الذهبي ج ١ ص ٢٦٧. أما الثانية، فن يوم الأحد ٦ شعبان سنة ٤٥٨ هـ (يولية ١٠٦٦ م) إلى شعبان سنة ٤٦٠ هـ (يولية سنة ١٠٦٨ م) أنظر في ذلك ابن القلانسي، ص ٩٣-٩٤، سبط بن الجوزي، هامش ١ ص ٩٦-٩٧ على ذيل ابن القلانسي. ولمعرفة شيء من سيرته أنظر: الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، ص ٢٧٠-٢٧١.

(٤٣) ابن تغري بردي، ج ٥ ص ٧٩.

(٤٣) ياقوت، ١٢/١ ج ١ ص ٢٤٩ مادة أسفونا، ابن العديم، ج ٢ ص ١٢.

(٤٤) يرى الدكتور محمد الشيخ (الإمارات العربية ص ٢٤-٢٩) أن ابن

عمار عربي معرق العروبة على عكس الرأي القائل بأنه مغربي من بربر كتامة.

(٤٥) ابن تغري بردي، ج ٥ ص ٧٩.

(٤٦) مدينة بناها إمبراطور الروم نقفور فوقاس في سنة ٣٥٤ هـ (٩٦٥ م)

وسكنها ليغرب من الإغارة كل وقت. - الذهبي، ج ١ ص ٢٢٠. وهي

تقع على نهر قراسو Karasu (إيولايوس Eulaeus أو أولاي Ulai قديما)

أحد فروع نهر قول إرمك Kizil-ermak آلس أو هلس Halys قديما).

وكانت عاصمة بني سلجوق بآسيا الصغرى. راجع هامش ١ على الذهبي، ج ١ ص ٢٢٠.

(٤٧) Baldwin, The Crusades, Vol. 1, Philadelphia 1985,

p. 191, Diehl, Op. Cit., Ch. XI, p. 561, Camb. Med. Hist., Vol.

IV, p. 167.

(٤٨) ابن العديم، ج ٢ ص ١١-١٢، وكذا

Camb. Med. Hist., Vol. V, p. 261.

(٤٩) ابن العديم ، ج ٢ ص ١٢ ، وكذا

Camb. Med. Hist., Vol V, p. 261.

(٥٠) ابن العديم ، ج ٢ ص ١٢ - ١٣ ، وكذا Camb Med. Hist., Vol. V, p 261. وراجع : ابن الأثير (٩ ص ٢٣٤) ، ابن خلدون (ج ١ ص ٢٧٤) حيث تأريخ ذلك بسنة ٤٦٠ هـ (١٠٦٧/١٠٦٨ م) .

(٥١) ابن العديم ، ج ٢ ص ١٤ - ١٥ . أنظر كذلك ابن القلانسي (ص ٩٨) الذي أثبت امتلاك الروم لحصن أسفونا في سنة ٤٦١ هـ (١٠٦٨/١٠٦٩ م) وأغفل استرجاع عمو له .

(٥٢) ابن العديم ، ج ٢ ص ١٥ ، وكذا .

Camb. Med. Hist., Vol. V, p. 261.

(٥٣) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٦٠ . وراجع : ابن القلانسي ، ص ٩٨ ، الذهبي ، ج ١ ص ٢٧٠ ، وكذا Camb. Med. Hist., Vol.V, p.261. وأنظر سبط بن الجوزي (هامش ٢ ص ٩٨ على ذيل ابن القلانسي) حيث استيلاء أرمانيوس الرابع على منبج في محرم سنة ٤٦٠ هـ (نوفمبر ١٠٦٧ م) . وقد أرخ الدكتور السيد الباز الحريزي (الدولة البيزنطية ، ص ٧٤١) حملة أرمانيوس الرابع على أرتاح ومنبج بسنة ٤٦١ هـ (١٠٦٨/١٠٦٩ م) مع أنه يعتمد ابن الأثير ومؤسوعة كامبردج للتاريخ الوسيط (٥ م) حيث التأريخ بسنة ٤٦٢ هـ (١٠٦٩ م) .

(٥٤) Baldwin, op. cit., p. 191.

(٥٥) ياقوت ، ج ١ م / ١ ص ٢١٩ (مادة أسفونا) نقلا عن أبي غالب بن مهذب في تاريخه . وأنظر : ابن العديم ، ج ٢ ص ١٥ . وكذا Camb. Med. Hist , Vol. V, p. 261.

Baldwin, op. cit., I, pp. 191 — 192, Diehl, op. cit., (٥٦
p. 561, Grousset, op. cit., pp 623 — 624, Ostrogorsky, op. cit.,
p. 303.

(٥٧) أرشيبالد لويس : القوى البحرية ، ص ٢٢٤.

Diehl, op. cit., p. 651, وكذا
Camb. Med. Hist., Vol. IV, pp 154, 167.

(٥٩) ابن العديم ، ج ٢ ص ١٦ ، وكذا
Camb. Med. Hist., vol. V, p. 261.

(٦٠) هو ابن ناصر الدولة أبي محمد الحسن (نائب دمشق المستنصر)
بن ناصر الدولة أبي عبد الله الحسين (نائب صور للحاكم) بن ناصر الدولة
أبي محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان التغلبي (مقيم الدولة الحمدانية بالموصل) .
راجع حاشية ٤٣ ص ١٢٥ - ١٢٦ . أثبتته ابن الأثير مرة (ج ١٠ ص ٨٨ ،
ماهش ١ ص ٨٠ حوادث سنة ١٠٧٢ / ١٠٧٣ م) باسم ناصر الدولة
أبى على الحسين بن حمدان كما هو مرقوم بالمتن ، وأخرى (ج ١٠ ص ٨٠ ،
ماهش ٢ ص ٨٨ حوادث السنة نفسها) باسم ناصر الدولة أبى على الحسن
بن حمدان . وقد أخذ ابن ميسر (ص ١٩ - ٢١) بالرسم الأول . أما الرسم
الثاني ، فقد أخذه ابن الأثير في الراجح عن ابن القلانسي (ص ٩٣ حوادث سنة
١٠٦٦ - ١٠٦٧ م ، ص ٩٥ حوادث سنة ١٠٦٧ / ١٠٦٨ م) الذي
سبق أن أضاف إليه (ص ٩١) لقباً آخر هو : عدة الدين والدولة ، عندما
ولى دمشق المستنصر في سنة ١٠٥٢ (١٠٦١ م) . راجع ابن تغرى بردى
(ج ٥ ص ٩٠ حوادث سنة ١٠٧٢ / ١٠٧٣ م) الذي ذكره باسم ناصر

الدولة ذي المجدين أبي محمد الحسن بن الحسين بن محمد بن الفضل بن علي بن أبي طالب . ولا يخفى أنه
عكس النسب وغير السكتية .

Can.b. Med. Hist., Vol. V, p. 262. (٦١)

(٦٢) ابن الفلاس ، ص ٩٥ - ٩٦ . ملك ابن منور في الاعمال بضمير فتلا
بالنحال في سنة ٤٨١ هـ (١٠٨٨ م) . ابن الفلاس ، ص ٩٦ ، ابن الأثير ،
ج ١٠ ص ٩٩ .

(٦٣) ابن الفلاس ، ص ٩٦ ، ١١٢ ، ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٧٦ ،
الذهبي ، ج ١ ص ٢٧٠ ، وكذا
Gibb, op. cit., p. 18.

(٦٤) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٧١ ، ابن تقي برقي ، ج ٥ ص ٨٩ ، وكذا
CF. Gibb, op. cit., p. 18.

Can.b. Med. Hist., vol. V, p. 262. (٦٥)

(٦٦) ابن الفلاس ، ص ٩٨ ، ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٦٠ ، ٦٨ ، ابن
المديم ، ج ٢ ص ٣٠ - ٣١ ، الذهبي ، ج ١ ص ٢٧٢ ، وكذا
Gibb, op. cit., q 20, Cimb. Med. Hist , vol. V, p. 262.

CF. Wiet, op. cit., p. 238. (٦٧)

(٦٨) إغاثة الأمة ، ص ٢٤ . أنظر : الخطط ، ج ٢ ص ١٧١

(٦٩) إغاثة الأمة ، ص ٢٧ .

(٧٠) المصدر السابق ، ص ٢٤ . وأنظر أخبارا متفرقة عن هذه الشبهة في
مضائق : ابن الفلاس ، ص ٩٧ - ٩٨ ، ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٦٢ ، ٥٨ - ٦٢ .

٦٢٠، ٨٥٠، ٨٦٠، الذهبي، ج ١ ص ٢٧٠-٢٧١. ويحدد آخر من مديتها بخمسة أعوام
تبدأ من عام ٤٦١هـ (١٠٦٨ / ١٠٦٩ م).

(٧١) ابن الأثير، ج ١٠ ص ٦١. وراجع القلقشندي (صبح الأعشى،
ج ٤ ص ٢٧٠) الذي ذكر أن أمير مكة محمد بن جعفر بن أبي هاشم واستماله
القائم العباسي، وبذل له الأموال، فخطب له سنة ٤٦٢هـ بالموسم فقط. وكتب
للمستنصر بمصر يعتذر إليه. ثم بعث إليه السلطان ألب أرسلان بأموال كثيرة
في سنة ٤٦٢هـ فخطب له بنفسه. وأنظر للمصدر نفسه (ج ٤ ص ٢٩٩) حيث
اكتفى القلقشندي بالنص على اسم أمير المدينة الحسيني.

(٧٢) ابن ميسر، ص ١٩ - ٢٠.

(٧٣) ابن الأثير، ج ١٠ ص ٨٦، ابن ميسر، ص ٢٠.

(٧٤) ابن الأثير، ج ١٠ ص ٨٦-٨٧، ٨٨، ابن ميسر، ص ٢١-٢٢،
ابن تغري بردي، ج ٥ ص ٩٠، وكذا Camb. med. Hist., vol. V, p. 262.
وأنظر ابن القلائسي (ص ٩٥) الذي جعل بدء عصيان ناصر الدولة
في سنة ٤٦٠هـ (١٠٦٧ / ١٠٦٨ م).

(٧٥) ابن الأثير، ج ١٠ ص ٨٧.

(٧٦) عن اختلاط ربيعة بقبائل البجة أنظر الدكتور عبد الله خورشيد يرى:
القبائل العربية في مصر في القرون الثلاثة الأولى للهجرة، دار الكتاب العربي،
القاهرة ١٩٦٧ م، ص ١١٣. الشاطر بصلي عيد الجليل: تاريخ وحضارات
السودان الشرقي والوسط من القرن السابع إلى القرن التاسع عشر للبلاد، الهيئة
مصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٢ م، ص ١٦٧-١٦٨، الدكتور عطية

، القوصي: تاريخ دولة الكنوز الإسلامية، ط ٢، دار المعارف، القاهرة ١٩٨١م،
ص ٢٥ - ٢٥.

(٧٧) يقع إقليم مريس أسفل الشلال (الجنبدل) الثاني (تاريخ وصحارات
السودان، ص ١٦٩)، ويمتد من بلدة القصر على بعد خمسة أميال جنوبى
أسوان حتى القصر الأعلى (عكاشة)، وعاصمته جمراتش أو جمراتش، ومن أهم
مدنه أبريم والدر (تاريخ دولة الكنوز، ص ٤١ - ٤٢). وقد عرفت رقعة
الأرض التي تعد شمالا بأسوان وجنوبا بوادى حلفا (من النوبة النجالية) وشرقا
ببحر القلزم (البحر الأحمر) وغربا بمجرى شلال النيل. إقليم أرض المعدن،
(تاريخ وصحارات السودان، ص ١٥٧، ١٦٥). لم ينجح في المصادن
والاحجار الكريمة، وخاصة الذهب والزمرد (الزبرجد) بكثرة بها (تاريخ
دولة الكنوز، ص ١١٣، ١١٨، القبائل العربية في مصر، ص ٥٢).

(٧٨) تاريخ دولة الكنوز، ص ٥٧ - ٦٠. وأنظر المرجع نفسه
(ص ١٢٠ - ١٣١) حيث القبض على كنز الدولة وقتله وصلبه بأمر بدر الجمالي
على باب الحديد (باب التوفيق أيضا) بسور القاهرة الشرق في سنة ٤٦٩هـ
(١٠٧٧م) ٤١.

(٧٩) راجع: ابن منجب، ص ٥٥ - ٥٦، ابن الأثير، ج ١٠ ص ٨٧،
٢٣٥، القرطبي في المحط، ج ٢ ص ١٧١، وكذا، Can. b med Hist., vol. V,
p. 262.

(٨٠) ابن افلاسي، ٩٨، سبط بن الجوزي، ج ٩ ص ٣٥٧ - ٣٥٨،
ابن العديم، ج ٢ ص ١٦ - ١٧، سوبر نيم (مادة حلب في دائرة المعارف
الإسلامية، م ٨ ص ٢٩ - ٣٠)، وكذا Bosworth, op. Cit.,

pp. 67 — 68, Camb. med. Hist, vol. i, V, p. 281
 وراجع ابن الأثير (ج ١٠ ص ٦٢) الذي سجل ذلك في حوادث سنة ٤٦٢هـ
 (١٠٧٠ / ١٠٧١ م). وأنظر الدكتور محمد الشيخ (الإمارات العربية، ص ١٨٥)
 الذي أثبت ذلك في سنة ٤٦٢هـ (١٠٧٠ م) مع أنه اعتمد ابن الأثير. وعن
 الشريف طراد الزيني مبعوث القائم محمود بن نصر أمير حلب أنظر أنظر ابن
 الأثير: ج ١٠ ص ٦٢ ، ٦٤ ، ٧٩ ، ١٢٦ - ١٢٧ ، ١٦٨ ، ٢٣١ ،
 ٢٤٠ ، ٢٨٠ .

(٨١) سبط بن الجوزي ، هامش ١ ص ١٠١ على ذيل ابن الفلاس .

(٨٢) الكامل ، ج ١٠ ص ٩٢ ، وراجع : ابن العديم ، ج ٢ ص ١٧ - ٢٨ .

(٨٣) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٦٢ .

الفصل الرابع

الإمارة المرداسية تحت السيادة السلجوقية

(٤٦٢-٥٤٧٢ / ١٠٧٠-١٠٨٠ م)

أولاً : خضوع المرداسيين للسلطنة (رجب ٥٤٦٣ / مايو ١٠٧١ م) .

ثانياً : مشاركة المرداسيين للسلطنة في حروبهم ضد الروم والفاطميين :

١ - موقعة منازل جرد وتناحها (ذو القعدة ٥٤٦٣ / ١٩ أغسطس ١٠٧١ م) .

٢ - محاربة الروم ونواب الفاطميين بالشام .

ثالثاً : عهد نصر الثاني وأخيه سابق وسقوط الامارة المرداسية بعقب

(٤٦٧-٥٤٧٢ / ١٠٧٥-١٠٨٠ م) :

١ - وفاة محمود وإمارة إبنه نصر الثاني اجماعاً الأول ٥٤٦٧ / يناير ١٠٧٥ م) .

٢ - إزدباد نفوذ السلطنة بالشام ومصرع نصر الثاني (شوال ٥٤٦٨ /

مايو ١٠٧٦ م) .

٣ - الحرب الأهلية في حلب واستيلاء السلطنة على معظم نواحي الشام .

٤ - الاحتلال العملي لحلب في ظل السيادة السلجوقية (ذو الحجة ٥٤٧٢ /

يونية ١٠٨٠ م) .

الفصل الرابع

الإمارة المرداسية تحت السيادة السلجوقية

(٤٦٢ - ٤٧٢ / ١٠٧٠ - ١٠٨٠ م)

أولاً : خضوع المرداسيين للسلطنة (رجب ٤٦٣ / مايو ١٠٧١) .

لم يتخذ السلطان السلجوقي ألب أرسلان بخطبة محمود بن نصر أمير حلب له .
والخليفة العباسي القائم كدليل على الخضوع ، وأراد ترجمة ذلك إلى واقع على
ليكون خضوع أمير حلب خضوعاً فعلياً لا شكلياً . ومن ثم أمره بحرب الروم
في أنطاكية ونواب الفاطميين بالشام فرفض ، فوجد في هذا الرفض ذريعة لغزو
الشام (١) ، كما وجد في دعوة ناصر السلطنة الحمداني الخارج على الخليفة المستنصر
بمصر ذريعة أخرى لغزو مصر .

وفي ذي القعدة سنة ٤٦٢ هـ (أغسطس ١٠٧٠ م) ساق السلطان ألب أرسلان
جيوشه الحرارة من همدان ببلاد الجبل (عراق العجم) إلى أرمينية الكبرى وفتح
بالتق أرجيش ومنازجرد Manazgird (منازكرد Manazkird) أو
ملازكرد (٢) Malazkird (مازيكرت) Manzikert من أعمال مدينة خلاط
(أخلاط) على الساحل الغربي لبحيرة وان (فان) Van التي تسمى كذلك باسم
خلاط وأرجيش .

ثم انحدر جنوباً بفتر إلى ميافارقين بديار بكر ، فخرج إليه صاحبها نظام
الدين (الملك ؟) أبو القاسم نصر بن أحمد بن مروان الكردي (٤٥٣ - ٤٧٢ هـ / ١٠٦١ - ١٠٨٠ م) ودخل في خدمته . واستأنف السلطان انحصاره حتى بلغ

الرها بديار مصر ، وكانت بيد الروم ، لحاصرها فاستعصت عليه (٢) ، فرحل عنها في الحادى عشر من ربيع الآخر سنة ٤٦٣ هـ (يناير ١٠٧١ م) . ولما مر بحران خضع له بنو وثاب النعمانيون ورجلوه على مال أدوه إليه .

وعند ما أناخ على الفرات في رابع عشر الشهر لم يتقدم محمود بن نصر أمير حلب لقيامه الانتقاد له . فغاضه ذلك ، واجتاز الفرات عند الرقة إلى بلدة القريتين (حواري) (٣) من أعمال حمص . وشنت قواته الغارات على حلب وأعمالها ، ونهبت بنى كلاب ، فأدبروا إلى البرية . واستدعى السلطان أمير حلب لتقديم فروض الطاعة والولاء شأنه في ذلك شأن الأقبال الآخرين ، فامتنع خوفا منه . وحمل إليه ما فرضه عليه من الأموال ، وأتاب عنه في لقائه أمه منيرة بنت وثاب النعماني وولده (٤) .

وقد أحس ذلك السلطان كثيرا ، فعزم على امتلاك حلب . وانتقل من القريتين إلى الفتيق على نهر البارد ، وضرب معسكره بأحد التلال هناك ، فعرف هذا البلد لذلك بقل السلطان . واتفق آنذاك أن كان عند أمير حلب تقيب النقيب طراد العباسي الريني الذي جاءه بالخلع من الخليفة القائم ، فطلب منه أن يسأل له السلطان في الاستعفاء من الحضور . فرفع تقيب النقيب طلب محمود إلى السلطان ، وأخبره بأنه ابن المخلع القائم ، وخطب له والخليفة ، لعله يعفيه من الشئوخ إلى . ولكن السلطان رفض وأضر على قدمه وإعلان تبعيته بوطء بساطه لأن خطيته ، في نظره لافية لما مادام الأذان في بلده . فقام وفقا لشعائر المذهب الشيعي (٥) . ولما عاد تقيب النقيب بجواب السلطان إلى محمود ، تمادى في عناده وإيائه ، واستعد للحصار .

وحين بلغ السلطان ذلك ، ترك موضع الفتيق في يوم الثلاثاء سابع محرم

جمادى الآخرة (أبريل) ، بعد شهرين ونصف من المفاوضات الفاشلة ، ونزل على حلب في يوم الأحد لليلتين بقيتا من الشهر ، وضايقها بالحصار قرابة شهر . ولم يشأ اقتحامها واستباحتها حتى لا يضعفها في غير ضرورة فتصير إلى الروم . ولما عظم الأمر على محمود وادع السلطان ، وتطارح عليه ليلا ومعه والدته التي استطاعت بلباقتها وكياستها أن تمتص غضب السلطان على ولدها حين قدمته له لتمزيقه ، فتلقاها بالجميل . وبذل له محمود الطاعة ، فردّه إلى عمله ، وأقطعته إياه . وخلع عليه في اليوم التالي الخلع ، وطلب منه مشاركته في قتال الروم بأطاكية والفاطميّين بالشام .

وفي أثناء ذلك اتصل بالسلطان أن إمبراطور الروم أرماتوس الرابع اخترق حدود أرمينية الكبرى لحربه ، فسكر واجعا عن حلب في الثالث والعشرين من رجب (مايو) أعاد الروم ، وعبر الفرات . وكان عبوره شبه الحارِب (٦) .

لانيا : مشاركة إرداسيين السلاجقة في حروبهم ضد الروم والفاطميّين :

١ - موقعة منازجرد ونتائجها (ذو القعدة ٤٦٢ هـ / ١٩ أغسطس

١٠٧١ م) :

ونجح الروم تحت قيادة أرماتوس الرابع في استرداد منازجرد بالأمان . وكان عماد جيشهم أمشاجا من المرتوفة من أجناس شتى ، فكان فيه الفرنج والعرب والروس والبجائناك (البجناك) والكرج وغيرهم (٧) . ثم وصل ألْب أرسلان على رأس الجيش السلجوقي . والتقى الجمعان في أواخر ذي القعدة سنة ٤٦٣ هـ (١٩ أغسطس ١٠٧١ م) في موضع يعرف بالرويين خلاط ومنازجرد حيث حدثت الموقعة الشهيرة في النايخ بإسم منازجرد التي كانت كارثة على الروم ،

إذ أيد جيشهم ، ووقع إمبراطورهم في الأسر . ثم من عليه السلطان بالفداء .
 وهادته خمسين سنة نظير مليون ونصف مليون (١٥٠٠٠٠٠) دينار للقدية ،
 وثلاثمائة ألف (٣٠٠٠٠٠) دينار للهدنة ، وستين ألف (٦٠٠٠٠) دينار
 إتاوة سنوية . كذلك اتفق على أن يرسل أرماتوس الرابع إلى ألب أرسلان
 حساكر الروم إذا ما طلبهم ، وأن يعيبد أنطاكية والرها ومنبج ومنازجرد
 للسلايين ، وأن يطلق سراح أسراهم في بلاده . فوفى له بمنازجرد ، ووعد بالوفاء
 ببقية شروط الاتفاق فور عودته إلى بلاده . وبعد ثمانى أيام من المعركة
 أفرج السلطان عن الإمبراطور ، وأنفذ معه حاجبين ومائة غلام قاندين
 من حرسه الخاص تبعوه إلى القسطنطينية (٨)

وبهذا الصلح المبهين ثار المسلمون لصالح الطريازى بطرس فوقاس مع قرغوية
 الحاجب في شتاء سنة ٣٥٩ هـ (٩٦٩ م) (٩) . ولذا ما أن عاد أرماتوس الرابع
 إلى عاصمة ملكه حتى عزل وسميت عيناه ، واعتلى العرش مكانه ميخائيل السابع
 براييناكيس Michael VII Parapinakes أى المظنّف (٤٦٤ - ٤٧١ هـ /
 ١٠٧١ - ١٠٧٨ م) ابن قسطنطين العاشر دوкас (١٠) .

وترتب على هزيمة الروم في منازجرد أمام السلاجقة أن انفتحت آسيا الصغرى
 للنزاه (١١) ، فأسس سليمان بن قتالش (٤٧٩ هـ / ١٠٨٦ م) سلطنة سلاجقة الروم
 The Seljuqs of Rum Sultanate (٤٧٠ - ٥٧٠ هـ / ١٠٧٧ - ١١٣٠ م)
 في ليقية (نيكايا) Nicaea قصبة نهر الأبيسقي (أوبسيكيون) opsikion على
 بحسر مرمره marmora (برونتلس Propontis قديما) في سنة ٤٧٠ هـ
 (١٠٧٧ م) من حكم ميخائيل السابع (١٢) . ووثبت قواته في العام التالي
 (٤٧١ هـ / ١٠٧٨ م) على إسكدار أو خريصوبولى (خريصوبوليس)

Chrysopolis من مدن نهر الأيسقق الرابضة على مضيق البوسفور (بوسفوروس) Bosphorus في مواجهة القسطنطينية ، فأخذتها ، وعسكرت بها (١٣) . ثم جاء ابنه قليج أرسلان الأول (١٨٥ - ٥٥٠ / ١٠٩٢ - ١١٠٧ م) فنقل العاصمة إلى قونية (١٤) ، ومد أملاكه من سواحل بحر إيجة إلى طرابزون Trepizond (البحر الأسود) شمالا إلى سواحل بحر الشام (البحر المتوسط) جنوبا (١٥) . وفي الوقت ذاته نشأت إمارة سلجوقية أخرى على تخوم أرمينية اتخذت من سنواس قاعدة لها (١٦) .

وقد دفعت سيطرة السلاجقة على معظم أنحاء آسيا الصغرى ووصولهم إلى مياه بحر الأرخبيل (أرخبيلاجو Archipelago) بجماعة Aegean Sea قديما) وتهديدهم القسطنطينية نفسها ومن خلفها الغرب الأوربي المسيحي الإمبراطور ميخائيل السابع إلى الاستغاثة ببابوية روما على عبد البابا جريج (جريجوريوس) السابع Gregorius VII (٤٦٦ - ٤٧٨ / ١٠٧٢ - ١٠٨٥ م) لبحث أتباعها على مساعدته لإيقاف زحف السلاجقة على أملاكه (١٧) .

٢ محاربة الروم ونواب الفاطميين بالشام :

بينما كان هذا يجري في الجبهة الأرمينية وآسيا الصغرى امتثل أمير حلب لأوامر السلطان ألب أرسلان الداعية لحرب الفاطميين والروم بالشام باعتباره من أتباعه (١٨) . وخرج في شعبان سنة ٤٦٣ هـ (مايو ١٠٧١ م) لغزو دمشق التي تغلب عليها القائد الفاطمي ابن منزو الكتامي (٤٨١ / ١٠٨٨ م) (١٩) . ولكنه فوجيء وهو عند بعلبك بنياً بهجوم عمه عطية على أعمال حلب ، وكان قد تحالف مع الروم ، بعد ما فقد أملاكه بالفرات ولم يعد له غير عزاز وملحقائها بشمال حلب ، فأرفض إلى إمارته لحايشها (٢٠) . واستقدم قواد الرتقة الترك من

فلسطين بالحكم يخدمته . وفي رجب سنة ٤٦٤هـ (مارس ١٠٧٢ م) نغر لحرب
عنه وحلفائه من الروم بمرزا ، قزمهم ، وملك عزاز ، فلحق عمه بالروم ورجل
معهم إلى القسطنطينية حيث توفي بعبد ذلك (٢١) وتبع محمود الروم حتى
مشارف أنطاكية ثم ارتد إلى حلب لقلعة من معه ، إذ كان في عدة د تناهر
ألف فارس ، (٢٢) .

وفي حدود السنة نفسها (٤٦٤هـ / ١٠٧١ - ١٠٧٢ م) سار محمود إلى
طرابلس ، وحاصر قاضيا المتغلب أمين الدولة أبا طالب بن عمار . ولما سكن ابن
عمار اشتطاع بداهته أن يلاطفه إلى أن ترك حصاره ببعض المال . وقد أرسل
محمود هذا المال ، في رسالة إلى السلطان ألب أرسلان ، (٢٣) . وعند ما عاود في سنة
٤٦٥هـ (١٠٧٢ / ١٠٧٣ م) تهديد أمير طرابلس ، وهو آنذاك جلال الملك
أبو الحسن علي بن محمد بن عمار (٤٦٤ - ٤٩٢هـ / ١٠٧٢ - ١٠٩٩ م) ابن أخيه
أمين الدولة أبي طالب بن عمار ، لتسليمه سديد الملك بن منقذ ، وكان قد فرمنه
إلى طرابلس حين فسد ما بينهما ، لم يعر جلال الملك بن عمار تهديده التفاتاً ورفض
تسليمه إليهم (٢٤) . وبقي سديد الملك في كنف بني عمار بطرابلس إلى أن مات
محمود فعاد إلى حلب (٢٥) . وفي السنة عنها قرر محمود استعادة الرحية من شرف
الدولة مسلم ولكنه - فيما يبدو - عدل عن قراره (٢٦) . ولما قتل السلطان ألب
أرسلان وخلفه ابنه ملكشاه (٤٦٥ - ٤٨٥هـ / ١٠٧٢ - ١٠٩٢ م) واصل
محمود مولاته للسلاجقة حيث فتح في ربيع الآخر سنة ٤٦٦هـ (ديسمبر ١٠٧٣ م)
قلعة السن (٢٧) . ولا تعرف إن كانت هذه القلعة من أعمال الروم أم من أعمال
الفاطميين . كما أنه لم يتسهل لنا تعيين موقعها .

واضح من حروب محمود أن ميدانها كان شمال الشام . أما وسط الشام وجنوبه

ذلك كان بجبالا مفتوحا أمام قادة السلاجقة الزائفة المتعاطفين للسلطة والجاه. ولا يتأتى
التساق ذلك إلا في وجود تنظيم قوى للتعاون بين محمود والسلاجقة. ففي سنة
٤٦٣ هـ (١٠٧٠ / ١٠٧١ م) اتجه آتسز إلى فلسطين وفتح مدينتي الرملة وبيت
المقدس، واستولى على سائر البلاد المجاورة لها عدا عسقلان. ثم قصد دمشق
مؤجأ صرعا، بيد أنه لم يستطع الاستيلاء عليها لشدة مقاومة ابن مئز والبطاشقة
له في قادسها، وظل يغير على أطرافها كل سنة حتى خرب عمرانها (٢٨). ويمكن
التخمين بعد حصار استمر نحو أربعة أشهر بذايته في شعبان سنة ٤٦٨ هـ (مارس
١٠٧٦ م). من استلامها بالأمان من يد واليها الفاطمي رزين الدولة انتصار
ابن يحيى المصمودي (محرم - ذي القعدة ٤٦٨ هـ / أغسطس ١٠٧٥ - يوليو ١٠٧٦ م)
في أواخر ذي القعدة (يولية) من السنة، وخطب بها للخليفة العباسي المقتدى
بأمر الله أبي القاسم عبد الله (٤٦٧ - ٤٨٧ هـ / ١٠٧٤ - ١٠٩٤ م)، وأطل فيها
الأذان بحى على غير العاد (٢٩)، وعرض انتصار عنها بقلمه بالنياس (قيسارية
فيليبوس Caesarea Philippi قرب نبع الأردن على سطح جبل الشيخ)
ومدينة يافا من الساحل (٣٠).

وهكذا مضى محمود في سياسته نحو إرضاء ساداته الجدد، لحفاظ على إمارته
من الانهيار (٣١). وهو يعد آخر أمراء بني مرداس الأقوياء، بيد أن
الظروف قهرته.

الخلاصة: هذه نصر الثاني وأخيرا سابق في سقوط الإمارة الزيدانية بعاب
٤٦٧ هـ - ٤٧٢ هـ / ١٠٧٥ - ١٠٨٠ م :

١ - وفاة محمود وإمارة ابنه نصر الثاني (جمادى الأولى ٤٦٧ هـ / يناير

في جمادى الأولى سنة ٤٦٧ هـ (يناير ١٠٧٥ م) مات محمود كندا على وفاة جارية لزوجته عشقتها وكانت تمنعه منها ، وقام في منصبه ولده الأكبر أبو المظفر نصر الذي تلقب بجلال الدولة . وهو ثاني أمير مرداسي يحمل اسم نصر تيمنا باسم جده نصر بن صالح (٣٢) . ويقال إن محمود بن نصر كان يكره ولده نصرا ولذا لم يعمد إليه (٣٣) ، وأوصى بحلب لأصغر أبنائه وأحبهم إلى قلبه وهو أبو المعالي شبل (٣٤) ، ويقال مشيب (٣٥) ، وشيب (٣٦) . ولعل شبلا ومشيبا تحريق لشيب (٣٧) . وفي رواية ثانية أنه أوصى لابنه أبي الفضائل سابق (٣٨) . ويمكن التوفيق بين الروایتين على أساس أن العهد كان لشيب ثم لسابق . على أن أصحاب محمود من رؤساء الجند لم ينفذوا وصيته لميلهم لولده الأكبر نصر . ولذا خلعوا شبليا (٩) وسلموا البلد إلى نصر (٣٩) الذي كان جده لأمه الملك العسريو أبو منصور فيروز بن م. الدولة البويهى (٤٣٥ - ٤٣٦ هـ / ١٠٤٣ - ١٠٤٤ م) (٤٠) .

٢ - إزدياد نفوذ السلاجقة بالشام ومصرع نصر الثاني (شوال ٤٦٨ هـ /

مايو ١٠٧٦ م) :

على أية حال سار نصر الثاني على سياسة أبيه في موالاته السلاجقة ومحاربة أعدائهم ، فاسترد متيج من الروم في يوم الإثنين سابع صفر سنة ٤٦٨ هـ (٢٣ سبتمبر ١٠٧٥ م) بعد أن ظلت في أيديهم سبع سنين (٤١) . وكان المتولى لذلك أحمد شاه من قادة الأتراك في شمال الشام الذين دخلوا في خدمته (٤٢) .

غير أن السياسة السلجوقية على عهد ملكشاه إزاء حلب ما لبثت أن انحرفت عنها في تلك السنة ، فلم تكف منها بالولاء ومالت إلى الاحتواء . وكان حشيتها بالشام

والمنفذ لهذه السياسة الجديدة أتمسز الخوارزمي الذي وُلد نفوذه في فلسطين .
وتسجل النصوص في حوادث السنة المذكورة (٤٦٨ هـ / ١٠٧٥ - ١٠٧٦ م)
أنه هاجم أعمال حلب الجنوبية واقتطع منها رغبة من توابح حصص ، وسلبا إلى
أخيه جاولي . وأخذ الأخير يغير من قاعدته برغبة على أملاك حلب إلى أن دحره
أحمد شاه أقبح اندحار في حدود رمضان السنة (أبريل ١٠٧٦ م) فتهجر إلى
دمشق (٣) التي كان أخوه أتمسز على حصارها منذ شعبان السنة (مارس
١٠٧٦ م) (٤).

وآب القائد المنتصر إلى حلب فلقى من أميرها نصر الثاني جزاء سنهار ، إذ
اعتقله بقلعة المدينة لما خافه على ملكه . وهو تصرف طبيعي منه إلا أنه لم يقدر
عواقبه لعظم نفوذ الأتراك بالشام آنذاك . ولذا أتهم بالهوج والتهور . وعندها
ثار أتباع أحمد شاه لاعتقال قائدهم قابل ذلك بالعنف بدلا من الحيلة حتى ليقال
أنه أغار على حللهم بظاهر حلب ، وهو سكران في يوم الأحد مستهل شوال
(مايو) ، فرماه أحدهم بسهم وقع في حلقه فحرقه . وسجى بأخيه أبي المضائل
سابق الملقب بمر الملك فرفع إلى القلعة وهو مخمور فتأمر مكانه (٥) . ولم تسكن
الفتنة إلا حين أطلق الأمير الجديد سراح أحمد شاه مقدم الركبان وخلع عليه
وأحسن إليه (٦) .

٣ - الحرب الأهلية في حلب واستيلاء السلاجقة على معظم نواحي الشام :

في إمارة سابق بلغ نفوذ الأتراك مداه . وقد بلغ هذا النفوذ أشده في وسط
الشام وجنوبه بعد أن استسلمت دمشق لآتمسز في ذي القعدة (يولية) من السنة .
ولذا لم يرض السكلابيون عن إمارة سابق وكان على رأس المعارضين لها أخواه
وثاب وشيب وابن خاله مبارك بن شبل بن جامع بن زائدة . وقد اتفق هؤلاء
على مبايعة وثاب بالإمارة ، فتجددت بذلك الحرب الأهلية في حلب بين بني كلاب .

ولكن سابق هزم أعداءه من الكلايين بمساعدة الأتراك بزعماء أحمد شاه وحليفه محمد بن دملاج عند قلشرين في ذي الحجة (يولية) من السنة (٤٧) .

ولجأ المنهزمون من السكالية يقدمهم واثب إلى السلطان ملكشاه يسألونه المعونة ضد سابق ، فاستجاب السلطان لسؤلهم . وفي صيف سنة ٤٧٠ هـ (١٠٧٧ م) أمر كبار قادة السلاجقة المرتزقة بالشام ، وهم أفشين وصندق ومحمد بن دملاج ، بالانطواء تحت لواء أخيه تاج الدولة تمش (٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م) (٨١) ، الذي أقطعهم الشام وما يفتح في تلك النواحي ، (٤٩) ، فأنشأ بعيد قليل دولة سلاجقة الشام (٤٧١ - ٥١١ هـ / ١١٧٨ - ١١١٧ م) . ولم تكن هذه الاستجابة من قبل ملكشاه لمجرد نصرة أمير مرداسي على آخر ، وإنما لإفناذقائه أنسر الذي باءت محاولته في غزو مصر بالفشل في جمادى الآخرة سنة ٤٦٩ هـ (يناير ١٠٧٧ م) ، وقهره بدر الجمالي بالقرب من القاهرة (٥٠) ، وطارده إلى الشام ، واستعاد منه فلسطين ، وحاصره بدمشق في السنة التالية (٤٧٠ هـ / ١٠٧٧ م) (٥١) .

وفي ذي القعدة سنة ٤٧٠ هـ (مايو ١٠٧٨ م) ، أي في ربيع السنة ، زحف تمش إلى حلب وهاجمها بقسوة سلاجقية ضخمة ضمت في صفوفها السكاليين الرافضين للإمارة سابق بزعماء واثب وشيب إلى محمود بن نصر بن صالح وابن خالهما مبارك بن شبل بن جامع ، والعقيليين بقيادة شرف الدولة مسلم (٥٢) . ودام الحصار أربعة أشهر ونصف (٥٣) ، وقتل في أثناءه أحد شاه مقدم الأتراك في جيش سابق (٤٧١ هـ / ١٠٧٨ م) (٥٤) ومع ذلك اضطر تمش إلى رفع الحصار عن حلب بسبب حليفه شرف الدولة مسلم أمير بني عقيل ، الذي راعه وانقلب عليه ، وانسحب بجيشه ، وجعل يواصل المدينة بالغلات وغيرها لتصمد الحصار (٥٥) ، وبسبب استغاثة أنسر به بعد أن شقيق عليه نصر الدولة قائد بدر الجمالي الخناق بدمشق (٥٦) .

ولذا سار تلش جنوبا إلى دمشق في ربيع الأول سنة ٤٧٢ هـ (سبتمبر ١٠٧٩ م) النصر آتسز . ولما سمع نصر الدولة بقره أجفل بين يديه شبه النهم بنو قديم تلش ، فدخل دمشق دون مقاومة ، وغدر بأندز فقتله خنقا بوتر ، كما قتل أخاه جاولي . وملك أعمال فلسطين إثر انسحاب بدر الجمالي بقواته منها . ودلن له معظم أمراء ساحل الشام بالطاعة ودفعوا له ما فرضه عليهم من إتاوات (٥٧) .

ثم سارع بالعودة شمالا إلى حلب ، وقام عليها أياما ، ثم رحل عنها إلى ديار بكر . وفي ذى الحجة من السنة (يولية ١٠٧٩ م) واصل تلش عملياته الضميرية بالشام ، وحقق بعض النجاح فيها ، فاستولى على منبج ، وبراغة (ويقال بجراحي وبراغا) (٥٨) ، وحصن ألقايا ، وحصن الدير ، وأحرق ريش عزاز (٥٩) . وأغار قائده أفشين على أراضي أنطاكية ، وخرّب البلاد من بعلبك إلى حلب (٦٠) بحيث لم يبق في أعمال حلب منيعة مسكونة من بلد المرة إلى حلب ، (٦١) ، فيما حل كثيرا من أهل البلاد على الفرار إلى أرض الجزيرة (٦٢) .

٤ - الاحتلال العقيل لحلب في ظل السيادة السلجوقية (ذى الحجة ١٠٧٣ هـ /

يولية ١٠٨٠ م) :

في سنة ٤٨٢ هـ (١٠٧٩ م) حاصر تلش مدينة حلب لثالث مرة ، ولم يذهب عنها إلى قاعدته بدمشق إلا بشق الأنفس . ورجل أهل حلب من ولاية الترك وقرروا تسليم بلادهم إلى أمير الموصل العربي شرف الدولة مسلم . وعلى ذلك نهض شرف الدولة مسلم إلى حلب في ذى الحجة من السنة (يولية ١٠٨٠ م) فأذهنت المدينة له ونادت بشعاره ، وفتح مقدمها الشريف العباسي حسن بن هبة الله الختيتي أبوابها له فدخلها . وبقيت قلعة المدينة وبها سابق على المقاومة بعد أن لحق به أخواه شبيب ووثاب . فحاصرهم ، ثم استنزلهم بالأمان بعد أيام

بوسامة شديد الملك بن منقذ ، واستولى على نواحي حلب . وأقطع سابقا الرحبة وأخويه قلعي عزاز والآثارب وبعض الاعمال الأخرى ، وأقرن بأختهم منيعة (٦٢) . وبعث إلى السلطان ملكشاه يتأله أن يقره على نيابة حلب على أن يضمن له خراجها ، فأجابه السلطان إلى ما طلب ، (٦٢) .

وبذلك انقضت دولة بنى مرداس بحلب وشمال الشام (٦٢) . وفي سنة ٤٧٥ هـ (١٠٨٢ م) انقطع ذكر المرداسيين وأعوانهم من التركان تماما من أعمال حلب . في تلك السنة اعتقل شرف الدولة مسلم بأعمال حلب ، نحواً من ثلاثمائة (٣٠٠) فارس من التركان بقايا من كان يخدم بنى الروقلية (بنى مرداس) . . وفرقهم في القلاع . وكان ذلك آخر العهد بهم ، (٦٦) . وشفع ذلك - بعد ما اقتلع نفوذ التتيريين في حران وسروج - بتصفية المرداسيين أنفسهم بأعمال حلب ، فأخذ قلعي عزاز والآثارب من شبيب ووثاب ولدى محمود بن نصر ، وعوضها الخانوقة وفريسيا ودويرا من أعمال الرحبة ، ثم أقطع شيبيا في السنة عينها حماة (٦٧) . وبذا خلعت حلب وأعمالها للعقيليين .

حواشي الفصل الرابع

(١) CF Camb. Med. Hist., vol. V p. 261.

(٢) رسم ياقوت (م ٤ / ج ٢ ص ٦٤٨) إسم هذه البلدة على هيئة منازل جرد (بالجيم) ، وذكر أن أهله يقولون منازل كرد (بالسكاف) ، وأن النسبة إليه منازى . ويرد إسم هذه البلدة عند مؤرخي الإسلام على صورتين : الأولى : منازل جرد ، ، والثانية : ملاز كرد ، كما في المتن . وعن أثبت الرسم الأول : ابن القلاسى (ص ٩٨ ، ٩٩) ، والفاروقى (ص ١٨٩) ، وسبط بن الجوزى (هامش ١ ص ١٠٠ ، ١٠١ على ذيل ابن القلاسى) وعن أثبت الرسم الثانى : ابن الأثير (ج ١٠ ص ٦٥) ، وابن العبرى (ص ١٨٥) . أما فى المصادر الأوروبية فنجدها فى الفرنسية على صورة : مانزيكيت ، Manzikiert ، Mantzikert ، Manzikert ، وفى الإنجليزية على صورة : مانزيكيت ، Mantzikert ، Manzikert ، والصورة الأخيرة هى المثبتة بالمتن .

(٣) انتزعها ابنه ملكشاه (٤٦٥ - ٤٨٥ / ١٠٧٢ - ١٠٩٢) من الروم فى سنة ٤٧٩ (١٠٨٦) . ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٤٨ .

(٤) أنظر عنها ياقوت : م ٤ / ج ١ ص ٧٧ - ٧٨ .

(٥) أنظر فيما سبق ، ص ١٠٨ ، وحاشية ٩٤ ص ١٣٢ .

(٦) ابن القلاسى ، ص ٩٩ ، ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٦٤ ، سبط بن الجوزى (هامش ١ ص ١٠١ - ١٠٢ على ذيل ابن القلاسى) ، ابن العديم ، ج ٢ ص ١٩ - ٢١ ، الذهبي ، ج ١ ص ٢٧١ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٧٤ - ٢٧٥ .

ابن تيمى بردى ، ج ٨٦ - ٨٧ - موطع مجمعا . م ٨ ص ٢٠ مادة حلب
بداثة المعارف الإسلامية ، وكذا . Camb. med. Hist., vol, V, p 261 .

(٧) عن الكرخ والبيحانك أنظر فيما سبق ، هامش ١٦ ص ٧٧ - ٧٩ ،
٨١ - ٨٢ .

(٨) ابن القلائسى ، ص ٩٩ ، الفاروقى . ص ١٨٩ - ١٩٠ ، ابن الأثير ،
ج ٢٠ ص ٩٥ - ٩٧ . سبط بن الجوزى ، هامش ١ ص ١٠٢ - ١٠٤ . (على ذيل
ابن القلائسى) ، ابن العبرى ، ص ٢٨٨ ، أرشيبالد لويس ، ص ٢٦٩ ، وكذا
C. Cahen, La Campagne de mantzikert d'après les Sources
musulmanes (Byzantion IX, 1934, pp 613 - 613), Le monde
Oriental, ch. XI Par Diehl, pp 567, 561 & ch. XII par mar-
çais, p. 574, Camb. Med. Hist., vol IV, p. 326, Grousset, Hist.
de l'Arménie, pp. 628 - 629, Oman, The Byzantine empire,
London 1892, pp. 263 - 54, 2 - Brehier, Vie et mort de Byzance,
Paris 1947, p. 280, Baldwin, op. cit, I, pp. 192 - 193.

(٩) أنظر فيما سبق ، ص ١٢ - ١٤ ، وجمالية ٢٠ ص ٢٩ .

(١٠) ابن القلائسى ، ص ٩٩ ، ابن الأثير ، ج ١ ص ٦٧ ، وكذا
Diehl, op. cit, pp 557 - 558, Baldwin, op. cit, I p. 193.

(١١) أرشيبالد لويس ، ص ٢٦٩ ، وكذا . Can. med. Hist., vol. IV,
p. 325, Diehl, op. cit, p. 562, Baldwin, op. cit, I, p. 193.

(١٢) Le monde Oriental, ch. XI par Diehl, p 52 & ch. XII (١٢)
par Ma çai, p. 505.

- (١٢) Diehl, op. cit., p. 563. : وأظر فيما سبق حاشية ١٩ ص ٢٧، حيث استندت انطاكية بالامان في شعبان سنة ٤٧٧ هـ (ديسمبر ٨٤٢ م).
- (١٤) La monde Oriental, ch. XI par Diehl, p. 262 & ch, XII par Marcais, p. 560.
- (١٥) Diehl, op. cit., p. 562.
- (١٦) Marcais, op. cit., p. 580.
- (١٧) Diehl, op. cit., p. 562.
- (١٨) نص المديم (ج ٢ ص ٢٢) على أن ألب أرسلان إتفق مع محمود على أن يتوجها إلى بلاد دمشق والأعمال المصرية لفتحها.
- ١٩ أنظر فيما سبق، ص ١٥٦، وحاشية ٦٢ ص ١٦٩
- (٢٠) راجع : سورنيم، ص ٨٠ ص ٢٠ مادة حلب بدائرة المعارف الإسلامية.
- (٢١) راجع : ابن القلائسي، ص ١٠١ - ١٠٢، سورنيم، ص ٨٠ ص ٢٠ مادة حلب بدائرة المعارف الإسلامية. وأنظر فيما سبق، ص ١٥٠.
- (٢٢) ابن القلائسي، ص ١٠٣ - ١٠٤.
- (٢٣) ابن الاثير، ج ٩ ص ٢٢٤. راجع تعليق الدكتور محمد الشيخ (الإمارات العربية، ص ١٣٨ - ١٣٩) الذي يجعل هذه الحلة في سنة ٤٦٥ هـ (١٠٧٢ / ٧٣ م)، مما يتناقض مع معاصرة أمير الدولة بن عمار لها لأنه توفي كما هو معروف في منتصف رجب سنة ٤٦٤ هـ (أبريل ٧٢ م). أنظر : ابن الاثير، ج ١٠ ص ٧١، ابن تقي لردى، ج ٥ ص ٨٩. بل إنه يتناقض كذلك مع معاصرة السلطان، ألب أرسلان لها لأنه توفي في طائر ربيع الاول سنة ٤٦٥ هـ.

(نوفمبر ١٠٧٢ م). راجع : ابن الاثير ، ج ١٠ ص ٧٣-٧٤ ، الذهبي ، ج ١ ص ١٧٤ .

(٢٤) راجع : ابن القلاسى ، ص ١٠٦ ، ابن العديم ، ج ٢ ص ٣٤-٣٥ .
وأظر الإمارات العربية ، ص ١٢٨ ، ٢٨٦ ولاحظ اختلاف تاريخ هروب
ابن منقذ إلى طرابلس .

(٢٥) ابن العديم ، ج ٢ ص ٥٤ .

(٢٦) راجع : ابن القلاسى ، ص ١٠٦ .

(٢٧) المصدر السابق ، ص ١٠٧ .

(٢٨) المصدر نفسه ، ص ٩٨-٩٩ ، ابن الاثير ، ج ١٠ ص ٦٨ ، الذهبي ،
ج ١ ص ٢٧٣ .

(٢٩) ابن القلاسى ، ص ١٠٨ ، ابن الاثير ، ج ١٠ ص ٩٩-١٠٠ ،
الذهبي ، ج ٢ ص ٣-٤ ، القلقشنى ، ج ٤ ص ١٦٤-١٦٥ ، ابن تغرى
بردى ، ج ٥ ص ١٠١ ، وكذا Camb. Med. Hist., vol. V, p. 262.
Gibb, op. cit., p. 20.

(٣٠) ابن الاثير ، ج ١٠ ص ١٠٠ .

(٣١) راجع : Camb. Med. Hist., vol. V, p. 261 حيث نجد حكماً
طاماً يشكك في ولاء محمود لآل أرسلان مع أنه وفي بما حامده عليه . أظر
الدكتور السيد الباز العرينى (الدولة البيزنطية، ص ٧٤٨) الذى نقل هذا الراى
دون أن يفنده .

(٣٢) هناك اختلاف في تحديد وفاة محمود بين ثلاث روايات . وأقدم

الروايات تقول بوفاته في جمادى الأولى سنة ٤٦٧ هـ (يناير ١٠٧٥ م). أنظر
رواية ابن القلانسي (ص ١٠٧-١٠٨) ومن تابعه عليها كابن العديم (ج ٢
ص ٤٥)، والدهي (ج ٢ ص ٣)، ابن تفرى ردى (ج ٥ ص ١٠٠) مع
ملاحظة تحديد اليوم والشهر عند الأخير بليلة الخميس ثالث عشر شعبان (أبريل).
أما الرواية الثانية، فتجعل وفاة محمود في ذى الحجة سنة ٤٦٨ هـ (يولية ١٠٧٦ م).
ومن نص على ذلك: ابن الأثير (ج ٩ ص ٢٣٤)، وأبو الفدا (م ١/ ج ٢
ص ١٤٩)، والعلقشندى (ج ٤ ص ١٦٩). أما الرواية الثالثة، فقد انفرد
بذكرها ابن الأثير (ج ١٠ ص ١٠٥)، وهي تثبت سنة ٤٦٩ هـ (١٠٧٦ م /
١٠٧٧ م). أما المراجع النزيعة فتجعل ذلك في جمادى الأولى سنة ٤٦٦ هـ
(يناير ١٠٧٤ م). أنظر على سبيل المثال:

Camb Med. Hist., Vol. V, p. 261, Bosworth, op. cit., p. 57,
Ency. of Islam, art. « Halab » by Sobernheim, p. 30, Lane -
poole, Muh. dynasties, p. 114.

(٢٢) ابن تفرى ردى، ج ٥ ص ١٠١.

(٢٤) المصدر السابق، ج ٥ ص ١٠٠.

(٢٥) ابن الأثير، ج ٩ ص ٢٣٤.

(٢٦) ابن العديم، ج ٢ ص ٤٥، ابن خلدون، ج ٤ ص ٢٧٥.

(٢٧) يرى الطبيب الحلبي في أعلام النبلاء (ج ١٠ ص ٢٤٢-٢٤٣) أن
شبلًا دمشقيًا تحريف لسابق وذلك بعيد المأخذ.

(٢٨) ابن الأثير، ج ٩ ص ٢٣٤، ابن خلدون، ج ٤ ص ٢٧٥ (رواية
ابن الأثير).

(٢٩) ابن الأثير، ج ٩ ص ٢٣٤، ابن العديم، ج ٢ ص ٤٥، ٤٨.

(٣٠) ابن الأثير، ج ٩ ص ٢٣٤.

(٣١) ابن القلاسي، ص ٩٨، ابن الأثير، ج ١٠ ص ١٠٠، سبط بن الجوزي: هامش ٢ ص ٩٨ على ذيل ابن القلاسي، الذهبي، ج ٢ ص ٣، وكذا

Camb. Med. Hist, Vol. V, p. 2٤2.

Lane — poole, Muh dynasties, p. 1٦٥ (٣٢)

(٣٣) ابن العديم، ج ٢ ص ٤٨، وكذا

Camb Med. Hist, Vol. V, p. 261 et ps.

(٣٤) راجع: ابن الأثير، ج ١٠ ص ٩٩.

(٣٥) ابن القلاسي، ص ١٠٨، ابن الأثير، ج ٩ ص ٢٣٤، ابن العديم، ج ٢ ص ٤٩، ابن خلدون، ج ٤ ص ٢٧٥، القلقشندي، ج ٤ ص ١٦٩، سوبرنيم، م ٨ ص ٣٠ مادة حلب بدائرة المعارف الإسلامية. راجع: أبا الفدا (م ١ / ج ٢ ص ١٤٩) حيث مصرع نصر الثاني في سنة ٤٦٩ هـ (١٧٠٦ / ١٧٠٧ م)

(٣٦) ابن الأثير، ج ٩ ص ٢٣٤، وأنظر: ابن العديم، ج ٢ ص ٤٩، ابن خلدون، ج ٤ ص ٢٧٥ (رواية ابن الأثير).

(٣٧) أن العديم، ج ٢ ص ٥٤ - ٥٥، سوبرنيم، م ٨ ص ٣٠ مادة حلب، وكذا Camb. Med Hist., Vol. V, pp. 262 — 263

Op Cit, p 262. (٣٨)

(٣٩) ابن الأثير، ج ١٠ ص ١١١. وراجع: أبا الفدا، م ١ / ج ٢ ص

٢٠٢، وكذا Gibb, Op. Cit, p, 20.

(٥٠) عن هذه الحملة راجع : ابن الفلاس ، ص ١٠٩ - ١١٢ ، ابن الأثير ،

ج ١٠ ص ١٠٢ - ١٠٤ ، الذمى ، ج ٢ ص ٤ ، وكذا

Camb Med. Hist., Vol. V, p. 262, Gibb, op cit., p. 20.

(٥١) ابن الفلاس ، ص ١١٢ ، ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١١١ ، الذمى ،

ج ٢ ص ٤ ، وكذا Camb. Med. Hist., Vol. V, p. 263.

(٥٢) ابن الفلاس ، ص ١١٢ ، ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١١١ ، وكذا

Camb. Med. Hist., Vol. V, p. 262. راجع ابن الأثير (ج ١٠ ص

١١٥) حيث كانت عمه السلطان ملكشاه وأخيه تقيش من بين زوجات شرف

الدولة مسلم .

(٥٣) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٢٤ وكذا

Camb Med. Hist., Vol. V, p. 262.

(٥٤) ابن العديم ، ج ٢ ص ٥٧ وأنظر ابن الفلاس (ص ١١٢) الذي

أثبت مقتل أحمد شاه مقدم الأتراك في الشام في حوادث السنة المذكورة بالمتن .

(٥٥) ابن الفلاس ، ص ١١٢ ، ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١١٤ ، وكذا

Camb. Med. Hist., Vol. V, p. 262.

(٥٦) راجع : ابن الفلاس ، ص ١١٢ ، ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١١١ ،

وكذا Camb Med Hist., Vol. V, p. 263, Gibb, op. cit., p. 20.

(٥٧) ابن الفلاس ، ص ١١٢ ، ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١١١ ، ابن العديم ،

ج ٢ ص ٦٥ ، أبو الفدا ، م ١ / ج ٢ ص ٢٠٣ ، وكذا

Camb. Med. Hist., Vol. V, p. 263. Gibb, op. cit., p. 20.

ذكر الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن المعروف بابن عساكر (١١٧٥/١٠٧١م) في كتابه «تاريخ دمشق»، امتلاك تئش لدمشق في سنة ٤٧٢ هـ (١٠٧٩م).
ابن الأثير، ج ١٠ ص ١١١.

(٥٨) أنظر عنها يافوت، م ١ / ج ٢ ص ٦٠٣.

(٥٩) ابن القلاسي، ص ١١٣، ابن العديم، ج ٢ ص ٦٢-٦٣، وكذا Camb. Med. Hist., Vol. V, p. 362. وراجع: ابن الأثير، (ج ١٠ ص ١١٥) الذي سجل ذلك في حوادث سنة ٤٧٢ هـ (١٠٧٩ / ١٠٨٠م) مع أنه ينقل عن ابن القلاسي.

(٦٠) Camb. Med. Hist., Vol. V, p. 263.

(٦١) ابن الأثير، ج ٢، ص ٦٧.

(٦٢) سوبرنيم، م ٨ ص ٣٠ مادة حلب بدائرة المعارف الإسلامية.

(٦٣) ابن العديم، ج ٢ ص ٦٨-٦٩. وأنظر: ابن القلاسي، ص ١١٣، وكذا Camb. Med. Hist., Vol. V, p. 263. وراجع: ابن الأثير، (ج ١٠ ص ١١٥) ومن نقل عنه كأي الفدا (م ١ / ج ٢ ص ٢٠٣) وابن خلدون، (ج ٤ ص ٢٧٥) حيث استنظام حلب لشرف الدولة مسلم في سنة ٤٧٣ هـ (١٠٨٠ / ١٠٨١م) مع أن ابن الأثير قرر من قبل (ص ١١٤) أن شرف الدولة مسلم ملك حلب في سنة ٤٧٢ هـ (١٠٨٠م).

(٦٤) الأثير، ج ١٠، ص ١١٥، ابن خلدون، ج ٤ ص ٢٧٥.

(٦٥) ابن العديم، ج ٢ ص ٧٠. لم تستقر الأمور في حلب بسقوط الدولة المرداسية في مدى السنوات التسع التالية هذه. ففي ٢٤ صفر سنة ٤٧٨ هـ (٢١ يونيو ١٠٨٥م) اقتتل شرف الدولة مسلم وسليمان بن قتبش على حلب.

بعد أن تملك الثاني أنطاكية (شعبان ٤٧٧ هـ / ديسمبر ١٠٨٤ م) ، ودارت الدائرة على شرف الدولة وخرصريها . وتحدد القتال عليها في ١٨ صفر سنة ٤٧٩ هـ (مايو ١٠٨٦ م) بين سليمان بن قتلмыш وتتش ، فكسره تتش ، واتحر سليمان ، وقيل قتل في الهزيمة . ثم تدخل السلطان ملكشاه وملك حلب في رمضان (ديسمبر) السنة ، وسلمها إلى صاحبه قسم الدولة آقسنقر الحاجب (٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م) والد الملك المنصور أبي الجود عماد الدين زنكي (٥٤١ هـ / ١١٤٦ م) مؤسس الدولة الزنكية الاتابكية بالموصل وحلب (٥٢١-٥٨٢ هـ / ١١٢٧-١١٨٦ م) . غير أن تتش حاربه في جمادى الأولى سنة ٤٨٧ هـ (مايو ١٠٩٤ م) ، وأسره ، بعد أن دحره ، وقتله صبيرا ، وأخذ حلب . أنظر في ذلك :

ابن القلانسي ، ص ١١٨ - ١١٩ ، ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٤٠ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ٢٣٢ ، ابن العديم ، ج ٢ ص ٨٧ - ٩١ ، ٩٩ ، ١٠١ ، ١٠٦ ، أبا الفدا ، م ١ / ج ٢ ص ٢٠٥ - ٢٠٧ ، الذهبي ، ج ٢ ص ٧ ، ١٠٤ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٧٥ - ٢٧٦ ، سوبرنيم ، م ٨ ص ٣١ مادة حلب بدائرة المعارف الإسلامية ، وكذا

Gibb, op. cit., pp. 20-12, Camb Med. Hist., Vol. V, pp 263-264.

(٦٦) سبط بن الجوزي ، هامش ١ ص ١١٦ على ذيل ابن القلانسي .

(٦٧) المصدر السابق ، هامش ١ ص ١١٦ على ذيل ابن القلانسي .

خاتمة

انفضح لنا من استعراض تاريخ المرداسيين أنهم أفلحوا في إقامة دولة لهم بشمال الشام خلت محل الإمارة الحنانية ، بيد أنهم انطوا تحت حماية الروم فألجأوا بذلك حفيظة الفاطميين ، فهاجموهم ، وقتلوا أول أسرائهم ونفائهم ، واحتلوا بلادهم حتى أذعنوا لهم بالثبعية بعد أن نبذوا حامية الروم . وبلغ من الخلافه حسن ولائهم بحكم تشيعهم للفاطميين أن أيدوا البساسيري في حركته ضد العباسية ، وتنازلوا لهم عن حلب وأعمالها . ثم لما ثاروا بوالها الفاطمي ، واستقلوا بحكمها ، أوقع الفاطميون الخلف بينهم ، فلم تقم لإمارتهم قائمة ، حتى جاء السلاجقة وأرغموهم على الخضوع لهم وقطع الخطبة للخليفة الفاطمي وإقائهها للخليفة العباسي والسلطان السلجوقي .

وبعد ذلك ثقلت وطأة السلاجقة على الروم ونكبوهم في منازلهم ، وانسابت جموعهم في آسيا الصغرى حتى مياه بلفيت بحر الأرخييل (بحر إيجة) ومعنيق البوسفور ، وتضاعف ضغطهم على شمال الشام بالتعاون مع المرداسيين . وهنا استغاث الروم ببيارية روما لإنقاذهم فكانت الحروب الصليبية ، أو عد ذلك من أسبابها الرئيسية .

وعلى الرغم من تذبذب وضع المرداسيين السياسي في أعقاب تخلصهم من حماية الروم إلا أنهم وقفوا حجر عثرة أمام توسع دوقية أنطاكية الرومية . وتلك حسنة تحسب لهم .

إلا أن ما يعييبهم هو أنهم لم يسلكوا مسلك رجال الدولة في إدارة إمارتهم

== الخاتمة ==

وساسوما بمسلك البدو أصحاب الإغارة والفتك والعلب والنهب . أضفت إلى ذلك أنهم درجوا على نظام الإقطاع الحربى ، ولم يكن يهم المقتطع من المرداسيين خاصة والكلايين عامية سوى مبلغ ما يأتيه من ضياعه وحصونه : وكثيرا ما شبت الفتن والقلاقل والحروب بين أفراد الأسرة من جراء هتفا : النظام ، حتى آل الأمر فى النهاية إلى انقسام الإمارة ، وتقلص نفوذها ، واضمحلالها ثم انبهارها فى النهاية .

المصادر والمراجع

- أولا : المصادر العربية المخطوطة .
- ثانيا : المصادر العربية المطبوعة .
- ثالثا : المراجع الحديثة العربية والعربية .
- رابعا : المراجع الأجنبية الحديثة .

أولاً : المصادر العربية المخطوطة

سبط بن الجوزي (٦٥٤هـ / ١٢٥٧ م) : شمس الدين أبو الظاهر يوسف بن قينوغلي .

١ - مرآة الزمان في تاريخ الأحياء ، ج ٨ ، ٩ ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٩٢٧٦ ح .

العيني (٨٥٥هـ / ١٤٥١ م) : بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى .

٢ - عقد الجنان في تاريخ أهل الزمان ، ج ٢ ، مخطوط مصور بدار الكتب المصرية رقم ١٥٨٤ تاريخ .

ثانيا : المصادر العربية المطبوعة

- ١ - القرآن الكريم .
- الآبشيى (١٤٤٦/١٨٥٠م) : شهاب الدين أبو الفتح محمد بن أحمد بن منصور بن أحمد بن عيسى المحلى الآبشيى المالكي .
- ٢ - المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ٢ ، المطبعة المحمودية ، القاهرة ، بدون تاريخ .
- ابن الأثير (١٢٣٠/١٢٣٣م) : عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري .
- ٣ - الكامل في التاريخ ، ج ٨ - ١٠ ، دار صادر - دار بيروت ، بيروت ١٣٨٦ / ١٩٦٦ م .
- الأنطاكي (١٠٦٦/١٤٥٨م) : يحيى بن أوتينا (يوتيفوس Entychus) المسمى سعيد بن البطريق .
- ٤ - « صلة كتاب أوتينا ، المسمى « التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق » ، بيروت ١٩٠٩ م .
- المخطيب البغدادي (١٠٧٢/١٤٦٤م) : الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن حنبل بن ثابت البغدادي المخطيب .
- ٥ - تاريخ بغداد أو مدينة السلام ، م ٩ ، ط ١ ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٩٣١ / ١٣٤٩ م .
- البلاذري (٨٩٢/٢٧٩م) : أبو العباس أحمد بن يحيى بن حماد البغدادي الشهير بالبلاذري .
- ٦ - أنساب الأشراف ، ج ١ ، تحقيق الدكتور محمد حميد الله ، مجموعة

ذخائر العرب (٢٧)، نشر مفهه المخطوطات بجامعة الدول العربية بالاشتراك مع دار المعارف، القاهرة ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٩ م.

ابن تغرى بردى (٨٧٤ هـ / ١٢٧٠ م) : أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغرى بردى الانابكى .

٧ - النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، ج ٤، ٥، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ١٣٥٢ - ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٣ - ١٩٣٥ م.

ابن الجوزى (٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م) : أبو الفرج عبد الرحمن .

٨ - المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم، ج ٨، صدر آباد ١٣٤٨ هـ .
الحازمى (٥٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م) : أبو بكر محمد بن أبى عثمان الحازمى الهمدانى .

٩ - سجالة المبتدئ وفضالة المنتهى فى النسب، تحقيق عبد الله كرون، المطبعة الأميرية، القاهرة ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٥ م.

ابن خرداذبة (٥٢٠ هـ / ١١٢٢ م) : أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله المعروف بابن خرداذبة .

١٠ - المسالك والممالك، وبه نداء من كتاب الخراج وخدمة الكتابة لخدمة بن جعفر، نشر وتحقيق دى غوية De Goeje B. J. ، المجموعة الجغرافية Bib. Geog. Arab. ، مطبعة بريل Brill ، ليدن ١٨٨٩ م.

ابن الخطيب (٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م) : الوزير الغرناطى لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن على بن أحمد السلباقى المعروف بلسان الدين ابن الخطيب .

١١ - أعمال الأعلام فىمن بوع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام لما هجر ذلك من عتقون الكلام، القسم الثالث (الجزء الخامس) بتاريخ المغرب وتحتفلية، تحقيق الدكتور أحمد مختار العبادى والأستاذ إبراهيم الكتافى، الدار البيضاء ١٩٦٤ م.

ابن خلدون (٨٨٠/١٤٠٦ م): ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد
ابن محمد بن الحسن بن خلدون التومسي المالكي .

١٢ - كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر
ومن عاصرهم من ذوى السطان الأكبر ، ج ٢ - ٤ ، ٦ ، طبعة بولاق ، القاهرة
١٢٨٤ هـ / ١٨٦٧ م .

ابن خلكان (٦٨١/١٢٨٢ م): شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن
إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان الشافعي .

١٣ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، جزءان ، صصح الجزء الأول
محمد بن عبد الرحمن قطعة العدوى وصصح الجزء الثاني الشيخ نصر الموريني ، دار
الطباعة الميرية المصرية ، القاهرة ١٢٧٥ هـ .

الذهبي (٧٤٨/١٣٤٧ م): الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد
بن عثمان بن قايماز بن عبد الله التركاوي الفارقي الذهبي .

١٤ - دول الإسلام أو التاريخ الصغير ، وهو مختصر لكتابه الإسلام
وطبقات المشاهير والأعلام المسمى بتاريخ الإسلام الكبير ، جزءان في مجلد ،
تحقيق فهم محمد شلتوت ومحمد مصطفى إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،
القاهرة ١٩٧٤ م .

الرازي : الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر .

١٥ - مختار الصحاح ، ترتيب محمود خاطر ، طبع الهيئة المصرية العامة
للكتاب ، القاهرة ١٩٧٦ م .

الروذراوى (٤٨٨/١٠٩٥ م): الوزير ظهير الدين أبو شجاع محمد بن
الحسين بن عبد الله بن إبراهيم .

١٦ - ذيل كتاب تجارب الأمم ، ج ٢ (يحتوى على حوادث سنة ٢٥٠ سنة :
٣٦٩ - ٣٨٩ هـ ، ويبلغ قطعة من تاريخ هلال الصافي الكاتب إلى سنة ٤١٢ هـ) ،

طبعة هـ ف أمدوز H. F. Amedroz ، مطبعة المدن الصناعية ، القاهرة
١٣٢٤ هـ / ١٩١٦ م .

الشيرازي (١٤٧٠ هـ / ١٠٧٧ م) : المؤيد في الدين أبو نصر هبة الله بن
موسى بن داود .

١٧ - سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة ، نشر الدكتور محمد كامل حسين ،
القاهرة ١٩٤٩ م .

الطبري (٢١٠ هـ / ٩٢٢ م) : أبو جعفر محمد بن جرير .

١٨ - تفسير الطبري أو جامع البيان عن وجوه تأويل آي القرآن ، ج ١٤ ،
تحقيق محمود محمد شاكر وأحمد محمد شاكر ، مجموعة تراث الإسلام ، دار
المعارف ، القاهرة ١٩٥٨ م .

عبد الواحد المراكشي (كان حيا سنة ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م) : محي الدين عبد
الواحد بن علي التميمي .

١٩ - المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، من لدن فتح الأندلس إلى آخر
عصر الموحدين وما يتصل بتاريخ هذه الفترة من أخبار القراء وأعيان الكتاب ،
تحقيق محمد سعيد الريان ، القاهرة ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م .

ابن العبري (٨٦٥ هـ / ١٢٨٦ م) : أبو الفرج غريغوريوس (جريجوريوس)
ابن أهرن الملطي اليمقوي .

٢٠ - تازيخ مختصر الدول ، بدون تحديد للطبعة ومكانها وتاريخها (أشار
الناشر إلى أنها مأخوذة عن طبعة أكسفورد بمراجعة بوكوك ١٦٦٣ م) .

ابن العديم (٦٦٠ هـ / ١٢٦٢ م) : المولى صاحب كمال الدين أبو القاسم عمر
ابن أحمد بن هبة الله .

٢١- زبدة الحلب من تاريخ حلب، جزماني، تحقيق الدكتور سامي الدمان،

بيروت ١٣٧٠ - ١٣٧٣ / ١٩٥١ - ١٩٥٤ م.

ابن عذارى (كان حيا سنة ٥٧١٢ / ١٣١٢ م) : أبو العباس أحمد بن محمد

ابن عذارى المراكشي .

٢٢- البيان المغرب في أخبار المغرب ، ج ١ (مشتدل على أخبار المغرب من

الفتح إلى حين دخول الموحدين المهدي سنة ٥٦٠٢ / ١٢٠٥ م) ، نشر مكتبة صادر،

مطبعة المناهل ، بيروت ١٩٤٧ - ١٩٥٠ م.

الفارقي (كان حيا سنة ٥٦٦ / ١١٧١ م) : أحمد بن يوسف بن الأزرق .

٢٣- تاريخ الفارقي (الدولة المروانية) ، تحقيق الدكتور بدوي عبد الطيف

معرض ومراجعة الدكتور محمد شفيق غربال، المطبعة الاميرية ، القاهرة ١٣٧٩ /

١٩٥٩ م.

أبو الفدا (٥٧٣٢ / ١٣٣١ م) : الملك المؤيد حماد الدين اسماعيل صاحب

حاء بن علي بن محمود بن محمد بن عمر الأيوبي النعوى .

٢٤- المختصر في أخبار البشر ، م ١ (جزءان) ، دار الطباعة الشاهانية ،

قسطنطينية ١٢٨٦ هـ .

قدامة بن جعفر (٥٣٢٠ / ١١٣٢ م) : أبو الفرج الكاتب البغدادي .

٢٥- نبد من كتاب المراج وصناعة الكتابة ، ملحق بكتاب المسالك والممالك

لابن خرداذبة ، نشر وتحقيق دى فوية ، المجموعة الجغرافية العربية ، مطبعة بريل،

ليدن ١٨٨٩ م .

٢٦ - ابن القلاسي (٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م) : أبو علي حمزة بن أسد التميمي .

٢٧ - ذيل تاريخ دمشق ، تكلؤه فخب من تواريخ ابن الأزرقي الفارقي وسبط

٢٨ - ابن الجوزي والحافظ الذهبي ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ١٩٠٨ م .

القلاشندى (٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) : أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله الشهابي القاهري الشافعي البصري .

٢٩ - صحيح الأحقنى في صناعة الإنشاء ، ج ٤ ، ١٣٠٠ ، نشر المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، مطبعة كونستانتينوفسكا بالظاهر ، القاهرة ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م (نسخة معهورة عن الطبعة الأميرية سنة ١٣٣٨ - ١٣٣٨ م) .

٣٠ - ابن الجوزي (٨٦٤ هـ / ١٤٦٩ م) : جلال الدين محمد بن أحمد بن إبراهيم المحلى الشافعي .

٣١ - تفسير القرآن الحكيم المعروف بتفسير الجلالين ، ابتدأ فيه الجلال المحلى (عن أول سورة البقرة إلى آخر سورة الإسراء) ولم يتمه فأنتمه جلال الدين السيوطي .
٣٢ - على تلمذ «القاهرة» ١٣٤٤ هـ / ١٥٠٥ م .

٣٣ - ابن مسكويه (٨٤٢ هـ / ١٠٣٠ م) : أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه .

٣٤ - تجارب الأمم وعواقب الأمم ، ج ٢ (يحتوي على حوادث أربعين سنة : ٣٩٩ - ٤٢٩ هـ) ، نسخ وتصحيح هـ ، ف . أمدوز ، مطبعة التمسدن

الصناعية ، القاهرة ١٣٣٣ هـ / ١٩١٥ م .

٣٥ - الطبقات (٨٣٧ هـ / ١٤٢٧ م) : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الحنفى المقدسى المعروف بالبشارى .

٣٠ - أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ط ٢ ، تحقيق دي غوية ، المكتبة
الجغرافية العربية ، مطبعة بريل ، ليدن ١٩٠٦ م .

المقريزي (٨٤٥هـ / ١٤٤١م) : تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد .

٣١ - انعاظ الخنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، تحقيق الدكتور جمال الدين
الشيال ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨ م .

٣٢ - نص من الإنعاظ حول سياسة الفاطميين نحو الدولة الزيرية بعد استقلالها عن
مصر ، مأخوذ عن النسخة الخطية الكاملة لهذا الكتاب المحفوظة بمكتبة سراجي أحمد
الثالث باستانبول - لوحات ٨٧ و ٨٨ و ٨٩ ، ضميعة على مقال : سياسة الفاطميين
نحو المغرب والاندلس للدكتور أحمد عنتار العبادي ، صحيفة المعهد المصري
للدراستات الإسلامية في مدريد ، ٢م ، العدد ١ - ٢ ، مدريد ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م ،
ص ٢٢١ - ٢٢٦ .

٣٣ - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، ج ١ ، طبعة بولاق ،
القاهرة ١٢٧٠هـ ، ج ٢ ، مطبعة النيل ، القاهرة ١٢٢٤هـ .

٣٤ - إغاثة الأمة بكشف الغمة ، تحقيق الدكتور محمد مصطفى زيادة والدكتور
جمال الدين الشيال ، ط ٢ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٣٧٦هـ /
١٩٥٧ م .

ابن منجب (٥٠٤٢هـ / ١١٤٧م) : أمين الدين تاج الرياسة أبو الفاسم علي بن
منجب بن سليمان الصيرفي المصري .

٣٥ - الإشارة إلى من نال الوزارة ، القاهرة ١٩٢٤م .

ابن ميسر (٦٧٧هـ / ١٢٧٨م) : محمد بن علي بن يوسف بن جلاب .

- ٣٦ - تاريخ مصر ، طبعة هنرى ماسيه Henri Massé ، القاهرة ١٩١٩ م .
ياقوت (٦٢٦ / ٨ ١٢٢٩ م) : شهاب الدين أبو عبد الله الحموى الرومى .
٣٧ - معجم البلدان فى معرفة المدن والقرى والحراب والبحار والسهل والوهر
فى كل مكان ، ٤ م (فى كل مجلد جزءان) ، ليبزج Leipzig ١٨٦٦ - ١٨٦٩ م ،
٥ م (جزء واحد) : تصحيحات وتعليقات ، ليبزج ١٨٧٣ م ، ٦ م (جزءان) :
فهرست ، ليبزج ١٨٧٠ م . طبعة فردناند وستنفلد Ferdinand wüstenfeld .
ليبزج ١٨٦٦ - ١٨٧٣ م .

ثالثا : المراجع الحديثة العربية والمعربة

الدكتور احمد مختار العبادى ،

١ - سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس ، صحيفة المعهد المصرى
للدراسات الإسلامية فى مدريد ، م ٢ ، العدد ١ - ٢ ، مدريد ١٢٧٣ هـ / ١٩٥٤ م.

إرشيبالد ر. لويس Archibald R. Lewis :

٢ - القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط (٥٠٠ - ١٠٠٠ م) ،
Naval power and trade in the Mediterranean A.D. 500 - 1100
ترجمه أحمد عيسى ، وراجعه الدكتور محمد شفيق غربال ، مكتبة النهضة المصرية ،
القاهرة ١٩٦٠ م .

الدكتور جمال حمدان :

٣ - اليهود أثروبولوجيا ، المكتبة الثقافية (٦٩) ، دار الكاتب العربى ،
القاهرة ١٩٦٧ م .

الدكتور حسن ابراهيم حسن :

٤ - تاريخ الدولة الفاطمية فى المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب ، ط
٣ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦٤ م .

٥ - تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ، ج ٣ ، القاهرة
١٩٤٩ م .

الدكتور حسن حبشي :

٦ - الحرب الصليبية الأولى ، ط ١ ، القاهرة ١٩٤٧ م .

الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور :

٧ - الحركة الصليبية ، ج ١ ، القاهرة ١٩٦٢ م .

صوبرنهيم : Sobernheim :

٨ - مادة حلب Art. Halab في دائرة المعارف الإسلامية Encyclopaedia

of Islam ، ترجمة إبراهيم زكي خورشيد ، م ٨ ، القاهرة ، بدون تاريخ .

الدكتور السيد الباز المصري :

٩ - الدولة البيزنطية (٣٢٣ - ١٠٨١ م) ، دار النهضة العربية ، القاهرة

١٩٦٠ م .

الدكتور السيد عبد العزيز سالم :

١٠ - طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي ، دار المعارف ، الإسكندرية

١٩٦٧ م .

النشاطر بصيل عبد الجليل :

١١ - تاريخ وحضارات السودان الشرقي والوسط من القرن السابع إلى القرن

التاسع عشر لليلاد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٢ م .

الدكتور عبد الله خورشيد برى :

١٢ - القبائل العربية في مصر في القرون الثلاثة الأولى للهجرة ، دار الكاتب العربي ،

القاهرة ١٩٦٧ م .

الدكتور عطية القوصي :

١٣- تاريخ دولة الكتوز الإسلامية ، ط٢ ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨١ م .

الدكتور علي إبراهيم حسن :

٦ - التاريخ الإسلامي العام (الجاهلية - الدولة العربية - الدولة العباسية) ،
مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٧١ م .

عمر الصالح البرغوثي :

١٥ - الوزير اليازوري ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، بدون تاريخ .

الدكتور عمر كمال توفيق :

١٦ - الإمبراطور نففور فوقاس واسترجاع الأراضي المندسة : ٩٦٣ -

١٩٦٩ م ، الإسكندرية ١٩٥٩ م .

١٧ - مقدمات العدوان الصليبي ، الإسكندرية ١٩٦٦ م .

١٨ - تاريخ الدولة البيزنطية ، الإسكندرية ١٩٦٧ م .

الدكتور محمد أحمد عبد اللوي :

١٩ - القوى السنية في المغرب من قيام الدولة الفاطمية إلى قيام الدولة

الزيرية ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب - جامعة الإسكندرية ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .

الدكتور محمد جمال الدين سرور :

٢٠ - النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق في القرنين الرابع والخامس بعد

الهجرة ، ط ٢ ، القاهرة ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٩ م .

٢١ - سياسة الفاطميين الخارجية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٣٨٦ هـ /

١٩٦٧ م .

الدكتور محمد حمدي التناوي :

٢٢ - الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٠ م .

محمد واغب بن هاشم الطباخ الحلبي :

٢٣ - أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ، م ١ / ج ١ ، ط ١ ، المطبعة العلمية ، حلب ١٣٤٢ هـ / ١٩٢٣ م .

محمد فؤاد عبد الباقي :

٢٤ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٦٤ هـ .

الدكتور محمد سعيد عمران :

٢٥ - معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٨٢ م .

الدكتور محمد محمد سطحة :

٢٦ - الجغرافية الإقليمية ، دراسة لمناطق العالم الكبرى ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٧٤ م .

الدكتور محمد محمد مرسى الشيخ :

٢٧ - الإمارات العربية في بلاد الشام في القرنين الحادى عشر والثاني عشر الميلاديين ، ط ١ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الإسكندرية ١٩٨٠ م .

الدكتور محمد مصطفى صلوات :

٢٨ - السلطان محمد الفاتح فاتح القسطنطينية ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٤٨ م .

هنرى وليم كارلس ديفز Henry William Carles Devis :

٢٩ - أوروبا في العصور الوسطى Medieval Europe ، ترجمة الدكتور عبد الحميد حمدى محمود ، ط ١ ، منشأة المعارف الإسكندرية ١٩٥٨ م .

دأبأ: المراجع الأجنفة الءءفة

Baldwin,

- 1 — The Crusades, vol. I, Philadelphia, 1965.

Bréhier,

- 2 — Constantin et la fondation de Constantinople, Rev. hist., t. CXIX, Paris, 1915.

- 3 — Vie et mort de Byzance, Paris, 1947.

Bosworth, Clifford Edmund.

- 4 — The Islamic dynasties, Islamic Surveys 5, Edinburgh at the university Press, 1967.

Bury, J B

- 5 — The imperial administrative System in the ninth Century, Londres, 1911.

Cahen, Claude

- 6 — La Campagne de Mantzikert d'après les sources musulmanes, Byzantion, IX, 1934.

Cambridge Medieval History, Planned by J. B. Bury, edited by J. R. Tanner, C.W. Previté Orton and Z. N. Brooke,

- 7 — Vol. IV . The Eastern Roman empire (717 — 1453), Cambridge at the university press, 1923.

- 8 — Vol. V : Contest of empire and papacy, ch. VI : Islam in Syria and Egypt, 750 — 1100, pp. 242-264, Cambridge at the university press, 1926.

Canard, Marius

- 9 — Histoire de la dynastie des Hamdanides de Jezira et de Syrie, Paris, 1953.

Charlton T. Lewis and Charles Shoft,

- 10 — A latin dictionary, Clarendon press, Oxford, 1945 & 1969.

Diehle, Charles

- 11 — L'origine du régime des themes dans l'empire byzantin, Etudes byzantines, Paris, 1905.

- 12 — Constantinople, paris, 1924.

- 13 — Histoire du moyen age, t. III : Le monde oriental de 395 a 1081, Mélanges G. Marcais, 1re Sect. par Diehl : Histoire byzantine, Paris, 1944.

Dussaud, René

- 14 — Les Arabes en Syrie avant l'Islam, Paris, 1907.

Gibb, H.A. R.

- 15 — The Damascus Chronicle of the Crusades, London, 1932.

Goeje, M.J. de

- 16 — Mémoire Sur les Carmathes du Bahrain et les Fatimides 2e ed., Lyden, 1886.

Grusset, René

- 17 — L'empire du Levant, Paris, 1946.

- 18 — Histoire de l'Arménie, Paris, 1947.

Henry George Liddell and Robert Scott,

- 19 — A greek - english lexicon, Clarendon Press, Oxford, 1973.

Hitti, Philip K.

20 — The Origins of the Druso people and religion,
Columbia, 1928, Lane-Poole, Stanley

12 — History of Egypt in the middle ages, London, 1901.

22 — Muhammadan dynasties, Paris, 1925.

Marcals, Georges

32 — Histoire du moyen age, t. III : Le monde Oriental
de 395 à 1081, Mélanges Ch. Diehl, 2e Sect. par
Marcals : Le monde musulman, Paris, 1944.

Matthieu d'Edesse,

24 — Extraits de la Chronique de Matthieu d'Edesse, ed.
R.H.C. — Doc. Arm., t. I, Paris, 1869 (pp. I — 150).

Mordtmann,

25 — Esquisse topographique de Constantinople, Paris,
1802.

Noldeke, Th.

26 — Die Ghassaniden Fürsten am dem Hause Gafna's,
dans Abhandlungen der Preussischen Akad. der
Wiss., 1887.

Oberhümmer,

27 — Constantinopolis, Paris, 1899.

Oman,

28 — The byzantine empire, 3rd éd., London, 1892.

Ostrogorsky, George

29 — History of the byzantine state, eng. trans. by Joan
Hussey, Oxford, 1936.

Sacy, Silvestre de

30 — Exposé de la religion des Druzes, 2 Vols., Paris, 1838.

Schlumberger, G.

31 — Un empereur byzantin au Xe siècle : Nicéphore Phocas, Paris, 1890.

32 — L'Épopée byzantine à la fin du Xe siècle, 3 Vols., Paris, 1896-1905.

a) t. I : Jean Tzimiscès, les Jeunes années de Basile II (969 — 989), Paris, 1896.

b) t. II : Basile II le tueur de Bulgares, Paris, 1900.

c) t. III : Les Porphyrogénètes Zoé et Théodora, Paris, 1905.

Vasiliev, A. A.

33 — Histoire de l'empire byzantin, t. I, traduction française par P. Bordin et A. Bourguin, Paris, 1932.

Wiet, Gaston

34 — Histoire de la nation égyptienne, 7 Vols., Vol. IV : L'Égypte Arabe, Paris, 1931.

الخرائط والملاحق

خريطة : الشام وثغورها البرية والبحرية للفتية .

الملحق الثاني : شجرة نسب أمراء بني مرداس وترتيبهم في حكم حلب .

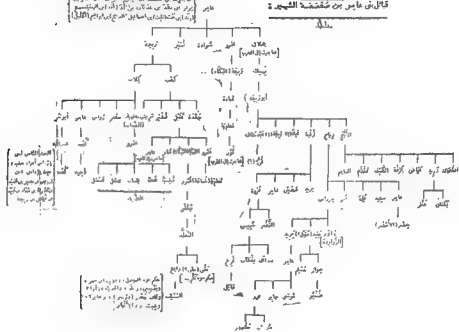
الملحق الأول : قبائل بني عامر بن صعصعة الشيرة .

الملحق الثالث : القاب وكنى وأسماء أمراء بني مرداس ومدد حكمهم
ووضعهم السياسى وبعض الملاحظات عنهم .

الملحق الأول

قَاتِلُ ابْنِ عَامِرٍ بْنِ صُفْيَانَ الشَّيْخِ

11

[illegible]

محتويات الكتاب

٣	رقم الصفحة	١-١٠
٥	مقدمة	
٩	١ قيام إمارة بني مرداس الكلالية في حلب تحت حماية الروم	
٦١	٢ الفصل الأول : الإمارة المرداسية في ظل حماية الروم (٤١٥ - ٤٢٩ / ١٢٠٥ - ١٠٣٨ م)	
٨٩	٣ الفصل الثاني : الإمارة المرداسية في ظل التبعية الفاطمية (٤٣٣ - ٤٥٢ / ١٠٤٣ - ١٠٦٠ م)	
١٤١	٤ الفصل الثالث : الإمارة المرداسية في عهد الاستقلال (٤٥٢ - ٤٦٢ / ١٠٦٠ - ١٠٧٠ م)	
١٧٢	٥ الفصل الرابع : الإمارة المرداسية تحت السيادة السلجوقية (٤٥٢ - ٤٧٢ / ١٠٧٠ - ١٠٨٠ م)	
١٩٧	٦ خاتمة	
١٩٩	٧ المصادر والمراجع	
٢١٩	٨ المرفقات والملاحق	

